

نصب الموائد

لذكر الفتاوى والنوادر والفوائد



لجامعه الحافظ المحدث الشيخ
الحافظ المحدث عبد الله التليدي
كان الله له آمين

وقف لله تعالى لا يباع ولا يشتري

الجزء الرابع من السلسلة

نصب الموائد لذكر الفتاوى والنوادير والفوائد

لجامعه الحافظ المحدث الشيخ
عبد الله بن عبد القادر التليدي
كان الله له أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ

عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَهْلِ الصِّفَا وَالْوَفَا.

وَبَعْدَ فَهَذَا الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ نَسَبِ الْمَوَائِدِ وَهُوَ كَسَابِقِيهِ مَلِيءٌ
بِالنُّوَادِرِ وَالْفَتَاوَى وَالْفَوَائِدِ.

الشفعاء

مَنْ فَضَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَلَطْفَهُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ جَعَلَ لِعَصَاتِهِمْ
شَفْعَاءَ فِي الْآخِرَةِ يَشْفَعُونَ لَهُمْ فِي الْحِفْظِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ إِخْرَاجِهِمْ
مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوهَا وَمِنْ هَؤُلَاءِ الشَّفْعَاءُ :

الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَمُومِ وَبَعْضَ سُورِهِ عَلَى الْخُصُوصِ.

فَفِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " اقْرءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ اقْرءُوا الزُّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا
يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فَرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ
تَحَاجَانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا " الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ.

قَوْلُهُ " غَيَايَتَانِ " هُمَا الْغَمَامَتَانِ وَقَوْلُهُ " فَرْقَانِ " تَثْنِيَّةُ فَرْقٍ أَيْ
قَطِيعَانِ مِنَ الطَّيْرِ.

وعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقَدُّمُهُ سُورَةُ الْبَقْرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غِمَامَتَانِ أَوْ ظِلَّتَانِ سُودَاوَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ تَحَاجَانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا " رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إِنْ سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعْتَ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ " رواه أحمد وأهل السنن والحاكم وصححه.

فهذه الأحاديث المباركات تدل بجملتها على أن القرآن الكريم وما ذكر معه من السور سيكونون شفعاء لحامله وقارئه من السقطات التي صدرت منه ولم تغفر وأن القرآن الكريم سيكون أمامه تتقدمه سورتا البقرة وآل عمران تظللان صاحبهما من حر الشمس وتدافعان عنه، وهكذا ستكون سورة الملك فإنها ستشفع لقارئها وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحافظ على قراءتها عند النوم مع سور آخر، فههنا أربع شفعاء : القرآن الكريم، وسورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة تبارك.

مبشرة وإنذار

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الدرر الكامنة في ترجمة الحافظ محمد بن علي بن دقيق العيد عن الأمير سيف الدين بلبان الحسامي قال : خرجت يوماً إلى الصحراء فوجدت ابن دقيق العيد في الجبانة واقفاً يقرأ ويدعو ويبكي فسألته فقال : صاحب هذا القبر كان من أصحابي وكان يقرأ علي فمات فرأيتُه البارحة فسألته عن حاله فقال : لما وضعوني في القبر جاءني كلب أنقط كالسبع وجعل يروعي فارتعبت فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة فطرده عني وجلس عندي يؤنسنني فقلت : من أنت؟ فقال : أنا ثواب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة...

فهذه الرؤيا تدل على أن سورة الكهف تشفع لقارئها يوم الجمعة وقد صح أن أولها أو آخرها تمنع من فتنة الدجال لعنه الله وجاء في حديث آخر أن لقارئها يوم الجمعة نوراً يصحبه إلى الجمعة الأخرى والله ذو الفضل العظيم.

ومن الشفعاء بل أفضلهم وأشرفهم وأكرمهم على الله نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإن له شفاعات كثيرة تناهز العشرين وأعمها وأشملها شفاعته العظمى في موقف القيامة التي يحمده فيه الأولون والآخرون وحديثها مبسوط في الصحيحين وغيرهما ومن شفاعاته شفاعته في إدخال أقوام الجنة بلا حساب وإخراج عصاة أمته من النار بعد أن امتحشوا وصاروا فحماً حتى لا يبقى فيها إلا من حبسه القرآن من الكفار.

ومن الشفعاء الملائكة والأنبياء والمؤمنون كما جاء في حديث أبي سعيد الطويل في رؤية الله تعالى وفيه : " يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين " الحديث رواه البخاري ومسلم.

ومن الشفعاء الأطفال الذين ماتوا قبل البلوغ،

ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه " أو قال : " أبويه فيأخذ بثوبه " أو قال : " بيده فلا يتناهى حتى يدخله الله وأباه الجنة " رواه مسلم.

الدعاميص أي صغارهم وأصلهم دود صغار تكون بالماء.

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يجيء أبوانا فيقال ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم " رواه أحمد بسند صحيح.

وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم ".

والمراد بتحلة القسم ما يحل ويفك به القسم وهو المرور على الصراط على متن جهنم والقسم هو قوله تعالى : " وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا " مريم 71، والورود هو المرور

فوقها حسب أعمال العباد فمنهم من يمر كالبرق أو كالريح العاصف... ومنهم من يقع فيها... نعوذ بالله من ذلك.

ومن الشفعاء الشهداء الذين قتلوا في المعركة في سبيل الله ففي حديث المقدام بن معديكرب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " للشهيد عند الله ست خصال..." فذكر الحديث وفيه : " ويشفع في سبعين من أقاربه " رواه أحمد والترمذي وصححه.

أول من آمن بالله ورسوله صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم وأظهر إسلامه

أول من آمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق وأول من آمن من النساء أم المؤمنين مولاتنا خديجة بنت خويلد وأول من آمن من الأطفال سيدنا علي بن أبي طالب وأول من آمن من العبيد بلال بن أبي رباح وأول من آمن من الموالي زيد بن حارثة رضي الله تعالى عن جميعهم واختلف في أول من آمن على الإطلاق ف قيل سيدتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وقيل سيدنا علي رضي الله تعالى عنه وقيل سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه مع العلم بأن هؤلاء الثلاثة هم أول من آمن به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

أما أول من أظهر الإسلام،

فرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وأمه سمية وعمر بن الخطاب وأبو ذر الغفاري رضي الله تعالى عنهم، وأول من أظهر التوحيد بمكة المكرمة وغيرها قبل الإسلام قُسط بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك الإيادي كان من حكماء العرب وأحد كبار خطبائهم ومن الذين أظهروا التوحيد بمكة وما حولها أيام الجاهلية كان أسقف نجران في اليمن كان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه وهو يعد من المعمرين طالت حياته حتى أدركه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل النبوة ورآه في سوق عكاظ وسئل عنه بعد ذلك فقال : " يحشر أمة وحده ".

وورَقَهُ بن نوفل بن أسد القرشي ابن عم خديجة رضي الله تعالى
عنهما وكان حكيماً في الجاهلية زاهداً تنصر واعتزل الأوثان وكان من
أول من أظهر التوحيد بمكة المكرمة وكان يقرأ الكتب المنزلة ويكتب
اللغة العربية بالعبرانية أدرك أوائل عصر النبوة وتوفي قبل ظهور
الدعوة.

وزيدُ بن عَمْرُو بن نفيل القرشي المكي والد سعيد بن زيد أحد
العشرة المبشرين بالجنة كان زيد هذا يعبد الله على دين إبراهيم عليه
السلام وجاهر في الجاهلية بعداء الأوثان وأظهر التوحيد فتألب عليه
جمع من قريش فأخرجوه من مكة فانصرف إلى غار حراء.

ومن أعظم فضائله بعد التوحيد أنه كان عدواً لواد البنات فكان لا
يسمع بنت يراودها إلا قصد أباهما وكفاه مؤنتها ومنعه من وأدها.

نساء صحابيات استرعين اهتمامي

و أعجبتُ بهنَّ

هناك نساء صحابيات صالحات أخبارهن لفت نظري لما في ذلك من
العبرة وسر قدر الله تعالى وهن كالاتي :

1- سيدتنا رقية بنت سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
ولدت بعد أختها زينب عليهما السلام تزوجها أولاً عتبة بن أبي لهب
قبل النبوة ثم طلقها قبل أن يدخل بها ثم تزوجها سيدنا عثمان رضي
الله تعالى عنه ولما اشتد الحال على المسلمين من طرف كفار قريش
وهاجر الصحابة إلى الحبشة كانت ممن هاجر مع زوجها عثمان رضي

الله تعالى عنهما فتزكت والدها سيد البشر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأما خديجة سيدة نساء عصرها آنذاك رضي الله تعالى عنها وسكنت دار الغربة مع النصارى فارة بدينها وإرضاء لزوجها رضي الله تعالى عنها ثم بعد حين قدمت مع زوجها إلى مكة ثم هاجرت معه إلى المدينة فتوفيت والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غائب في غزوة بدر.

-2- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب الأموية زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً تزوجها عبيدُ الله بن جحش الأسدي وأسلماً معاً ثم هاجرا إلى الحبشة ومكثا بها مدة ثم تنصر زوجها وأكب على شرب الخمر حتى مات على النصرانية فأصبحت أيمماً في دار الغربة ووالدها أبو سفيان كان لا يزال عدواً لدوداً للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكان من حكمة الله تعالى وسر قدره أن بعث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى من يخطبها له فكان النجاشي الوسيط في ذلك فأمر جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فحَمِدَ الله تعالى وأثنى عليه وتشهد ثم قال : أما بعد فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة فأجبت وقد أصدقتهَا عنه أربعمئة دينار ثم سكب الدنانير فخطب خالد فقال : قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجته أم حبيبة وصنع لهم النجاشي طعاماً وفي رواية أن الذي عقد عليها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عثمان والأول أصح وكان زواجه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهذه السيدة سنة سبع من الهجرة وفي قصة هذه السيدة عبر وحكم لا تخفى.

3- أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية أم المؤمنين كانت أولا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فأسلمت معه قديماً وهاجرا إلى الحبشة وبها ولد لهما سلمة ثم رجعا إلى مكة المكرمة فهاجر أبو سلمة إلى المدينة ومنع أم سلمة أهلها بنو مخزوم ووقعت لها بسبب ذلك محنة ثم سمحوا لها بالخروج فهاجرت وحدها مع ولدها سلمة ورافقها في سفرها الرجل الصالح النادر الوجود عثمان بن طلحة وكان لا يزال كافراً ثم أكرمه الله بالإسلام والموت شهيدا رضي الله تعالى عنه ولما قدمت المدينة على زوجها ولد لهما بها عمر ودرة وزينب وتوفي زوجها من جراء جراحات أصابته بأحد ولما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته ثم خطبها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاعتذرت له لكبرها وغيرتها وصبيانها فأجابها عن كل ذلك وتزوجها وكانت أجمل النساء وأعقلهن ولها أخبار وروت عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أحاديث وسنناً وفي قصتها عبر أيضا ومن غريب ما في قصة هجرتها أنها خرجت وحدها مع ذلك الرجل الكافر وقته وهي من أجمل نساء العرب بعيدة العهد عن زوجها ومرافقها شاب في عنفوان الشباب وصحبها في سفرها عشرة أيام وعشر ليال في الفيافي والقفار ولم يصدر منهما أي شيء يشين عرضهما فهذا أمر يتعجب منه ويلفت الأنظار.

4- أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية القرشية أسلمت قديما وفارقت دين قومها وعائلتها ووالدها أعدى الأعداء للإسلام وللنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو الذي بصر في وجه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسبه وفيه نزل قوله تعالى : " وَيَوْمَ يَعْضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا

وَيَلْتَمِسُ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
" الفرقان 27-28-29، والخليل هو أبي بن خلف.

قتل عقبة كافراً بعد غزوة بدر قتله الإمام علي عليه السلام صبراً
بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وبنته أم كلثوم أسعدها الله تعالى ومن عليها بالإسلام وهي بكر لم
تتزوج بعد فهاجرت إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مفردة
في الهدنة التي كانت بين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين
كفار قريش بعد الحديبية وتزوجها زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه
فاستشهد في غزوة مؤتة في السنة الثامنة ثم تزوجها الزبير بن العوام
رضي الله تعالى عنه ثم فارقتها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله
تعالى عنه ومات عنها ثم تزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً
ثم مات رضي الله تعالى عنها، فمن أسرار قدر الله تعالى أن يكون
الوالد كافراً عدواً لله ولرسوله مخلداً في النار والولد مؤمناً سعيداً مخلداً
في جنة النعيم كهذه السيدة وجماعة من الصحابة كخالد بن الوليد،
وعمر بن العاص، وجبير بن مطعم، وعكرمة بن أبي جهل، في جماعة
من الصحابة مات أبائهم على الكفر عياداً بالله تعالى.

5- أسماء بنت عُمَيْس الخثعمية وهي أخت ميمونة بنت الحارث
زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأمها وكانت أختاً لجماعة
من الصحابيات ستاً لأب وأم وعشراً لأم.

تعد من السابقات إلى الإسلام ومن المهاجرات الهجرتين هجرة إلى
الحبشة وهجرة إلى المدينة كانت في الإسلام زوجة لجعفر بن أبي

طالب رضي الله تعالى عنه وهاجرت معه إلى الحبشة ثم هاجرا معاً إلى المدينة مع الأشعريين أصحاب السفينة الذين جاءوا مهاجرين من اليمن.

ولما قتل جعفر رضي الله تعالى عنه بغزوة مؤتة تزوجها الصديق رضي الله تعالى عنه فولدت له محمد بن أبي بكر المشهور ولما توفي أبو بكر تزوجها الإمام علي عليه السلام ثم توفيت بعد قتل علي سنة أربعين.

ومن مناقبها ما جاء في صحيح مسلم في قصة قدوم جعفر وأبي موسى ومن كان معهم من الحبشة في السفينة زمن خيبر وفي الحديث قال أبو موسى : فكان ناس من الناس يقولون لنا يعني لأهل السفينة : نحن سبقناكم بالهجرة قال : فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه؟ قالت : أسماء بنت عميس قال عمر : الحبشية هذه البحرية فقالت أسماء : نعم فقال عمر : سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منكم فغضبت وقالت كلمة : كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البُعْداء البُعْضاء في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن كنا نُؤدّي ونُخَاف وسأذكر ذلك

لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك قال : فلما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قالت : يا نبي الله إن عمر قال : كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني إرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

فهؤلاء النسوة الصالحات الطاهرات المهاجرات لفتن نظري بإيمانهن وإخلاصهن وهجرتهن مع أزواجهن وتركهن وطنهن العزيز عليهن وما فيه من أهل وأقارب وأحباب وفضلن الغربة على الإقامة في بلادهن الأمين فرضي الله تعالى عنهن ونفعنا بمحبتهن آمين.

علماً بأن هناك نساء أخريات شاركناهن في الإيمان والهجرة من الصحابيات لكن هؤلاء اختصن بأشياء ليست لغيرهن.

كلب ينتصر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويدافع عنه

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في ترجمة علي بن مرزوق الربيعي السلامي من الدرر الكامنة عن جمال الدين إبراهيم بن

محمد الطيبي أن بعض أمراء المغل تنصر فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغل فجعل واحد منهم ينتقص النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهناك كلب صيد مربوط فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه فخلصوه منه وقال بعض من حضر هذا بكلامه في محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رأي أشير بيدي فظن أني أريد ضربه ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زردمته فقلعها فمات من حينه فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغل...

قلت : هكذا يغار كلب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا يحب أن يسمع الطعن فيه وانتقاصه فينتصر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويقتل ذلك الكافر الطعان في الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وزوجه وصحبه.

وأبناء جلدتنا ممن ولدوا في الإسلام ومن آباء وأمهات مسلمين نراهم من وقت لآخر يكيلون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولدين الإسلام مكابيل الطعن والسخرية والاستهزاء في وسائل الإعلام من صحف وفضائيات ورسائل تكتبها أناملهم الآثمة ولا يوجد في ولاة المسلمين من يحكم فيهم شرع الله بالإعدام كما فعل هذا الكلب بذلك النصراني فالكلب أغير على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام والله المستعان.

أسئلة علمية والجواب عنها

كتب إلي بعضهم رسالة جاء فيها ما يلي :

س : أولاً هل يظهر أثر في التفريق بين مصطلح الشاذ والمنكر؟

ج : الحمد لله، إن ظهور الأثر فيما ذكرت أن كلا من الشاذ والمنكر ضعيف لا يحتاج به على الانفراد لأن الشاذ راويه وإن كان ثقة فقد خالفه من هو أوثق منه أو أكثر عدداً أما المنكر فراويه يكون ضعيفاً خالفه ثقة أو ثقات.

س : ثانياً نجد هنا بعض المنتمين للعلم ينكر النظر في كتاب صحيح البخاري إلا للعلماء المتمكنين لأسباب يذكرها منها معرفة الناسخ والمنسوخ فهل لهذا القول نصيب من الصحة..؟

ج : الحمد لله، منكر النظر في صحيح البخاري إلا للمتمكن.. لا مفهوم له فإن كل كتب الحديث وخاصة منها الأحكام والعقائد كذلك فلا بد لقراءة ذلك من التمكن في العلوم التي تؤهل القارئ إلى فهم ما يقرؤه من العلوم العربية بأنواعها وأصولي الفقه والحديث وغير ذلك.

نعم إن كان هناك شرح يهتدي به كفتح الباري للحافظ ابن حجر بالنسبة لصحيح البخاري، ونيل الأوطار بالنسبة لمنقح الأخبار ونحو ذلك فلا مانع من القراءة والعمل بمقتضى ما يقرؤه اعتماداً منه على الشراح المتمكنين والله أعلم.

س : كيف نحمل قول مسلم رحمه الله تعالى في مقدمة صحيحه الإجماع على قبول السند المعنعن مع المعاصرة وإمكانها مع وجود الخلاف في ذلك؟

ج : الحمد لله، ما قاله مسلم رحمه الله تعالى في شأن قبول الحديث المعنعن مع المعاصرة... هو قول أكثر المحدثين وحكايته الإجماع على ذلك فيه تجاوز فإن شيخه الإمام البخاري رحمه الله تعالى وغيره من بعض شيوخه المتشددين لا يقولون بذلك بل يشترطون المعاصرة واللقى ونفي التدليس.

س : كيف يتدرب طالب العلم على تخريج الأحاديث؟

ج : الحمد لله، أما كيف يتدرب طالب العلم على تخريج الأحاديث،

فأقول : إن أصعب شيء في علم الحديث هو علم التخريج فهو يحتاج إلى اطلاع على كتب السنة وأصولها المسندة وعلى مضان الأحاديث ومواقع وجودها من الكتب والأبواب ثم الاطلاع على كتب التخريج وقراءتها وهي كثيرة ونافعة جداً ثم الحصول على كتب الأطراف القديمة والحديثة مع أمور أخرى... والخلاصة أن علم التخريج من أصعب شيء وأشقه في علم الحديث بل علم الحديث نفسه صعب ولذلك قال بعض علمائه القدامى علم الحديث ذكر ولا يحبه إلا ذكran الرجال.

من أسرار قدر الله تعالى

من كليات الإيمان الست الإيمان بالقدر وهو التصديق الجازم بأن الله عز وجل سبق علمه وقضاؤه بكل ما سيقع في هذا العالم إلى ما لا نهاية له وأنه كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ وأنه لا يجري في هذا

العالم من شيء خيراً كان أم شراً كفوياً أم إيماناً طاعة أم معصية إلا بقدر الله تعالى وإرادته.

وهو سر من أسرار الله تعالى لا يجوز الخوض فيه ولا التعمق في البحث عنه فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا ذكر القدر فأمسكوا " وجاء رجل إلى الإمام علي رضي الله تعالى عنه فسأله عن القدر فقال له : هو طريق مظلم فلا تسلكه فأعاد عليه فقال : هو بحر عميق فلا تلجه فأعاد عليه فقال له : هو سر من أسرار الله فلا تفتشه.

فقدر الله وما يجري به في هذا العالم لا يجوز التعقل فيه والبحث عن سره ولا الاعتراض عليه بل يجب الإيمان بما سبق به علم الله والتسليم لما قضاه سبحانه ولا يسأل عما يفعل ومن وجد خيراً فليحمد الله....

ومنذ بضع سنوات كنت بمدينة الناظور فركبت في حافلة جماعية قاصداً تطوان ثم طنجة وركبت معنا شابة في عنفوان شبابها مرتدية لباساً إفرنجياً وكانت قريبة مني ومنذ ركوبها وهي تدخن ولما كنا في وسط الطريق أوقف الحافلة رجال الدرك فصعدوا الحافلة وجعلوا ينظرون إلى الركاب فقصدوا الشابة وجعلوا يلقون عليها أسئلة وطلبوا منها هويتها وإذا هي من الراشدية من صحراء المغرب فأسفت لها ورحمتها ولما نزلنا بتطوان تقدمت إليها وقلت لها : اسمحي لي أن أتكلم معك فقالت : نعم فقلت لها : ماذا يمنعك أن تستقيمي وتتزوجي وتكوني أسرة... فأجابتنني قائلة : هكذا أرادني الله أو نحو

ذلك فلم أجد لها جواباً لأنني لو ذهبت لنشرح لها ما يجب عليها
لطال الوقت فدعوت معها بالهداية والتوفيق وانصرفت. هكذا قضاء
الله تعالى وهو سر من أسرار الله.

طريقة

دخل رجل مسجدا فوجد الناس انصرفوا من الصلاة مع الإمام
الراتب فافتتح صلاته منفردا فجاء رجل فوقف إلى جنبه مؤتما به ثم
جاء آخر وجاء ثالث ثم تكون صف فلما أحس المصلي الأول بأن الناس
كثروا خلفه وكان أميا لا يتقن أحكام الصلاة بالتفصيل ترك المؤتمين به
ساجدين ثم انصرف متسللا.

طريقة أخرى

دخل رجلان أو ثلاثة مسجدا لصلاة المغرب فوجدوا الإمام الراتب
قد فرغ من صلاته فتقدم أحدهم فافتتح الصلاة فجاء رجل فكبر
معهم فأطال الإمام السكوت لدعاء الاستفتاح ثم جهر بالقراءة متعوذا
ومبسلا قبل الفاتحة ثم سكت عقب قراءة الفاتحة بعد جهره وجهر
من كان معه بآمين ثم لما فرغ من قراءة السورة رفع يديه وكبر للركوع
فاغتاظ ذلك الرجل الذي دخل مؤخرا مع الجماعة لما رأى من كثرة
السنن التي لا يفعلها المالكية فقطع صلاته وانصرف وهو يسب
ويشتتم... لأنه صلى خلف مبتدع في الدين في نظره.

من سفاهة العامة وسوء أدبهم

كتب إلي رجل من ألمانيا يسألني سؤالاً وعقبه بقوله : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من سُئِلَ عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من النار " وفي مقابل هذا جاءني رسالة من رجل بفرنسا مصحوبة ببعض مؤلفاته يستجيزني ولعله خشي أن لا أجيبه فختم رسالته بقوله : روى الإمام البخاري في كتابه الأدب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إني لأرى جواب الكتاب حقا كرد السلام هـ فكان هذا أحسن أدبا من الأول والله في خلقه شئون.

الوصية في الإسلام

جاءني سؤال عن رجل أوصى بثلث ماله بعد وفاته إلى حفدته من أولاده الذكور دون الإناث فأجبتة بالآتي :

وما لهذا الجواب من الفائدة العامة أدرجته هنا ليستفاد فأقول :

الوصايا في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه، إن الوصايا في الإسلام باب هام تعرض لذكرها القرآن الكريم في كثير من آياته وذكر نوعيهما الروحية، والمادية شأن شريعتنا الغراء في ذلك.

فمن النوع الأول على سبيل المثال وصية خليل الرحمن وإبنة يعقوب عليهما الصلاة والسلام لابنيهما قال تعالى في سورة البقرة 131-

132 : " إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ "، ومنها الوصايا العظيمة التي ختم الله تعالى بها سورة الأنعام 151 حيث قال تعالى : " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " الآيات، فهذه وصايا من الله عز وجل لنا بعدة شرائع أمرا ونهيا وعقب كل عدد منها بقوله : " ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " " ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " " ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "، وهذه الوصايا تعتبر أسس الشرائع ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات قال تعالى : " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ... " الآيات، على أنه في الحقيقة القرآن كله وصايا موجهة إلينا وكذا ما جاء في السنة النبوية الشريفة كلها عهود ووصايا نبوية إلى الأمة غير أنه جاءت وصايا خاصة من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بشرائع وأحكام وأشياء اهتماماً بشأنها كوصيته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقرآن الكريم، وبالسنة المحمدية، وبآل بيته الأطهار وبصحابته الكرام الأبرار، وبتقوى الله وطاعته وبالصلاة و... والسمع والطاعة للخلفاء، وبالنساء، والعبيد، وأهل مصر، وغير ذلك وجاء في خطبته العظيمة في حجة الوداع وصايا كثيرة متنوعة وقد كان السلف الصالح مهتمين بهذا النوع من الوصية، فكانوا يوصون بها أبناءهم وأحب الناس إليهم وقد جاء في ذلك نموذج عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعطينا صورة كاشفة عما كانوا عليه من اهتمامهم العظيم بالدين والوصية به قبل غيره من عَرَض الدنيا.

فقد أخرج عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كانوا يعني الصحابة يكتبون في صدور وصاياهم :
 بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به فلان بن فلان : أن يَشْهَدَ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب : " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ " القرآءة 132.

أما النوع الثاني من الوصايا بالشئون المادية كالوصية بدين مثلا أو وديعة أو وقف، أو صدقة على شخص، أو أشخاص من قبل موت الموصي أو بعده فمذكورة في القرآن الكريم في عدة مواضع فمن أشهرها وأعظمها الوصية بالفرائض والمواريث قال تعالى في سورة النساء 11 : " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ... الخ، وفي آخر قسمة المواريث يقول تعالى : " مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ " النساء 11.

ومنها الوصية بالصدقة تنفذ بعد موت الموصي قال تعالى في سورة البقرة 180 : " كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ " ... غير أنها منسوخة بالنسبة للورثة.

وفي أواخر سورة المائدة 106 يقول تعالى في حالة السفر : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِمَّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ .."

والقضية كهذه وهي الوصية يجب على المسلم أن يعيرها اهتماما زائداً لما يقع في شأنها من مخادعات ودسائس نفسانية، وما يطرأ لها من حسد فيجب علينا أن نعدل فيها ولا نجور، وأن لا نظلم الورثة، ولا نهضم لهم حقاً أعطاهم الله تعالى فإذا أوصينا إلى الحفدة وأبناء الأولاد فلا بد وأن نسوي بينهم في العطفية سواء كان ذلك قبل الموت أم بعده فلا نحص بعضاً دون آخر ذكراً أم أنثى لأن التخصيص والتفرقة بينهم يؤدي إلى مفساد عائلية وخيمة كحقوق الوالدين مثلاً، والحدق بينهم، والتحاسد بين الأقارب، والعداوة... والتباغض ثم التهاجر وقطع الرحم وهذه سلسلة من الجرائم والأوبئة فكل ما يؤدي إليها كان حراماً بإجماع المسلمين ومن المبادئ الإسلامية، والقواعد العامة التي بنى عليها العلماء أحكاماً كثيرة قولهم : " الضرر يزال " وقولهم : دفع المضار تقدم على جلب المنافع، وقولهم : درء المفساد يقدم على جلب المصالح، وقولهم : كل ما يفضي إلى المحذور فهو محذور.

ولا يرتاب عاقل أن تخصيص أولاد الذكور بالوصية دون أبناء الإناث أو العكس هو مما تشمله هذه المبادئ والقواعد.

فالواجب على الورثة والأقارب الذين نزلت بهم هذه النازلة والوصية الجائرة أن يصلحوا ذات بينهم لقوله تعالى في نفس الموضوع

: " فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوَصِّ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " البقرة 182.

والخوف في الآية بمعنى العلم أي فمن علم والجنف هو الخطأ في الوصية والإثم العمد فيها، فقد يكون الموصي جاهلاً بأحكام الوصايا فيجور فيها خطأً، وقد يكون عالماً فيتعمد الظلم.

فمن البرور بالوالد الجائر في الوصية أن ينقذه أولاده مما عسى أن يصاب به من عقاب وعذاب فإن الأمر ليس بالهين.

وقد أخرج أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار " ثم قرأ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : " مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ " النساء 12، ومما يدل لتحريم التفرقة بين الأولاد في الوصية وغيرها حديث النعمان بن بشير المخرج في الصحيحين وغيرهما أن أباه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : إني نحلتي ابني هذا غلاماً كان لي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أكل ولدك نحلتي مثل هذا؟ " فقال : لا، فقال : " فارجع " وفي رواية : " فاردده " وفي أخرى : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " وفي رواية : " اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرور " وفي رواية : " إن لبيك عليك من الحق أن تعدل بينهم فلا تشهدني على جور،

أيسرك أن يكونوا إليك في البرور سواء؟ " قال : بلى قال : " فلا إذا
" وفي رواية عند مسلم عن جابر : " وإني لا أشهد إلا على حق " .

فهذا الحديث الشريف بجميع ألفاظه يدل دلالة واضحة لا تقبل
الجدل أن التفرقة بين الأولاد أو أولادهم في العطية حرام وأن ذلك
يعتبر جوراً، وهي عطية باطلة وعقد مفسوخ لا يصح ولا يجوز
الإشهاد ولا الشهادة عليه ولا يسمح بتنفيذ تلك الوصية وكل من
سعى في طلبها ويريد الاستئثار بها دون البنات فهو آثم ظالم ساعي في
أخذ أموال الناي بالباطل وسوف يحاسب على ذلك حساباً عسيراً والله
أعلم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه
وكتبه عبد الله التليدي في 18 من جمادى الثانية عام 1403 هـ بطنجة.

من الطريق إلى المدينة

كتب العلامة الفاضل الداعية المشهور السيد أبو الحسن علي
الندوي الشريف الحسن بن رحمه الله تعالى رسالة شيقة مطربة سماها
الطريق إلى المدينة قرأتها مرات وانتفعت بها كثيراً وأحببتها لما فيها

من التشويق والتحبيب والحض على زيارة مدينة الحبيب وقبره الشريف وآثاره... العطرة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولما لها من إثارة العواطف لحب الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحب دينه وشرعه ارتأيت أن أتحف محبي* هذا النبي العظيم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بذكر جوانب من هذه الرسالة المطربة فأقول : قال رحمه الله تعالى :

وفود الأمة بين يدي نبيها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عفا الله عن المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ، إنهم لا يفارقهم الشعور التاريخي والتفكير التاريخي في أقدس مكان، وأفضل زمان، إنهم أينما كانوا يعيشون فيما درسوه، ويصلون الحاضر بالماضي.

كنت أمس في الروضة الشريفة في المسجد النبوي الشريف وحوالي جمع حاشد من المصلين والمتعبدين، بعضهم في ركوع، وبعضهم في سجود، وتلاوة القرآن دوي كدوي النحل، كل ذلك كان جديراً بأن يشغلني عن التفكير في التاريخ وفي رجال التاريخ، ولكن سحابة غشيتني من الذكريات القديمة، لم أستطع لها دفعاً ولم أملك لها قهراً.

رأيت كأن عظماء هذه الأمة عاشوا من جديد، وجاءوا وفوداً يصلون في هذا

* فليصبروا معنا لطول الموضوع مع حلاوته ونشوته.

المسجد العظيم، ويسلمون على هذا النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويقومون بواجب الإجلال والتكريم، والامتنان والاعتراف

بالجميل، يشهدون له على اختلاف طبقاتهم بأنه هو الذي أخرجهم بإذن الله تعالى من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ويشهدون على أنفسهم بأنهم غرس الإسلام، وزرع النبوة، وأنهم لا سمح الله لو تجردوا مما أكرمهم الله به عن طريق هذا النبي ومما أتحفهم به نبوته لعادوا أجساداً بلا روح، وخطا بلا وضوح، ولعادوا إلى عهد الظلمات، وشريرة الغابات، وقانون العصابات، وانطمست معالم هذه الحضارة. حانت مني التفاتة فرأيت فريقاً يدخل من باب جبريل وهو أقرب الأبواب إليّ عليهم السكينة والوقار، يعلوهم نور العلم وسيما التفكير وقد ملأوا الرحاب بين باب جبريل باليسار إلى باب الرحمة باليمين، منعت كثرتهم عن العد والتشخيص، سألت البواب عنهم، فقال : هؤلاء أعلام الأمة وأئمة العلم، وعباقرة الإنسانية، ونوابغ الوجود، كل واحد منهم إمام أمة، ومؤسس مكتبة، ومبتكر علم، ومربي جيل، قد خلدت آثارهم فامتدت على العصور والآفاق، وسارت في ضوء علومهم واجتهادهم وتحقيقهم الأجيال بعد الأجيال، وقد سمى منهم على عجل واحتشام مالك بن أنس، وأبا حنيفة النعمان، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأبا عبد الله أحمد بن حنبل، وليث بن سعد المصري، وعبد الرحمن الأوزاعي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، ومحمد بن محمد الغزالي، وتقي الدين بن تيمية، وموفق الدين بن قدامة، وأبا إسحاق الشاطبي، وكمال بن الهمام، وأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، على تفاوتهم في الزمان والمكان، وأصالة العلم وعلو الشأن.

رأيتهم بدأوا بتحية المسجد وصلوا ركعتين في خشوع وقنوت، ثم تقدموا إلى القبر الشريف في أدب وتواضع، وسلموا على نبيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في كلمات وجيزة المباني كثيرة المعاني، عميقة الجذور، سامغة الذرى، وكأني أسمعهم يقولون : وفي عيونهم دموع، وفي صوتهم خشوع : لولاك يا رسول الله ولولا شريعتك السمحاء الواسعة الخالدة مع الزمان، ولولا أصولها المفتحة للقرائح، ووضعها الحكيم المعجز، الباعث على التفكير والتفريع، ولولا حاجة الإنسان إليها في كل زمان ومكان، لما دون هنا هذا الفقه العظيم، وهذا التشريع الحكيم، الذي لا تحمله أمة من الأمم ومجتمع من المجتمعات البشرية، وما نشأت هذه المكتبة الدينية التي تتضاءل أمامها كل مكتبات العالم الدينية، ولولا جهادك في سبيل نشر العلم والحث على استعمال العقل، والتدبر في آيات الله تعالى لما عاش العلم وانتشر هذا الانتشار الواسع، ولما أطلق العقل الإنساني من أساره وسار العالم في آثاره...

ولم أكن قد قضيت لبانتني من هذه الجماعة حتى لفت نظري فريق آخر يدخل من باب الرحمة عليهم سيما الصلاح والعبادة، وفي وجوههم أثر التقشف والزهادة، قيل لي : إن فيهم الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، وسفيان الثوري، والجنيد، وفضيل بن عياض، وداود الطائي، وابن السماك، وعبد القادر الجيلاني، ونظام الدين البداؤني، وعبد الوهاب المتقي وأضرابهم، اقتدوا بالأولين وتقدموا بعد الصلاة، ووقفوا أمام المدفن الشريف، يصلون على نبيهم وإمامهم وقدوتهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويقولون : لولا المثل العملي الذي ضربته في حياتك ولولا منارك الذي أقمته لمن يأتي بعدك يا

رسول الله، ولولا قولك : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة " ووصيتك : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " ولولا حياتك التي وصفتها لنا أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها : وطلوع هلال بعد هلال، ومرور شهر بعد شهر لا توقد في بيتك نار، ولا تنصب لها قدر، لما كان لنا أن نُؤثِّر الآخرة على الدنيا، وأن نكتفي ببلغة من العيش، وكفاف من الزاد، ولما كان لنا أن نتمرد على الشهوات، ونقاوم إغراء الأموال والمناصب والحكومات، في غير تحريم لما حرم الله تعالى من الطيبات، ومن غير تحقيق لما من الله به علينا من النعيم، ووسع لنا في الحياة، ولكنه إيمان المؤمن وإيثاره للآخرة ونعيمها على الحياة الدنيا وطيباتها، وعزوف عن الشهوات، وكراهة للتكالب على حطام الدنيا، ولم أستوف كلماتهم الحكيمة المرققة حتى لفت نظري فريق يدخل من باب النساء في حشمة وتستتر، بعيد عن كل ما ينافي الإسلام وآدابه من الزينة الظاهرة والتبرج، وتقدم هذا الفريق من المسلمات الصالحات، من شعوب مختلفة، وبلاد متنائية، من عجميات، وعربيات، وشرقيات، وغربيات، وتكلمن في صوت خافت وأدب ظاهر : نصلي ونسلم عليك يا رسول الله تسليم من عظمت عليه منتك، فقد أنقذتنا بإذن الله تعالى وحوله من تقاليد الجاهلية، وظلم المجتمع، وجور الرجال، وحرمت وأد البنات، وحذرت من عقود الأمهات، وقلت : " الجنة تحت أقدام الأمهات " وأشركتنا في الإرث وبينت نصيبنا أمماً، وأختاً، وبناتاً وزوجاً، ولم تنسنا في خطبتك العظيمة يوم عرفة فقلت : " فاتقوا الله في النساء فإنكم اتخذتموهن بأمان الله " إلى غير ذلك مما حثت به الرجال على الإنصاف للنساء، وأداء حقوقهن،

وحسن عشرتهن، جزاك الله عن جنسنا أفضل ما يجزى الأنبياء والمرسلين وعباد الله المحسنين.

ولم ينقطع عن أذني هذا الصوت الرخيم حتى سمعت حسيس قوم يدخلون من باب السلام، والتفت إليهم فإذا هم مبتكرون للعلوم، ومدونون للفنون، أئمة النحو واللغة والبلاغة، فيهم أبو الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، وأبو علي الفارسي، وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، وابن منظور، ومجد الدين الفيروزابادي، وسيد مرتضى الزبيدي. يريدون أن يبلغوا تحية علومهم، ويدفعوا ضريبة ما عاشوا عليه، واشتهروا به، وسمت مكانتهم بفضله، وسمعتهم يقولون في بلاغة وأدب : لولاك يا رسول الله ولولا الكتاب الذي نزل عليك ولولا حديثك الذي نطقت به، ولولا هذه الشريعة التي دانت بها الأمم واحتاجت لأجلها إلى تعلم اللغة العربية والتفقه فيها، لما نشأت هذه العلوم التي كتب لنا شرف الزعامة فيها، ولما كان نحو ولا بيان ولا بلاغة، ولما ألفت هذه المعاجم الكبيرة، ودقق في مفردات اللغة العربية، ولما جاهدنا في سبيلها هذا الجهاد الطويل، ولما خضع العجم وهم في سعة من لغاتهم، وغبطة بلهجاتهم لدراية اللغة والتعمق فيها، ولما كان منهم هؤلاء الأعلام الذين أقر بفضلهم ونبوغهم أدباء العرب، وجهابذة الأدب، فأنت الرابطة يا رسول الله بيننا وبين هذه العلوم الناشئة في الإسلام، النابتة في عهد رسالتك وإمامتك، وأنت الرابطة بين العرب والعجم، وأنت الذي ملأ الله بك هذا الفراغ، ووصل البعيد بالقریب، والعجمي بالعربي، فكم لك من فضل على نبوغنا وعبقریتنا، وكم لك من فضل على ثروة العلم ونتاج العقول ومحصول الأقلام، ولولا أنت يا رسول الله لطويت اللغة العربية

فيما طوي من اللغات، واندرس من اللهجات، ولولا القرآن العظيم العربي المبين لتناولها المسخ والتحريف كما تناول اللغات الكثيرة، وابتلعها العجمة واللهجات المحلية، وقضى عليها اللحن، ولكنه هو وجودك وشريعتك الخالدة، ودينك العالمي، وكتاب الله المعجز الذي منعها من العصار والدروس، وفرض سلطانها وسيطرتها على العالم الإسلامي كله، وغرس حبها وإجلالها في قلب كل مسلم، فأنت الذي خلد الله بك هذه اللغة، وضمن بقاءها، وانتشارها، وسلامتها، فلك على كل من ينطق بها أو يكتب فيها، أو يعيش بها، أو ينادي إليها فضل لا يجحد..

ولم أنتبه من مقالتهم حتى استرعى انتباهي قوم يدخلون من باب عبد العزيز خليط من البشر، ومزيج من الأمم، فيهم أعظم سلاطين العالم، وأعظم ملوك عرفهم التاريخ، فيهم : الوليد بن عبد الملك، وهرون الرشيد، ومحمود الغزنوي، وملك شاه السلجوقي، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وسليمان القانوني، وأورنك زيب عالمكير، وقد نحوَّ الخدمَ ورجالَ الشرطة عنهم وتركوهم وراء الباب يتقدمون في هيبة وتواضع، غضيضة أبصارهم، خافتة أصواتهم،... واستعرضت أسماءهم والدنيا الواسعة التي كانوا يحكمونها، والسيطرة العظيمة التي كانوا يتمتعون بها، فمنهم من كان يحكم دولة لا تقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل - وهو الوليد بن عبد الملك - ومنهم من قال مرة لسحابة مرت به : امطري حيث شئت... فسيأتيني خراجك - وهو هرون الرشيد - ومنهم من اتسعت مملكته حتى استطاع أن يأمر بأن يدفع إلى أصحاب سفن جيحون أقصى الشرق أجرتهم من مالية أنطاكية في أقصى غرب المملكة، وحضر رسول

قيصر ليدفع له الخراج فما تسلّم منه إلا على باب كاشغر - وهو ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي -، ومنهم من كان يُرهبُ في أوربا وتمتّع الكنائس من ضرب الأجراس إذا دخل المسلمون في بلاد احتراماً لدينهم، وإشفاقاً من سلاطهم - وهو سليمان بن سليم العثماني التركي - ومنهم ومنهم ومنهم.

راقبتهم يتقدمون ليصلوا في مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويسلموا على صاحبه يعتبرون ذلك أعظم سعادة لهم، وأكبر شرف، ويتمنون لو رفعت هذه الصلاة ولو قبل هذا التسليم، ويسمح لهم بالوقوف في مصلاه، والوقوف أمام مرقد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقومون بواجب الإجلال والتكريم والاعتراف بالجميل، رأيتهم يتقدمون إلى الأمام تقصر خطاهم، وتتعثّر أقدامهم، والمهابة تملأ قلوبهم حتى وصلوا إلى الصفة - وهو مكان فقراء الصحابة - ووقفوا أمامها ينظرون إليها نظر الإكابر والإجلال، ونظر الحياء والاحتشام، وصلوا بجوارها ركعتين تحية للمسجد، ثم تقدموا إلى القبر الشريف فسلموا على نبيهم كيف شاء حبهم وإجلالهم، وكما شاء علمهم وإيمانهم متأدين بأداب الشرع، متقيدين بشريعة التوحيد، وسمعتهم يقولون: لولاك يا رسول الله ولولا جهادك ودعوتك التي وسعت الآفاق، وفتحت البلاد، ولولا دينك الذي آمن به آباؤنا، فخرجوا به من حياة الخمول والهوان والعزلة عن العالم إلى حياة الشرف والطموح والمغامرة، فأسسوا دولا واسعة، وفتحوا بلاداً شاسعة، وجبوا الخراج من الأمم التي كانت تسوقهم بالعصا وترعاهم كالغنم فلولا هذا الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الانطواء على النفس والحياة القبلية الضيقة إلى غزو العالم وفتح الأمم لما ارتفعت لنا راية،

ولا رويت لنا رواية، ولبقينا في صحارينا القاحلة، وفي أوديتنا الضيقة المظلمة، نتصارع ونتناحر، يأكل القوي منا الضعيف، ويظلم الكبير منا الصغير، طعامنا أفقر طعام، وعيشنا أخس عيش، لا نفكر في مكان أوسع من هذه القرية الصغيرة، التي نرتبط بها أسماك بركة وفضاضع بئر، نعيش في عالم نفوسنا وتجاربنا المحدودة، ونغني بمجد آباءنا الجهلاء السفهاء، ولكنك يا رسول الله ألقى علينا ضوء من دينك تفتح بها عيوننا، وتوسع به خيالنا، فخرجنا إلى أرض الله الواسعة نحمد دينه الواسع ورابطته الجامعة، وأشعلنا مواهبنا الخادمة الجامدة، نحارب الشرك والوثنية والجهالة والظلم، فأسسنا هذه الدول العظيمة، ونعمنا ونعم أولادنا وأخواتنا في ظلها قرونا، وها نحن أولاء نقدم إليك تحيتنا، ونقدم إليك ضريبة الإجلال والتكريم، والحب والتعظيم، وهي ضريبة نقدمها طوعا واختيارا، ونتشرف بتقدميها ونعترف بتقصيرنا في جنب دينك الذي أسعدنا الله تعالى به، وتطبيق أحكامه *، وتنفيذ قانونه ونستغفر الله تعالى إنه هو الغفور الرحيم.

وقد كنت مصروفا إلى هؤلاء الملوك أرى وجوههم الخاشعة وأسمع كلامهم الرقيق، الذي لم أسمع له أبدا منهم، إذ تقدم فريق آخر مشى في صفوف الملوك من غير اكتراث واهتمام، لا يخشى لهم سطوة، ولا يراعي لهم حرمة، فقلت : شاعر أو تائر، فإذا هو مجموع من الفريقين، فيهم السيد جمال الدين الأفغاني، والأمير سعيد حلیم، والزعيم محمد علي الهندي، والشهيد حسن البنا، والشاعر التركي محمد عاكف، والشاعر محمد إقبال، وقدموا الآخر ترجمانا لهم فإذا هو يقول : أشكو إليك يا رسول الله من قوم لا يزالون يعيشون في ركدك، ويأكلون من فتات مائدتك، وينعمون بالحرية والشرف في بلاد أنت حررتها من

حكومة الظالمين، وأخرجتها إلى ضوء الشمس، إنهم يحاولون أن ينقضوا الأساس الذي قامت عليه هذه الأمة العظيمة، وهذا الصرح العظيم، ويريدون أن يوزعوا أمتك الواحدة في قوميات وعصبيات كثيرة، ويحيون ما أمتها، ويبنون ما هدمتها، ويرجعوا بهذه الأمة إلى الجاهلية التي أخرجتها منها للأبد، ويقلدوا في ذلك أورها التائهة، الحائرة، المفلسة، ويبدلوا نعمة الله كفرةً ويحلوا قومهم دار البوار.

* هذا في الملوك والسلاطين الذين كانوا يطبقون الأحكام الشرعية أما غيرهم من الظلمة والعلمانيين الحاليين فلا حظ لهم في هذا الشرف والإسعاد بل الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بريء منهم وسيطردون عن حوضه يوم القيامة وإن ادعوا الإسلام.

إن الصراع بين مصباحك المنير وشرارة أبي لهب قد عاد من جديد، وقد انضم إلى معسكر أبي لهب كثير من الناطقين بلغتك، وغادوا يتغنون بأمجادهم الجاهلية، والأصنام التي حطمتها، إنهم المطففون " الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ " المطففين 2-3، نالوا منك كل بر عاشوا به، وكل قوة اعتزوا بها، ثم إنهم يأخذون بنواحي شعوبهم التي يحكمونها ويريدون أن يلقوها في أحضان أورها وفلسفاتها الجاهلية من قومية، واشتراكية، وشيوعية. ها هي الأوثان التي أخرجتها من جوف الكعبة تعود وتعاد إلى الشعوب المسلمة السليمة البريئة بأسماء جديدة وبثياب جديدة، إني أرى في بعض أجزاء العالم العربي الذي يجب أن يكون معسكرك ثورة لا فاروق لها، وردة لا أبا بكر لها. مني ومن جميع أصحابي الذين أشرف

بتمثيلهم والتعبير عما في ضمائرهم إليك أفضل التحيات وأشرف التسليمات، وأؤكد لك وأشهد الله على ما أقول : إننا برآء من الزعماء والعظماء الذين ولوا وجوههم شطر الغرب وانصرفوا عن قبلة الإسلام وشطره، والذين لا صلة لهم بك ولا شأن لهم بدينك، وإننا ندين لك بالولاء والوفاء، وسنظل متمسكين بجبل الإسلام حتى يأتي وعد الله ونلقى ربنا...

وَم تنته هذه الكلمة المؤمنة البليغة حتى ارتفع صوت المؤذن عاليا على منائر مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : الله أكبر الله أكبر الله أكبر وأفقت من غفوتي وما كنت أسبح فيه من عالم الخيال والتاريخ، وإذا بي أمام الواقع رجال في الصلاة، ورجال في تلاوة القرآن، وجموع من المسلمين، ووفود من العالم الإسلامي تسلم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخليط من الأصوات والانطباعات والعواطف...

ميلاد عالم جديد

إذا تساءلنا ما هو اليوم من أيام التاريخ الذي يستحق من الإنسانية أعظم تقدير وإجلال ويستحق أن يذكر فلا ينسى، ويستحق أن يعتبر اليوم الخالد بين عالم وعالم.

وإذا تساءلنا ما هو اليوم الذي تشترك في إجلاله والاحتفال به وإبداء السرور فيه الإنسانية على اختلاف طبقاتها واختلاف أممها

وشعوبها واختلاف نزاعاتها وفلسفتها لأنها سعدت فيه بعد شقاء طويل، ونهضت فيه بعد عثرة دامت قروناً.

وإذا تساءلنا ما هو اليوم الذي يعتبر ميلاد العالم الجديد، وفاتحة العهد السعيد، ورمز انتصار الفضيلة على الرذيلة، والعدل والمساواة والرحمة على الظلم والقساوة والهمجية.

وإذا تساءلنا ما هو اليوم الذي ولدت فيه الأمة العربية ولادة جديدة، بل ولدت لأول مرة وظهرت على مسرح التاريخ واستحقت أن تسمى الأمة أول مرة.

وإذا تساءلنا ما هو اليوم الذي طلع فجره واستحق أن يفسح في أجله ويمد في حياته ويعتمد عليه في بناء المجتمع الجديد في إحياء ما اندرس من الفضائل وفي إعادة كرامة الإنسان وفي الأخذ على يد الظالم وفي الحياة الجديدة التي تليق بشرف الإنسان وكان فرحة جديدة له في البقاء والازدهار.

كان الجواب في كل ذلك من غير نزاع ومن غير تردد هو ذلك اليوم الذي ولد فيه الحبيب سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرف وعظم ومجد وكرم.

إنه اليوم الذي وجدت فيه الإنسانية الإيمان الذي فقدته وأفلست فيه من مدة طويلة الإيمان بفاطر هذا الكون ووحدانيته، والإيمان بمصيرها وبالبعث بعد الموت، بعدما يئست من مستقبلها وتهالكت

على الحياة وعبادة الشهوات إن ذلك اليوم هو اليوم الذي يحق أن
تنشد فيه الإنسانية في اعتزاز واهتزاز وبلاغة وإيجاز.

وُلِدَ الهدى فالكائنات ضياءً

وَفَمُ الزمان تَبَسُّمٌ وَثَناءُ

في مهد الإسلام

قالوا لي : حدثنا عن الحجاز وعهدك به قريب قلت : نعم إن
الحديث عن الحبيب حبيب لا أتذكر ذلك اليوم الذي كان فيه ذكر
مكة والمدينة جديدة على أذني، وكان اليوم الأول الذي سمعت فيه
عن مولد الرسول، ومهد الإسلام، وعن مدينة الرسول ومهاجره صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم وقد نشأت شأن أولاد المسلمين في بيئة لا
ينقطع عنها ذكر الحجاز وبلديه المشرقين - مكة والمدينة -.

لقد سمعت في صغري عن الجنة ونعيمها، وسمعت بنفس الحنين
وبنفس الإجلال عن الحجاز وبلديه، فنشأت على الحنين إلى المجموع،
نشأت على الحنين إلى الجنة والحجاز، فلما تقدمت في السن عرفت أن
الجنة لا سبيل إليها في هذه الحياة فصبرت وتجلدت وعزيت نفسي.
أما الحجاز فقالوا : الوصول إليه ميسور، وقرأت أن قوافل الحجاز
غادية رائحة، فلم أجد عنه عزاء، ولم أجد لنفسي عذراً في عدم الوصول
إليه، ثم تقدمت في السن أيضاً وقرأت سيرة الرسول صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم وتاريخ الإسلام فتجدد الشوق القديم واشتعل الحنين في الضلوع وحقق الله أمنيته وتشرفت بالحج والزيارة.

وقفت في هذا البلد الذي تحيط به جبال جرداء سوداء، لا يكسوها عشب ولا خضرة، ولا تجوس خلالها الأنهار، متجرد عن كل ما يسترعي الاهتمام، وعن كل ما يشرح الصدر ويسر النفس من فتنة المناظر وجمال الطبيعة ورقة الهواء وعذوبة المياه فقلت : ما أفقر هذا البلد في المظاهر وما أكبر فضله على الإنسانية والعالم المتمدن فلولا هذا البلد الذي لا يتناول بالمظاهر والمناظر لكان العالم قفصاً ذهبياً يبقى فيه الإنسان طائراً سجيناً، فهذا هو البلد الذي أخرج الإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها وأعاد إلى الإنسانية حررتها وكرامتها ووضع عنها إصرها والأغلال التي كانت عليها وما قلت : لولا هذا البلد إلا وخطر ببالي أن أزن عواصم العالم ومدنها الكبرى كلها في هذا الميزان العادل، وأرى ماذا ينقص البشرية وماذا ينقص الحضارة لولا هذه المدن وعرضتها أمامي بلداً بلداً فرأيت أن هذه المدن قد جنت على المدنية والإنسانية في مختلف أدوارها فكم أقفرت في سبيلها البلاد، وكم شقيت أمم لسعادة أمة وشقيت أمة لسعادة أفراد...

أما لولا مكة لتجردت الإنسانية من أجمل ما عندها من معانٍ وحقائق، وعقائد و أخلاق، وعلوم وفضائل. هنا وجد العالم إيمانه الذي فقده منذ قرون، ووجد العلم الصحيح الذي ضيعه في غياهب الجهل والظنون، ووجد الكرامة التي أهدرها الطغاة والظالمون، وبالإجمال هنا وجدت الإنسانية من جديد وضع التاريخ من جديد.

ولكن مالي أقول لولا مكة أما كانت مكة وبجبالها ورمالها بل بيتها وزمزمها هذه القرون الطويلة التي تقدمت القرن السادس المسيحي لا تنكر من أمر هذه الإنسانية التائهة شيئاً، ولا تمد إليها يد المساعدة، محصورة بين جبالها ورمالها، تعيش في عزلة عن العالم، كأنها ليست من أسرة الإنسانية الشقيقة ولا رقعة من هذه الأرض الفسيحة؟ بل أخرى بي أن أقول : لولا ابن مكة الذي تغير به التاريخ، وانقلب به تيار الحياة، واستأنف العالم سيراً جديداً إلى نحو جديد.

وهنا تمثلت لي مناظر مختلفة، إني لأرى سيد قريش - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - يطوف بالبيت وحده، وهو موضع سخرية واستهزاء، وتمتد إليه يد الإهانة والإيذاء، وهو مقبل على عمله، خاشع متواضع، ثم أراه بعدما ينتهي من طوافه يحاول الدخول في البيت فيأتي عثمان بن طلحة سادن الكعبة وينال منه فيحلم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويقول : " يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت " فيقول : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، فقال: " بل عمرت وعزت يومئذ "، ثم كأني أراه يوم الفتح يطوف بالبيت وحوله جمع من أصحابه الذين يفدونه بالأنفس والأرواح، ويطلب سادن الكعبة فيقول : " هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء ".

لقد شهد التاريخ أنه لم يملك المفتاح الذي استطاع أن يفتح به الكعبة فحسب، بل ملك المفتاح الذي فتح به أقفال البشرية المعقدة التي أعيت عقلاء العالم كلهم، ذلك المفتاح هو القرآن الذي نزل عليه،

والرسالة التي أكرمها الله بها، والذي لا يزال يقدم مساعدته لفض
مشاكل جديدة، وفتح أقفال جديدة.

وتوجهت بعد الحج إلى المدينة المنورة على جناح الشوق يحدوني
حادي الحب والوفاء، أتحمل متاعب السفر، وأتمثل ذلك الراكب الأول
الذي ملأ الفضاء نوراً وسكينة، ووصلت إلى المدينة المنورة وصليت
ركعتين في مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحمدت الله
على ذلك ثم وقفت وأنا مثقل بمن لا أستطيع أن أكافئها، ولا أستطيع
أن أقضي حقها، وصليت عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسلمت
عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشهدت أنه صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله
حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، وسلمت على صاحبيه الوفيين
الأمينين الذين لم يعرف التاريخ البشري صاحباً أوفى لصاحبه منهما، ولا
خليفة أقوى على حمل أعباء الخلافة منهما رضي الله تعالى عنهما
وأرضاهما. ثم توجهت إلى البقيع تلك القطعة الصغيرة التي تحتضن
أعظم ثروة الصدق والصفاء والخلة والوفاء، وهناك رجال آثروا الآخرة
على الدنيا، وآثروا الغربة والهجرة في سبيل الإيمان والعقيدة على البقاء
في الوطن في سبيل الشهوة والراحة، وآثروا جوار الرسول صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم على جوار الأحبة والأقارب، فلم يبغوا عنه حولا، ولم
يطلبوا له بدلا " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ "
الأحزاب 23.

وتوجهت إلى أحد تلك القطعة التي مثلت أروع رواية، وأعظمها
تأثيراً على تاريخ الإنسانية، رواية الإيمان واليقين، رواية البطولة

والوفاء، رواية الحب الطاهر، والولاء النادر، وكأني أسمع من أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه " إني لأجد ريح الجنة من دون أحد " ويقول سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه : ماذا صنع بالحرب بعد - سيدنا - محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد طار في الناس أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قتل، فيقول أنس : ماذا صنع بالحياة بعده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وهنا في أحد ترسّ أبو دُجانة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بظهره والنبل يقع عليه. وقاتل طلحة دونه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى شلت يده وكسر عدة سيوف ويقول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اليوم كله لطلحة ارم فداك أبي وأمي. وهنا قتل حمزة أسد هذه الأمة رضي الله تعالى عنه ومثل به وقتل مصعب بن عمير أنعم فتیان قريش عيشاً رضي الله تعالى عنه ولم يجدوا ما يكفونوه به إلا الكساء الذي لا يغطي كل جسده. يا ليت أحدا أعار العالم شيئاً من هذا الحب والولاء، وأهدى للعالم شيئاً من الإيمان واليقين فتبدلت الأرض غير الأرض، والعالم غير العالم.

إن الحديث عن الحجاز والحرمين الشريفين له لون خاص، إنه يدور حول رحله العظيم ويتصل برسالاته وتاريخه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإنه حديث عن مهد الإسلام وبلد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

من غار حراء

طلعتُ جبل النور ووقفْتُ على غار حراء وقلت لنفسي : هنا أكرم
الله بالرسالة حبيبتنا وسيدنا - محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -
ونزل عليه الوحي الأول، فمن هنا طلعت الشمس التي أفاضت على
العالم نوراً جديداً، وحياة جديدة، إن العالم ليستقبل كل يوم صباحا
جديداً، وما أكثر ما استقبل العالم صباحا لا جدة فيه ولا طرافة، ولا
خير فيه ولا سعادة، وما أكثر ما استقبل العالم صباحاً استيقظ فيه
الإنسان ولم تستيقظ فيه الإنسانية، واستيقظت فيه الأجسام ولم
تستيقظ فيه القلوب والأرواح، وما أكثر النهار المظلم والصبح الكاذب
في تاريخ العالم، ولكن من هنا طلع الصبح الصادق الذي أشرق نوره
على كل شيء واستيقظ فيه الكون وتغير مجرى التاريخ، لقد كانت
الحياة كلها أقفالا معقدة، وأبوابا مغلقة، كان العقل مقفلا أعياء فتحة
الحكماء والفلاسفة، كان الضمير مقفلا أعياء فتحة الوعاظ والمرشدين،
كانت القلوب مقفلة أعياء فتحتها الحوادث والآيات، كانت المواهب
مقفلة أعياء فتحتها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة، كانت المدرسة
مقفلة أعياء فتحتها العلماء والمعلمين، كانت المحكمة مقفلة أعياء فتحتها
المتظلمين والمتحاكمين، كانت الأسرة مقفلة أعياء فتحتها المصلحين
والمفكرين، كان قصر الإمارة مقفلا أعياء فتحة الشعب المظلوم والفلاح
المجهود، والعامل المنهوك، وكانت كنوز الأغنياء والأمراء مقفلة أعياء
فتحتها جوع الفقراء وعري النساء وعويل الرضعاء، لقد حاول
المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هذه الأقفال فقتلوا
وأخفقوا فإن القفل لا يفتح بغير مفتاحه، وقد ضيعوا المفتاح من
قرون كثيرة، وجربوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم فإذا هي لا

توافق الأقفال، وإذا هي لا تغني عنهم شيئاً وحاول بعضهم كسر هذه الأقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم.

ففي هذا المكان المتواضع المنقطع عن العالم المتمدن على جبل ليس بمخصب ولا بشامخ، تَمَّ ما لم يتم بعواصم العالم الكبيرة، ومدارسه الفخمة، ومكتباته الضخمة، هنا من الله عز وجل على العالم برسالة حبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وفي رسالته عاد هذا المفتاح المفقود إلى الإنسانية.

ذلك المفتاح هو الإيمان بالله تعالى والرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واليوم الآخر ففتح به هذه الأقفال المعقدة قفلاً قفلاً، وفتح به هذه الأبواب المقفلة باباً باباً... وقد ذهلت في حديثي لنفسي، وتمثلت لي الحياة الإسلامية الأولى بجمالها وتفصيلها كأني أشاهدها وأنتعش في جوها، وانقطعت الصلة بيني وبين العالم المعاصر.

وحانت مني التفاتة إلى هذا العصر الذي نعيش فيه فقلت : إني لأرى أقفالا جديدة على أبواب الحياة الإنسانية، وقد قطعت الحياة مراحل طويلة، وخطت خطوات واسعة، وتعقدت الحياة والتوت وتطورت المسائل وتنوعت، وتساءلت هل يمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح العتيق، وأبيت أن أحكم حتى اخترت هذه الأقفال، وأضع عليها المفتاح، وليست هذه الأقفال بالبنان فإذا هي الأقفال القديمة بتلوين جديد، وإذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم، وإذا المشكلة الكبرى وأساس الأزمة هو الفرد الذي لا يزال لبنة المجتمع وأساس الحكومة، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح اليوم

لا يؤمن إلا بالمادة والقوة، ولا يعني إلا بذاته وشهواته، وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الأنبياء وعقيدة الآخرة، فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء المدينة.

ولذلك أصبح المفكرون والمتشرعون لا يجدون حلاً لهذه المشاكل التي حلت بالإنسانية وأصبحوا إذا خرجوا من أزمة واجهوا أزمة أخرى بل إن حلولهم القاصرة ومعالجاتهم المؤقتة هي التي تسبب أزمات جديدة، وتنقلوا من حكومة شخصية إلى ديمقراطية إلى دكتاتورية ثم إلى ديمقراطية، ومن نظام رأسمالي إلى نظام اشتراكي إلى شيوعي، وإذا الوضع لا يتغير لأن الفرد الذي هو الأساس لا يتغير... لأنهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر لا يملكون ما يصلحون به الفرد... لأنهم أفلسوا في الروح وتخلوا عن الإيمان وفقدوا كل ما يغذي القلب ويغرس الإيمان ويعيد الصلة بين العبد وربّه... وفي الأخير أدى بهم إفلاسهم الروحي وماديتهم العمياء واستكبارهم إلى استعمال آخر ما عندهم من آلات التدمير التي تبيد شعباً بأسره، وتخرّب قطعاً بطوله....

فجزى الله تعالى هذا الداعية العظيم والمصلح الكبير ورحمه رحمة واسعة على ما أتحننا به في هذه الرسالة الرائعة.

غريبة

ذكروا عن الإمام سيدي محمد بن العربي الحاتمي رحمه الله تعالى ورضي عنه - والعهدة على من ذكر القصة - أنه كان راكباً في سفينة فهاج البحر وارتفعت الأمواج فقال : اسكن يا بحر فإن عليك بحرين بحراً من العلم، وبحراً من الولاية، فأخرجت دابةً من البحر رأسها وقالت له يا شيخ : لي سؤال قال : وما هو؟ قالت: إذا مسخ شخص بماذا تعتد زوجته؟ هل تعتد عدة الطلاق أم عدة الوفاة؟ فلم يجد جواباً فقالت له : اتخذني شيخاً أجبك عنها قال : قد فعلت، قالت : إذا مسخ على صفة حي تعتد عدة الطلاق، وإذا مسخ على صفة جماد كحجر مثلاً... تعتد عدة الوفاة. فهذه حكاية غريبة إن صحت كما أن فتوى الدابة غريبة أخرى والله تعالى أعلم بصحتها...

المُعَمَّرُونَ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَةِ

خلق الله عز وجل الإنسان وجعله خليفة في هذه الأرض يعمرها ويتمتع بما خلق فيها وقدر لكل أجلاً مسمى يعيشه عليها لا يتعداه : " فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " الأعراف 34.

وجعل سبحانه وتعالى منهم من يموت جنيماً أو طفلاً صغيراً أو شاباً أو كهلاً أو شيخاً هرمياً ومنهم من يعمر عقوداً وعقوداً ومنهم القصير السن والمتوسط.

وقد كان الإنسان القديم منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام إلى ما قبل سيدنا موسى عليه السلام يعيش ألف سنة فما بعدها كما ورد

نصاً عن أبينا آدم وسيدنا نوح عليهما الصلاة والسلام فقد عاش سيدنا آدم ألف سنة ولبث سيدنا نوح في قومهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين سنة، ثم قصرت الأعمار فأصبح غالب الناس لا يجاوزون المائة وأخبرنا نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين وقليل من يجوز ذلك.

وقد عاش نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثاً وستين سنة وكذا خليفته من بعده سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما نعم هناك في الأمة من عاش المائة والخمسين وأكثر وقد ألف الحافظ الذهبي رحمه الله في المعمرين كتاباً خاصاً.

وقرأنا وسمعنا في عصرنا هذا عن عاش ثلاثمائة سنة وهو من عجائب وقتنا عاش هذا السن رجل كافر من المكسيك جنوب أمريكا أما من عاش مائة وثلاثين أو مائة وخمسين فجماعة نعم رأيت من عاش مائة وخمسة عشر عاماً وهم جماعة التقيت بهم ويقال إن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه عاش أكثر من ثلاثمائة سنة... والله يفعل ما يشاء.... ومع كل ذلك فلا ينجو أحد من الموت : " كُي نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " الأنبياء 35، " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ " القصص 88، وقال نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " عش ما شئت فإنك ميت " اللهم اختم علينا بالشهادة والسعادة آمين آمين آمين.

الحياة بعد الموت

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه، إن سورة البقرة من السور السبع العظام وهي أطول سورة في القرآن وأفضلهن بعد الفاتحة... واشتملت على خصائص في العقيدة والتشريع والأخلاق والقصص وأخبار الأقدمين لم تذكر في غيرها ومن ذلك ذكرها أقواماً أماتهم الله تعالى ثم أحياهم... وقد ذكروا في خمس قصص أربع وقعن في بني إسرائيل وإحداهن وقعت لسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

فالأولى جاءت في قصة سيدنا موسى بعدما عبد قومه العجل فاختر منهم سبعين رجلاً من أفاضلهم ليذهبوا معه إلى الطور ليعتذروا لله تعالى... فلما سمعوا كلام الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ " البقرة 55، فماتوا عن آخرهم فسأل موسى عليه السلام ربه فيهم وخشع وبكى وقال " رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا " الأعراف 155، فأحياهم الله عز وجل كما قال تعالى : " ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " البقرة 56.

الثانية قصة البقرة : ومضمونها أن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً وكان وارثه ابن أخ له فطالت عليه حياته فقتله ليرث ماله فذهب ألي كليم الله موسى عليه السلام فقال له : إن عمي قد قتل فلا أدري من قتله؟ فأوحى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة فلما أمرهم بذلك ردوا عليه كلامه بقولهم : " أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا " البقرة 67، " قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " البقرة 67.

و بعد هذا جعلوا يطلبون منه صفة هذه البقرة حتى بينها لهم أوضح بيان كما قال تعالى : " قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا " البقرة 71، فلما ذبحوها قال اضربوه ببعضها ف ضربوا الميت بقطعة منها فقام الميت فقال : قتلني ابن أخي هذا.

الثالثة : قصة القوم الذين نزل بهم الطاعون فخرجوا فارين منه فأماهم الله ثم بعثهم كما قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ " البقرة 243 الآية هذا ظاهر الآية وقد أخطأ من أولها من المعاصرين.

الرابعة : قصة النبي الذي مر على قرية بيت المقدس وهي خاوية على عروشها بعدما خربها بختنصر وقتل أهلها وشرذ باقيهم، فوقف هذا النبي مفكراً في شأن القرية وأهلها فقال : " أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا " البقرة 259، أي كيف يحيي الله أهل هذه

القرية بعد أن ماتوا تساءل عن الكيفية لا عن الإحياء لأنه كان نبياً يؤمن بالبعث بعد الموت ولم يكن شاكاً كما قيل فأماته الله مع حماره مائة عام ثم أحياه وحماره وفي هذا يقول تعالى : " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " البقرة 259.

أما ته الله مائة عام هو وحماره ثم أحيهما وكان له طعام وشراب ولم يتغير منهما شيء طوال تلك المدة وأراه الله تعالى إحياء حماره وتركيب عظامه وعضلاته وإلقاء اللحم عليها وقيامه حيا ناهقاً وما قال له الملك كم مكثت ميتاً أجابه يوماً أو بعض يوم لأنه كان أميت أول النهار وأحى آخره بعد مائة عام. لا إله إلا الله نشهد أنه على ما يشاء قدير لا يعجزه شيء.

القصة الخامسة : قصة خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حيث سأل الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى فقال له : " قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ " البقرة 260، " قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي " البقرة 260، فأمره أن يأخذ جماعة من الطيور فيقطعهن قطعاً ويضع أجزاءها على جبل ثم يدعوها ففعل فلما دعاها جاء كل جزء فاتصل ببعضه حتى تكونت تلك الطيور جميعها وأصبحت كما كانت وهو ينظر إليها وفي ذلك يقول تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " البقرة 260.

وقوله تعالى " فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ " أي قطعهن واخلط لحمهن وريشهن.

قال المفسرون : إنه أخذ طاوساً ونسراً وغرباباً وديكاً وفعل بهن ما ذكر وأمسك رءوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رءوسها.

وهذه من الآيات والمعجزات العظيمة والله قدير على ما يشاء
ويفعل ما يريد فالإحياء والإماتة بيده ومن أجرى شيئاً من ذلك على
يد إنسان كنبى أو ولي فإنها ذلك بإذن الله تعالى وقدرته لا يملك
الإنسان من ذلك قلامة ظفر ولا قطميراً.

فلا تتعجب مما جمعه ابن أبي الدنيا فيمن عاش بعد الموت وما
يوجد في تراجم بعض الصالحين وأولياء الله تعالى من إحيائهم الموتي
فإن كل ذلك من خلق الله أجراه على أيديهم كرامة لهم.

آية الكرسي

آية الكرسي أعظم آية في القرآن كما جاء في حديث أبي بن كعب
رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال
له : " أي آية معك أعظم؟ " قال : آية الكرسي قال : " ليهنك العلم ".
رواه مسلم في صحيحه.

وجاء أن قراءتها عقب كل صلاة من موجبات الجنة رواه النسائي في اليوم واللييلة والطبراني وغيرهما، وورد أنها سيدة آي القرآن رواه الترمذي.

ومن خصائصها أنها عشر جمل كل جملة منها مستقلة بنفسها خطأ ومعنى وهي : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - الْحَيُّ الْقَيُّومُ - لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ - لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ - مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ - يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ - وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ - وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا - وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ - " .

ومن خصائصها أن قارئها لا يزال عليه من الله حافظ كما في البخاري، وإنما كان لها هذه لأنها كلها توحيد فقد جمعت من أصول الأسماء والصفات لله تعالى ما لم تجمععه آية ففيها الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة وغيرها وهذه هي أصول أسماء الله تعالى وصفاته، ولا أشرف ولا أجل ولا أعظم من الكلام الذي يدل على توحيد الله تعالى وتقديسه وتنزيهه.

فلا تترك قراءتها أيها المسلم عقب صلواتك، وعند نومك، وصباحك ومساءك.. فإله تعالى أعظم مذکور فما كان ذكراً له من توحيد وتعظيم... كان أعظم الأذكار والله الموفق الهادي.

سـؤال

مما يشاع بين طلاب العلم وخاصة في الكليات والمؤسسات العلمية قولهم العلم ذهب مع أهله، وأنه لا يوجد أحد يتعلم في المؤسسات العلمية إلا من أجل الشهادات والدنيا. فبماذا يرد عليهم؟ وما الحكم إذا اجتمع قصد الدنيا والشهادة مع نية طلب العلم لنفع نفسه ومجتمعه؟

وإجابة عن هذا نقول : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وزوجه، العلم علماً علم يتعلق بشئون الدنيا كالهندسة والطب والفيزياء... والتوسع في الرياضيات والجغرافيا... وغير ذلك وعلم يتعلق بالشئون الدينية كتعلم القرآن، والتفسير، والحديث، والفقهاء الإسلامي، والعقائد، والسيرة النبوية وما يتعلق بذلك كتعلم العلوم العربية وأصولي الفقه والحديث...

فالقسم الأول تعلمه كتعلم سائر المهنة من نجارة وحدادة وبناء وخرافة وفلاحة وتجارة فتعلمه طلباً للحصول على الشهادة التي تؤهله لوظيفة ما لا بأس به في حد ذاته لكن تعلم ذلك قد تعثره عوارض تجعله محموداً مأجوراً عليه إذا نوى بإخلاص نفع مجتمعه لأنه يكون قائماً بفرض من فروض الكفاية لأن تلك العلوم فيها ما هو فرض كفاية كالطب مثلًا والرياضيات...

وقد يكون تعلمه محرماً إذا كان في مؤسسة مختلطة بالذكور والإناث كمؤسسات عصرنا الحالي...

أما القسم الثاني وهي العلوم الشرعية فلا يجوز تعلمها إلا لله تعالى ويحرم تعلمها بقصد الحصول على الشهادة فقط لأن ذلك يعتبر عملاً

لغير الله تعالى وقد ورد الوعيد الشديد على من تعلم علماً يبتغي به وجه الله لعرض من أعراض الدنيا وسيكون ذلك وبالاً على صاحبه وقد جاء في الحديث الصحيح أن أول من يقضى عليهم يوم القيامة ثلاثة أصناف من الناس فذكر منهم من قرأ القرآن أو تعلم العلم لغير الله تعالى.

وتعلم العلم للحصول على الشهادة هو الذي قضى على العلوم الإسلامية وأصبح المتعلمون علماء مبتورين لا يتقنون أي علم من علوم الدين وإنما الأمر الوحيد الذي يتقنونه هو الكلام والتمشيق أما العلوم الدينية فقد ذهب أهلها وأصبح من يتقنها كالغراب الأبقع، ولو استرسلنا في الموضوع لذكرنا العجب العجيب مما كان يحمله علماؤنا رحمهم الله تعالى من العلوم.

فقولهم العلم ذهب مع أهله وأنه لا يوجد أحد يتعلم في المؤسسات إلا من أجل الشهادات والدنيا... هو قول صحيح يصدقه الواقع والله تعالى أعلم.

التشهد في الصلاة

من صفات الصلاة التشهد فيها مرتين في وسطها وفي آخرها إن كانت رباعية كالظهر، والعصر، والعشاء، أو ثلاثية كالمغرب، ومرة واحدة كالصبح.

وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بألفاظ متعددة عن جماعة من الصحابة فقد رواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبو موسى، وعائشة، وسمره بن جندب، وأبو حميد الساعدي، وعلي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان وعن عمر موقوفا رضي الله تعالى عنهم.

فحديث ابن مسعود رواه الستة ولفظه :

كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : السلام على الله السلام على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم : " إن الله - جل علاه - هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل : التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد لله - جل علاه - صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - ثم يتخير من المسألة ما شاء " وفي رواية للبخاري ومسلم علمني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التشهد كفي بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن الحديث.

وفي رواية للبخاري : كنا نقول : التحية في الصلاة، ونسمي، ويسلم بعضنا على بعض فسمعه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : " قولوا : التحيات لله.. " الحديث وفي رواية له أيضا : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الصلاة قلنا : السلام على الله

من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام ولكن قولوا: التحيات لله.." الحديث وفيه: " ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو.." .

وفي رواية له: السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان وفلان... وفيه: ثم يتخير بعدُ من الكلام ما شاء، وفي رواية للنسائي: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رواه مسلم والترمذي وغيرهما بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن فكان يقول: " التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - .

وحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " التحيات لله..." كحديث ابن مسعود وهو عند أبي داود بسند صحيح وفيه زيادة: " وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - " وأخرجه أيضا مالك في الموطأ موقوفا عليه وفيه عنده زيادة بسم الله.

وحديث جابر رضي الله تعالى عنه كتشهد ابن مسعود أيضاً رواه النسائي وابن ماجه والبيهقي وقبلهم أبو داود الطيالسي ورجاله على

شرط البخاري وفيه زيادة " بسم وبالله " في أوله واختلف المحدثون فيها فالجمهور حكموا عليها بالخطأ وقالوا إن نابل بن أيمن تفرد بها وخالفهم الحاكم فصححها على شرط البخاري و قال : إن أيمن ثقة احتج به البخاري وذكر له طريقاً آخر على شرط مسلم وأنا شخصياً لا أرى بأساً بالعمل بهذه الزيادة تبعاً لتصحيح الحاكم وشاهدها عن ابن الزبير وهو وإن كان في سنده ابن لهيعة فإن حديثه حسن في الشواهد ثم إن ردهم لهذه الزيادة يخالف قاعدتهم المقررة : وهي قبول زيادة الثقة إذا لم تكن مخالفة وهنا زيادة الثقة غير مخالفة لأصل الحديث والله تعالى أعلم.

ومنذ زمان رأيت في المنام شيخنا الإمام سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى رضي عنه يقول لي : تشهدك أحسن من تشهدي أو نحو هذا وفهمت من ذلك عملي بهذه الزيادة في التشهد.

وحديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه رواه مسلم عنه في صفة صلاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم....: " وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم : التحيات، الطيبات، الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " ورواه أبو داود والنسائي وزاد هذا : " وحده لا شريك له " مع محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها رواه البيهقي كلفظ ابن مسعود ورواه مالك في الموطأ والبيهقي في السنن الكبرى بلفظ " التحيات

الطيبات الصلوات الزاكيات لله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام ليكم."

وفي رواية للبيهقي فيها ذكر التسمية في أوله وهي من رواية ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث.

وحديث سمرة رواه أبو داود بسند ضعيف بلفظ: "التحيات الطيبات والصلوات والمملك لله ثم سلموا..."

وحديث أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه رواه الطبراني في الكبير وفي سنده الواقدي وحالته معلومة ولفظه... "التحيات لله الصلوات الطيبات الزاكيات لله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم."

وحديث علي عليه السلام رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن هاشم الجنبي فيه لين ولفظه: "التحيات لله والصلوات والطيبات والغايات والرائحات والزاكيات والناعمات السابغات الطاهرات لله."

وحديث سلمان رضي الله تعالى عنه رواه الطبراني في الكبير وفي سنده عمر بن يزيد الأزدي ضعيف ولفظه كتشهد ابن مسعود.

وحديث ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما رواه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط قال: إن تشهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم"

باسم الله وبالله خير الأسماء، التحيات لله الطيبات الصلوات، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اللهم اغفر لي واهديني " وفيه ابن لهيعة.

وحديث معاوية رواه الطبراني في الكبير وفي سنده إسماعيل بن عياش وحريز بن عثمان ناصبي خبيث لعان للإمام علي عليه السلام ولفظه كلفظ تشهد ابن مسعود.

وحديث عمر رضي الله تعالى عنه حديث صحيح رواه الإمام مالك رحمه الله تعالى في الموطأ وعنه الشافعي من طريق عبد الرحمن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو على المنبر يعلم الناس التشهد يقول : قولوا : " التحيات لله، الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - " ورواه الحاكم والبيهقي بزيادة في أوله : بسم الله خير الأسماء وصححه الحاكم على شرط مسلم. واتفق المحدثون على أنه موقوف على سيدنا عمر وأنكروا على من رفعه غير أن هذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع حكماً فإن الأحكام الشرعية مصدرها القرآن وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما قاله الصحابة أو فعلوه من ذلك فمرفوع حكماً.

فهذه جملة ما جاء في ألفاظ التشهد في الصلاة وأصحها وأرجحها باتفاق الحفاظ ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وبه أخذ أكثر المحدثين ويليه في الأصحية والأرجحية حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي أخذ به الشافعي ثم يليهما حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه ثم حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وبقائها لا تخلو من مقال وضعف نعم تشهد سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه جاء عنه بسند صحيح وكان يعلمه الناس على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم ينكره عليه أحد وبهذا اخذ مالك رحمه الله تعالى وتبعه عليه أصحابه أما زيادة : " وأشهد أن الذي جاء به محمدٌ حقٌّ، وأن النار حق، وأن الجنة حق، وأن الصراط حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور " فهي زيادة الإمام سيدي ابن أبي زيد القيرواني في رسالته وقد أنكرها عليه القاضي أبو بكر محمد بن العربي المعافري ورد عليه شراح الرسالة سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى وغيره لأن هذه الزيادة داخلية في قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم يتخير من الدعاء أعجبه... كما أنها من كليات الإيمان وأصول الدين فالإتيان بها لا بأس به والله أعلم.

من أخبار الفضوليين مع فائدة هامة

منذ سنوات كنت داخل ساحة المسجد الحرام المكي في صلاة التهجد وكنت أرفع يدي في كل خفض ورفع حتى في السجود وكان إلى جنبي الأيمن سعودي فلما فرغنا قال لي مع نوع من العنف إن رفعك يديك في السجود بدعة وكان هو الآخر يترك سنة الرفع بعد الركوع المتفق على صحة حديثها ثم يأتي بدعة الوضع والقبض المبتدع بعد الركوع الذي لم يقل به أحد لا من الصحابة ولا من التابعين ولا ذكره أحد من الأئمة ولا من أصحاب الخلاف العالي ولا أحد من أتباع المذاهب المتبوعة المشهورة حتى جاء الشيخ ابن باز فألف رسالة في مشروعيته لفهم فهمه من حديث وائل بن حجر غلطاً.

فقلت لذلك الفضولي إن ما أفعله سنة جاء بذلك حديث صحيح رواه النسائي، ولكنك أنت تفعل البدعة وهو وضعك يديك على صدرك بعد الرفع من الركوع ولم يأت بها حديث ولا قال بذلك أحد من الأئمة والعلماء فتعجب من قولي وسكت ولم يرد جواباً.

والحديث الذي أشرت إليه هو ما رواه النسائي في كتاب الصلاة وترجم عليه : باب رفع اليدين عند الرفع من السجدة الأولى ثم ذكره بسنده الصحيح عن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا دخل في الصلاة رفع يديه، وإذا

ركع فعل مثل ذلك، وإذا رفع رأسه من الركوع فعل مثل ذلك، وإذا رفع رأسه من السجود فعل مثل ذلك كله يعني رفع يديه..

وللحديث شاهدان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رواه النسائي وترجمه عليه أيضا: باب رفع اليدين بين السجدين تلقاء الوجه ثم أخرج من طريق أبي سهل الأزدي قال: صلى إلى جنبي عبد الله بن طاوس بمنى في مسجد الخيف فكان إذا سجد السجدة الأولى فرفع رأسه منها رفع يديه تلقاء وجهه فأنكرت أنا ذلك فقلت لوهيب بن خالد: إن هذا يصنع شيئا لم أر أحدا يصنعه فقال له وهيب: تصنع شيئا لم نر أحدا يصنعه فقال عبد الله بن طاوس: رأيت أبي يصنعه وقال أبي رأيت ابن عباس يصنعه وقال عبد الله بن عباس: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يصنعه ورواه أيضا أبو داود.

والشاهد الثاني عن عبد الله بن الزبير وابن عباس معاً رضي الله تعالى عنهم رواه أبو داود في باب افتتاح الصلاة من طريق ميمون المكي أنه رأى عبد الله بن الزبير صلى بهم يشير بكفيه حين يقوم، وحين يركع، وحين يسجد، وحين ينهض، للقيام فيقوم فيشير بيديه فانطلقت إلى ابن عباس فقلت: إني رأيت ابن الزبير صلى صلاة لم أر أحدا يصليها فوصفت له هذه الإشارة فقال: إن أحببت أن تنظر إلى صلاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاقتد بصلاة عبد الله بن الزبير... ولا يضر هنا وجود ابن لهيعة فإن حديثه حسن في الشواهد.

أما حديث ابن عمر المخرج في الصحيحين الذي فيه : وكان لا يفعل ذلك في السجود فقد أجبت عنه في رسالتي : " الطرح والرفض " كما أجاب عنه ابن دقيق العيد أيضاً في شرح العمدة فلتراجع.

وإني أرى هذا من الخلاف المباح كالإشارة بالسبابة وعدمها في التشهد وكألفاظ الآذان والإقامة، والقنوت في صلاة الصبح، وتقديم اليدين أو الرجلين في الهو للسجود والدعاء مع رفع الأيدي عقب الصلوات والتوسل إلى الله تعالى بذوات الأفاضل وأمثال ذلك مما لا ينبغي الاعتراض فيه على المخالف فاعرف ذلك أيها المسلم ولا تكن من المتعصبين ولا من المتزمتين والمتنطعين فإن في الأمر سعة والحمد لله على تيسيره.

مقامات الوحي

إن للوحي مقامات ثلاث كما ذكر الله تعالى في سورة الشورى حيث قال : " وما كان لبشر أن يكلمه حكيم "

فذكر تعالى أنه لا يكلم أحداً من البشر كفاحاً وإنما يكلمه وحياً بالقاء ما يريدته تعالى في روع الرسول وقلبه كما جاء في حديث عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب " هذا مقام والثاني يكلم الله من شاء من رسله وراء الحجاب كما فعل مع نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء ومع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بالواد المقدس طوى عند جبل الطور كما قال تعالى : " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا " النساء 164، وقال : " إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي " الأعراف 144.

وكان كلامه معه حقيقة ولا ندري كيفيته فيجب أن نؤمن به كما جاء وكيف وقع من غير تشبيهه كلامه تعالى بكلام المخلوقين.

وقد ذكر الله عز وجل كلامه لموسى في مواضع من القرآن وهو من أعظم معجزاته عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فذكره في سورة الأعراف 143، حيث قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ " ... وذكره في سورة طه 9-10-11-12-13-14، في قوله تعالى : " وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ

امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى،
 فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ
 الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي " الآيات وآخر المكالمة قوله تعالى :
 " أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى " طه 48، وذكره في أول سورة النمل
 7-8-9-10، حيث قال تعالى : " إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
 سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمَّا جَاءَهَا
 نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا
 مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقَى عَصَاكَ " الآية، وذكره أيضا في
 سورة القصص 29-30، في قوله تعالى : " فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ
 بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
 لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمَّا آتَاهَا
 نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا
 مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " الآية، وذكره في سورة النازعات 15-
 16-17، حيث قال تعالى : " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ
 بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى "، وذكره تعالى
 باختصار في مواضع أخرى.

وهذا مما خص به نبي الله سيدنا موسى عليه السلام ونبينا صلى الله
 تعالى عليه وآله وسلم وأن كلمه الرب جل جلاله ليلة الإسراء فإنه
 تعالى لم يذكر ذلك في القرآن صريحا كما قال في كلمه موسى عليه
 السلام.

نعم كلام الله عز وجل مع نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جاء في أقدس ليلة وأشرف موضع كان ذلك ليلة الإسراء فوق السماوات السبع حيث قال تعالى له يا محمد إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة الحديث وقد قال عز وجل في هذا المشهد : " فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ... " النجم 10، وزاد نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رؤية الله عز وجل في هذه الليلة بعيني رأسه التي منعها موسى عليه الصلاة والسلام كما هو قول جمهور العلماء ومنهم الإمام أحمد وأبو الحسن الأشعري وآخرون من السابقين واللاحقين، انظر شرح النووي على مسلم 5/4/3 وفتح الباري للحافظ 131/130/10 والشفاء للقاضي عياض.

يبقى هنا أمر آخر وهو أن كلام الله تعالى صفة من صفاته الذاتية لا يشبه كلام المخلوقات كما أن ذاته لا تشبه الذات.

فهو تعالى متصف بالكلام كاتصافه بالحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر وهو دائم الكلام يتكلم متى شاء وبأي شيء ومع من شاء فهو يكلم ملائكته في شأن الكائنات وينادي عباده كل ليلة عند تجليه إلى السماء الدنيا ويتكلم عند عصيان أي عبد من عباده التائبين فيقول : أذنب عبي وعلم أن له ربا يغفر الذنب الخ في قضايا كثيرة جاءت بها السنة المحمدية ومن كلامه القديم الكتب الإلهية التي أنزلها على رسله صلوات الله وسلامه عليهم كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن والصحف... فكلها من كلامه القديم عبر عنها تعالى وأنزلها على رسله بلغتهم فأنزل التوراة والزبور بالعبرانية، والإنجيل بالسرانية... والقرآن بالعربية الكل منه تعالى لا دخل لأحد في ذلك

وكان المقروء منها والمحفوظ في الصدور والمسموع بالأذان والمكتوب في الصحف كله كلام الله عز وجل غير أن ألفاظنا بذلك وأصواتنا ونطقنا بتلك الحروف مخلوقة من الله لنا، ومع ذلك نسمي ما نقرؤه ونكتبه ونسمعه قرآنًا وكلام الله حقيقة لا مجازاً كما يقال هذا خلاصة ما في الموضوع ولندع ما وراء ذلك من الخلافات التي أفضت ببعضهم إلى الكفر أو نطق بما يخالف الواقع والمشاهدة كمن يقول بأن ألفاظنا بالقرآن قديمة بل وحتى ورق المصحف وجلده فيلزم هؤلاء أن يقولوا بأن الإنسان الناطق بتلك الألفاظ قديم وهذا جنون قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله.

هذا هو المقام الثاني من الوحي أما المقام الثالث فإرسال جبريل أو غيره من الملائكة عليهم السلام إلى أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً فيلقون عليهم ما أمروا به. هذه مقامات الوحي ويزاد عليها مقام رابع وهو الرؤيا يراها النبي فهي من أقسام الوحي وقد بقي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوحى إليه في الأوائل ستة أشهر مناماً كما في الصحيح وجاءت أحاديث كثيرة في رؤياه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حدث بها الصحابة والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه.

هل تعدد تكليم الله موسى؟

بمناسبة تكليم الله موسى عليه السلام يأتي سؤال : كم كلم الله موسى؟ ويكون الجواب :

إن ظواهر القرآن تدل على أنه تعالى كلمه ثلاث مرات :

المرة الأولى لما قدم مدين قاصداً مصر مع أهله وهذه المرة هي المذكورة في السور الأربع طه، والنمل، والقصص، والنازعات.

المرة الثانية كانت بعد إغراق فرعون وقومه وكان الله عز وجل قد وعد موسى بإنزال التوراة عليه وفي هذه المرة أمر موسى بصيام أربعين يوماً قبل الموعد وفيها كان صدور عبادة العجل من بني إسرائيل ولما رجع موسى وعلم ما وقع منهم غضب وألقى ألواح التوراة وأخذ برأس أخيه ولحيته منكرأ عليه عدم إنكاره على قومه في عبادتهم العجل.

المرة الثالثة بعد عبادتهم العجل أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليذهبوا إلى الطور ليعتذروا إلى الله من عبادة العجل فلما ذهبوا مع موسى وكلمه الله عز وجل وسمعوا كلام الله قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وفي هذه المرة والتي قبلها جاءت آيات البقرة والأعراف حيث قال في الأعراف 142-143 : " وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ، وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ " الآية.

وقال تعالى : " وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ " الأعراف 155.

وقال في سورة البقرة 55 : " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً "، فهذه الآية والتي قبلها جاءتا في المرة الأخيرة في السبعين المختارين.

القدس الشريف كيف احتله الصهاينة

زرت القدس الشريف للمرة الثانية عام ستة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية سنة ست وستين وتسعمائة وألف ميلادية فرأيت بجوار المسجد الأقصى أثر الفجور وبيع الخمور فأسفت لذلك وقلت في نفسي إن هؤلاء سيحتلهم اليهود وفي السنة المقبلة سبع وستين وتسعمائة وألف هاجم الصهاينة الضفة الشرقية فاحتلوا ما كان قد تبقى لهم واستولوا على بيت المقدس والخليل وغيرها من الجهة الشرقية كما احتلوا الجولان من سوريا وقبلاوا المطار العسكري لمصر واحتلوا صحراء سيناء وضباط الجيش المصري في ملهى لهم يشربون ويفجرون.

فبيت المقدس لم يضيعه أحد غير أهله من المتمسلمين وقد قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ " الرعد 11،

وقال جل علاه : " وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ " القصص
59.

وفي هذه السفرة ركبت حافلة جماعية من عمان إلى بغداد وكانت
ملآنة بالفلسطينيين والأردنيين... فقطعنا الصحراء بين الأردن وبغداد
ومسافتها نحو من ألف كيلو فكان لا يصلي أحد الركاب إلا عبد ربه
ورجل شيعي بغدادي فكانت الحافلة إذا وقفت في بعض المنازل هرع
كل الركاب إلى المطعم أو المقهى ولا يهتم أحد منهم بالصلاة ولا يفكر
فيها.

وهؤلاء هم المتمسلمون الذين استعمرهم الصهاينة أو كانوا على
وشك الاستعمار والحرب من الأردنيين... فكيف ينتصر أمثال هؤلاء
على الصهاينة الذين يملكون من الأسلحة ما لا يملكه العرب جميعاً
وقد فقدوا القوة العظمى وهو الدين مع اختلافهم وتناحرهم
وتقاتلهم فيما بينهم على الرياسة والكراسي.

وقد كنت بعد الاحتلال الثاني للضفة وضعت رسالة بينت فيها
سبب احتلال اليهود للقدس الشريف وطرد العرب والمسلمين منه
فمن ظفر بها فليقرأها.

الأحزاب السياسية

من المصائب التي أصيب بها المسلمون تفرقهم في الدين والنحل، والشئون السياسية وتقاتلهم... على السلطة وتولي الإمارة ولما جاء عصرنا واستعمر بلادنا العدو وقامت الشعوب بالمطالبة بالاستقلال ظهرت الأحزاب السياسية وتفرقوا وتعادوا حتى أدى بهم الحال إلى الاختطاف والتعذيب والتقتيل وكان عندنا بالمغرب عدة أحزاب : حزب الاستقلال ويتزعمه علال الفاسي، وحزب الشورى وكان رئيسه الحسن الوزاني، وحزب الوحدة المغربية وكان صاحبه المكي الناصري، وحزب الإصلاح، وزعيمه الطريس.

فكان لكل حزب أنصار وأقوام انخرطوا فيه تلبية لدعايات أصحابه فكنت تجد البيت الواحد فيه إخوة متعادون متقاطعون حسب انتمائهم للحزب ولما استفحل الأمر جاء من كان يسمى سعيد رمضان المصري الذي كان وقتئذك من رءوس إخوان المسلمين فقدم إلى المغرب صحبة بعض الباكستانيين بقصد التدخل في الصلح بين تلك

الأحزاب وكان ذلك في الخمسينات من القرن العشرين فاجتمعوا بالمسجد الأعظم بطنجة - وكنت حاضراً - وكان يوم الجمعة فلما فرغ الخطيب من الخطبة والصلاة وكان أستاذنا عبد الحفيظ كنون رحمه الله تعالى صعد المنبر سعيد رمضان فألقى كلمة له ثم تلاه الباكستاني ثم واعدوا باللقاء من الغد... بمقر الوحدة المغربية التي كانت توجد بشارع الحرية ولما كان يوم الموعد اجتمع الناس وكثر الحضور وامتلأت الدار والساحة والشارع بالأهالي رجالا ونساء وحضر الزعماء والقياديون وكنت قريبا منهم لأني كنت منخرطاً في حزب الوحدة وبدأت الخطب والكلمات من بعد الساعة الثانية زوالا حتى ما بعد المغرب ولم أر أحداً صلى العصر ولا تكلم في شأنها وأنا متحسر ونادم على الحضور لأني لم أصل العصر في وقتها تبعاً للزعماء وفيهم العلماء فلما خرجت انسحبت من الحزب وحلفت ألا أعود إليه أبداً وعلمت أن القوم لا دين لهم وأن الأحزاب السياسية كلها لا خير فيها لأنهم لا يهتمون إلا بمصالح أحزابهم وشئون الدنيا وهم بمعزل عن الدين إلا من رحم الله وقليل ما هم، وعلمت علم اليقين أن التحزب شر محض لأن فيه مفاسد كثيرة أعظمها تفرق صف المسلمين وخلق العداوة بينهم كما هو مشاهد في كل الشعوب والأقطار، وأنا أوصي كل أخ مسلم متدين أن لا يغتر بأهل الأحزاب السياسية وليكن على حذر منهم.

نعمة القلم والكتابة

القلم والكتابة من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان ولا سيما بعد بعثة خاتم النبيين وسيد سادات العالم أجمعين سيدنا محمد الهاشمي المطلبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومجد وكرم ولذلك كان القلم الإلهي من أول ما خلق فقال الله تعالى له : " اكتب فقال : ما أكتب؟ فقال : اكتب ما هو كائن إلى الأبد " كما جاء في الحديث الصحيح وبالقلم كتب في اللوح المحفوظ مقادير المخلوقات قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام كما في صحيح مسلم عن نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وكان أول ما نزل على نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سورة العلق التي فيها امتنانه تعالى على الإنسان تعليمه إياه بالقلم فقال عز وجل : " اقرأ وربُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " العلق 3-4-5، فيا سبحان ربنا ما أكرمه وما ألطفه بعباده إن الإنسان ليخرج من رحم أمه جاهلاً جهلاً بسيطاً لا يعلم شيئاً فأعطاه السمع والبصر والفؤاد وجعل يعلمه الأشياء تدريجياً وجعل تعالى هذه الجوارح الثلاثة هي طريق العلم والمعرفة : السمع والبصر والفؤاد فالسمع أولها ثم البصر ثم الفؤاد فأول ما يحس به الإنسان ما

يطرق سمعه فالسمع له الأسبقية في المعرفة والعلم وقد علم بالتجربة أن الجنين في بطن أمه يتحرك عند سماعه صوتاً مزعجاً أما البصر فلا يكسب العلم بنظره إلا بعد مرور شهر أو شهرين على ولادة المولود ثم يصير يتقوى شيئاً فشيئاً حتى يصبح يفرق بين أمه وبين ما يحيط به وفي هذه الأثناء يأتي دور الفؤاد فيصير هو الآخر يكسب المعارف تدريجياً وبعد سنة ونحوها يلهم الطفل تعلم البيان ويأتي دور نعمة اللسان تلك النعمة العظمى التي بها يعبر الإنسان عما في ضميره والتي بها يسعد أو يشقى وقد امتن الله تعالى علينا بهذه النعمة الجليلة في معرض الإنكار على ذلك الشقى اللعين حيث قال تعالى : " أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " البلد 8-9-10، وقال تعالى ممتنا على عباده بنعمة البيان : " الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " الرحمن 1-2-3-4، أي ألهمه النطق والكلام الذي يستطيع به أن يبين عن مقاصده ورغباته وبذلك يتميز عن الحيوان الأعجم فيا لها من نعمة، أما نعمة القلم والكتابة فهما أعظم وأجل وأرقى نعمة ولذلك أقسم الله عز وجل بهما في قوله تعالى : " وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " القلم 1-2-3-4، فأقسم تعالى بالقلم وما يكتبه الكاتبون من علوم ومعارف على أن هذا الرسول الكريم سيدنا محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صادق فيما قال وما جاء به وأنه سالم مما نسب إليه من الجنون وأن له الأجر العظيم غير منقطع جزاء ما تحمله من الأذى في سبيل الدعوة وهو إلى جانب ذلك على أدب جميل رفيع وخلق فاضل كريم لم يدرك أحد شأوه وفي القسم هنا بالقلم والكتابة إشادة بفضل الكتابة

والقراءة فقد فضل الإنسان من بين سائر المخلوقات بالكتابة والقراءة
فحسبنا دليلاً على شرف القلم والكتابة أن الله عز وجل أقسم بهما في
هذه السورة - القلم - تمجيداً لشأن الكاتين ورفعاً من قدر أهل
العلم قال القرطبي : نبه تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من
المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إنسان، وما دونت العلوم، ولا
قيدت الحكم، ولا ضببت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله
المنزلة إلا بالكتابة، ولولاها ما استقامت الدنيا والدين... فهذه المكاتب
العالمية التي تضم ملايين المجلدات في شتى العلوم الدينية والدينية
ما دونت وأنشئت إلا بالقلم والكتابة وما لنا نذهب بعيداً فلولا القلم
والكتابة لما عرفنا ولا قرأنا القرآن الكريم بتفاسيره وشروحه وعلومه
التي تعد بالآلوف وما عرفنا شيئاً مما حدث به رسولنا صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم وشرعه لنا من الأحكام والأخلاق... ولما كانت هذه
الأمهات والأصول الضخمة في السنة النبوية التي ملأت العالم والتي
تعد بالآلوف.

فالحمد لله على إنعامه وإفضاله والحمد له على آلائه وجلالها
والحمد له على كل نعمة أنعم بها علينا من أصغرها إلى أكبرها حمداً
كثيراً طيباً مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ويرضى.

الوسوسة ودواؤها

كثيرا ما يعتري الشباب الوسوسة في الله عز وجل مما لا يستطيع
أحد منهم الإفصاح به وهذا داء خطير عياداً بالله تعالى يلجؤ إليه

الشیطان لعنه الله لیضل الناس به ویشککهم فی ربهم وقد سئلت عن ذلك من طرف جماعة من الشباب والشيوخ كما قد سبق لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن حصل لهم ذلك فسألوا النبي صلی الله تعالى علیه وآله وسلم مما یخطر ببالهم من ذلك فأرشدهم إلى علاجه ودوائه وهو ما جاء فی الآتی :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله صلی الله تعالى علیه وآله وسلم فسألوه : إنا لنجد فی أنفسنا ما یتعاضم أحدنا أن یتکلم به قال : " وقد وجدتموه؟ " قالوا : نعم قال : " ذاك صريح الإيمان " رواه مسلم وغيره.

فقوله " ما یتعاضم " أي یجد أحدنا الکلام به عظیما لاستحالاته فی حق الله عز وجل وقوله " صريح الإيمان " معناه استعظام ذلك وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلا عن اعتقاده إنما یكون لمن استكمل إیمانه فإنه لا یحمله علی دفع ذلك إلا محض الإيمان ولولا إیمانه لقبول ما ألقى فی نفسه.

وقد جاء فی حدیث آخر بیان ما یخطر ببالهم من نزغات الشیطان مع دواء ذلك.

فقد قال صلی الله تعالى علیه وآله وسلم : " یأتی الشیطان أحدکم فیقول : من خلق کذا وكذا حتی یقول له : من خلق ربک فإذا بلغ ذلك فلیستعذ بالله ولینته " وفي رواية : " فمن وجد من ذلك شیئاً فلیقل آمنت بالله ورسله " رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية عند أحمد وأبي داود عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عز وجل فإذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ."

وفي رواية من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه يعرض بالشيء لأن يكون حَمَمَة أحب إليه من أن يتكلم به فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة " رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح.

" الحممة " الفحمة.

والوسوسة هي حديث النفس والأفكار التي يلقيها الشيطان في القلوب حول الرب تعالى فهي من نزغات الشيطان.

فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان ويتفل عن شماله ويقول آمنت بالله ورسله " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " ولينته ولا يسترسل في ذلك والحمد لله على هداية الله تعالى وتوفيقه.

إعجاز القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله القديم لا يتشكك فيه إلا ملحد وهو أعظم مقدساتنا وطريق ديننا وأوسع معارفنا وأوعى لأحكامنا وأكثر بياناً لأخلاقنا وأجمع كتاب لذكر التوحيد ودلائله الكونية والتشريعية وهو المعجزة العظمى الخالدة لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فقد كانت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزات شتى لكنها ذهبت بذهابهم ولم يبق شيء منها بين أيدي الناس أما معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكان له منها الحظ الأوفر وهي المذكورة في دواوين السنة المحمدية وبقي منها بين أيدي أمته القرآن الكريم الذي قال في شأنه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما من الأنبياء نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً " أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فالقرآن الكريم معجزة باهرة دائمة باقية ما بقى الإسلام والمسلمون.

وإعجاز القرآن ليس مقصوراً على ناحية خاصة منه بل أنواعه كثيرة وأهمها ما سنذكره هنا باختصار :

إعجازه البياني :

وهذا النوع يرجع إلى حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته الخارقة عادة

العرب فنظمه عجيب، وأسلوبه غريب لم تعهده العرب في أساليبها من نظمها ونثرها وقد تحداهم الله تعالى بأن يأتوا بأقصر سورة مثله فعجزوا وأخفقوا كما قال تعالى : " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا

عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنَّ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ " البقرة 23.

وقال : " فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ " الطور 34.

وقال : " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ " هود
.13

بل قد أخبر سبحانه عنهم بأنهم لا يستطيعون ولو اجتمع الإنس
والجن على ذلك كما قال تعالى : " قُلْ لَّيِّنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى
أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ مِثْلَهُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً
" الإسراء 88، وقال في آية أخرى : " فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا "
البقرة 24.

وهذا النوع كان وحده كافياً في الإعجاز لأن القرآن نزل بلسان
العرب ومع ذلك لم يستطع أحد من فصحاءهم وبلغائهم أن يعارضوه
ويأتوا ولو بأقل وأقصر سورة من مثله.

إعجاز القرآن الغيبي :

إن البشر عاجزون عن التعرف على ما سبق في تاريخ البشرية أو ما
سيأتي في مستقبل الأزمنة وإنما علم ذلك يرجع إلى خالق هذا الكون
ومالكة والقائم عليه فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون على سبيل
الإجمال والتفصيل.

فإذا جاء رجل كنبينا صلى الله تعالى عليه وآله و سلم وهو أمني لا يقرأ ولا يكتب بكتاب فيه خبر من سبق من الأولين وخبر ما يأتي من اللاحقين مبيناً مفصلاً أفلا يكون ذلك أمراً خارقاً للعادة ومعجزة عظيمة كلا وحق ربي إنها لأعظم معجزة.

إعجاز القرآن التشريعي والتربوي :

ما جاء به القرآن الكريم من بيان الأحكام والحلال والحرام والأخلاق والآداب وتزكية النفوس وكل ما يصلح البشرية أو يفسدها وما ينفعها ويضرها هو أمر لا يستطيع أي مخلوق مهما بلغ في الثقافة والعلوم الفلسفية... أن يأتي بعشر معشار ما جاء به القرآن الكريم والإعجاز في ذلك واضح.

إعجاز القرآن بالبقاء عبر الأجيال :

ومن إعجاز القرآن الكريم حفظه من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان فلم يزل بحمد الله تعالى وحفظه غضا طرياً كما أنزل وهو ظاهر بين الناس في جميع أصقاع الأرض حيث يوجد المسلمون محفوظا في المصاحف والصدور جيلا بعد جيل حجة قائمة لا يستطيع أحد تغييره ولا تبديله وإن حاول لأن الله عز وجل تولى حفظه فقد قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " الحجر 9، وقال تعالى : " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " فصلت 42.

إعجاز القرآن العلمي :

وهذا النوع المراد به إشارة القرآن الكريم إلى ذكر حقائق علمية تكلم عليها وصدقها الواقع والعلوم الحديثة التجريبية الحالية التي أصبحت فنوناً ومواداً تدرس في الجامعات والكليات فقد أخبر القرآن الكريم بكل ما يخوض فيه اليوم علماء الكون والإنسان والحيوان قبل قرون متطاولة وقد أشرت إلى ما ذكره القرآن من ذلك بالتفصيل في كتابي : " دلائل التوحيد " وقد ألف جماعة من علماء الإسلام المعاصرين في هذا الموضوع الهام النافع ومن أشهر ذلك وأحسنه في الجملة : " الإعجاز العلمي في القرآن الكريم " للأستاذ عبد الرحيم مارديني و" القرآن وإعجازه العلمي " للأستاذ إسماعيل بن إبراهيم مع تحفظ من هذا " الإعجاز العلمي في القرآن " للدكتور الجميلي و" من إشارات العلوم في القرآن الكريم " للشيخ عبد العزيز السيد الأهدل وغيرها كثير وسيأتي لنا كلام في الموضوع لاحقاً إن شاء الله تعالى.

عبرة

رأى بعض أصحابنا وزيراً لبعض الدول العربية في المنام فسلم عليه وقبل يده فلما أصبح تقرحت شفتاه وبقي يشتكي بذلك مدة. وفي هذا عبرة أي عبرة فإذا كان مقبل يد الظالم في المنام حصل له ما حصل وهو غير مكلف في منامه ولا مسئول عما وقع له فكيف يكون حال من يقبل أيدي الظلمة في اليقظة ويصاحبهم ويركن إليهم بل كيف يكون حال أولئك الظلمة الجبابرة الطغاة إن أمرهم لعظيم

وخطير ولولا خطورة شأنهم لما قال تعالى : " وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ " هود 113، فمجرد الميل إلى الظلمة أعم من أن يكونوا كفرة أو متمسلمين يوجب النار عياداً بالله تعالى.

ولخطورة هذا الأمر كان أهل الدين والصلاح يفرون من الدخول على أمراء الظلم ويبتعدون عنهم نسأل الله تعالى السلامة والعافية في ديننا ودينانا.

بشارة لابن حزم

ذكر ابن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه في الفتوحات المكية أنه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام واقفاً والحافظ علي بن حزم رحمه الله تعالى معانقه حتى سقط إلى الأرض ورسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قائم.

فأول هذه الرؤيا بأن ابن حزم لم يزل حياته متمسكاً بالسنة
المحمدية عاملاً بها حتى توفي والسنة النبوية لا زالت قائمة ثابتة لم
تتغير.

وهذا التعبير إن صح فقد صدقه واقع ابن حزم وحالته فإنه رحمه
الله تعالى كان إماماً في السنة حافظاً متقناً عاملاً بها لا يقدم عليها أي
رأي من آراء أهل العلم وإن جلوا ومن قرأ كتابه العظيم المحلى عرف
ذلك وتحقق فرحمه الله تعالى وإيانا وجعلنا من المتمسكين بسنة خير
البرية صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى الموت.

طريقة

كان بعض الأدباء من أهل تطوان بصدد جمع الأمثال العامية الشعبية
الشائعة بين أوساط أهل المدينة فاتصل برجل مَسْنٍ صالح فأخبره بما
يريده وقال له هل تحفظ شيئاً من الأمثال العامية فنظر إليه الرجل
وجعل يفكر فقال له نعم : " إن بقاء الرجل بلا شغل عاطلاً مصيبة "
فهذا ما نحفظه من الأمثال وفي هذا المثل الذي ذكره له من ابتكاره
فيه حكمة فإن ضياع الوقت في أمثال هذه السفاسف من أعظم
المصائب فالوقت نعمة من نعم الله العظيمة فكيف يضيعه الإنسان
في الخرافات وما لا فائدة فيه في دين المرء فإن الوقت سيف إن لم
تقطعه قطعك، والنفس أمارة بالسوء إن لم تشغلها في حق شغلتك في
باطل، وقد انخدع أقوام من أهل العلم بالاشتغال بعلوم لا فائدة في
الاشتغال بها كمن يقضي حياته مثلاً في الأدب والشعر والفلسفة ونحو
ذلك من العلوم التي لا فائدة ترجى من ورائها بل قد تؤدي به إلى

التطرف والانهماك في الآثام...بينما تجده جاهلا بكثير من أبواب
الحلال والحرام والأخلاق...

طريقة في ضمنها فائدة

قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من سبأ : ما أجهل قومك حين
مَلَكُوا عليهم امرأة. فقال الرجل : أجهل من قومي قومك حين قالوا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين دعاهم إلى الحق : "
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ
السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " الأنفال 32، ولم يقولوا : إن كان هذا هو
الحق من عندنا فاهدنا إليه. فسكت معاوية.

أقول : كل من معاوية والرجل اليمني صادق فالسبئيون جهلة
مغفلون ضالون لم يكن فيهم رجل رشيد عاقل إذ كيف تكون الأنثى
ذات الثديين الناتئتين والفرج ذي الشفرين رئيسة على شعب تحكمه
أو لها عليه ولاية من الولايات وهي مخلوقة لفراش الرجل وتمتعه بها
والقيام بشئون البيت وتربية الأولاد مع ضعف عقلها وقلة دينها
وسيلان فرجها بدم الحيضة على رأس كل شهر طيلة سبعة أيام ثم
حملها بالأجنة وخروج الأطفال من فرجها ويبقى جريان دم رحمها إلى
أربعين يوما أو أكثر ثم عند اعتدال مزاجها تكون مفتونة بتجميل

وجهها وحاجبيها وعينيها... فلا شك أن القوم الذين يولونها عليهم أي ولاية كانت هم أجهل الناس وأبعدهم عن الصواب وأضلهم طريقاً وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة " وهو في الصحيح، نعم وكفار قريش الذين قالوا : " اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ " الآية أسفه وأغرق في الجهالة والضلال والشقاء والخسران ممن يولون المرأة عليهم.

فكلام الرجل السبئي أبلغ وأظهر من كلام معاوية وإن كان كل منهما محقاً.

عبرة

توفي رئيس لدولة عربية وكان شعبه يقدسونه ويحبونه كثيراً فرأى بعض الصالحين في المنام بعض معارفه من الأموات فسأله عنه فقال له : إنه الرقم الخامس عشر في جهنم عياداً بالله تعالى.

ولا نشك في أن حكام الشعوب الإسلامية اليوم على خطر عظيم لأنهم لا يحكمون شرع الله تعالى ويحاربون من يدعوهم إلى ذلك ويوالون الكفار ويحكمون قوانينهم ويضيعون حقوق الله تعالى وحقوق شعوبهم وينشرون الفساد في بلادهم.

فقيه مغفل وطالب له يفجر بامرأته

ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراي رضي الله تعالى عنه في لطائف المنن أن فقيهاً في عصره كان له طالب يدخل على امرأته ويخدمه في البيت وربما اختلى مع المرأة وكان الفقيه المغفل يقول له إنها أمك ومع مرور الأيام اتخذ الطالب زوجة شيخه خدنة له وجعل يواقعها وفي بعض الأيام جاء الفقيه والطالب مع المرأة في وقت غير مناسب ولا علم بالفقيه به ولما علمت المرأة بوقوع فضيحة أدخلت الطالب المكتبة وأغلقتها عليه ولما تناول الفقيه طعام الغداء أراد القيلولة وقصد المكتبة فجعلت المرأة تعترضه وتمنعه من النوم بالمكتبة وأخذته لغرفة أخرى والطالب في المكتبة ترعد فرائضه ويتضرع إلى الله ويسأله إن نجاه من هذه الفضيحة لا يعود إلى مثل ذلك أبداً فستره الله تعالى حتى خرج ولم يعلم الفقيه شيئاً مما وقع ولا خطر شيء من ذلك بباله.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ذلك الفقيه كان مغفلاً وبليداً فإن المرأة لا ثقة بها وفروج النساء لا أقفال لها وأكثر النساء خائئات لأزواجهن كالرجال ودخول الرجل ولا سيما الشاب على أي امرأة ولا سيما مع الخلوة من أخطر شيء عليهما.

فلا تثق أيها الإنسان بأي شخص على مقابلة زوجتك أو بنتك فإنك ستعرض حريمك لما لا تحمد عقباه كما أنك لا تثق بنفسك وتنزهها عن الوقوع في الفاحشة أو أي معصية وفي التاريخ وقائع كثيرة حصلت لأناس كانوا يثقون بأنفسهم فوقعوا في فواحش وعظائم من الآثام ولخطورة الموقف أمر الشارع بالابتعاد عن المرأة الأجنبية ونهى عن الدخول على النساء ونهى عن الخلوة بالمرأة كما نهاها هي الأخرى عن السفر بمفردها بلا محرم منها كما نهاها عما يثير الشهوة الجنسية من الرجال فتخرج بارزة بلا حجاب سافرة متبرجة متعطرة ونهاها عن كل ما يلفت أنظار الرجال إليها وأخبر نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه ما ترك بعده شيئاً أضر على الرجال من النساء كما في الصحيح.

ولذلك كان من أهم الشروط التي يشترطها شيوخ الصوفية على المرید السالك أن يبتعد عن النساء والمردان من الأطفال وأن لا يصحبهما أو يصعد النظر إليهما. والله المستعان فالمحفوظ من حفظه الله فاعرف هذا أيها المؤمن ولا تغتر.

تعلق قدرة الله بالمستحيل

ذهب جمهور علماء الكلام إلى أن قدرة الله تعالى لا تتعلق إلا بالواجب والجائز وأنها لا تعلق لها بالمستحيل.

وخالفهم فريق آخرون وقالوا بعموم تعلقها وممن عرف بذلك الإمام الحافظ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي وقد شنع في ذلك على الأشاعرة... وألزمهم بأن القول بعدم تعلق قدرة الله تعالى بالمستحيل يلزم منه إعجاز القدرة الإلهية وذلك كفر والقول بهذا وجيه وواضح لأن من قال إن الله تعالى لا يقدر على إدخال جمل في عين الإبرة كان كافراً وهكذا يقال في جميع المستحيلات عندنا في محيط عقولنا وكان أستاذنا سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى ممن يحبذ هذا المذهب ويؤيده.

وقد أخطأ من قال بالقول الأول وخالف نصوص القرآن الكريم التي لا تخلو منها أغلب السور فقد ذكر سبحانه وتعالى في القرآن المجيد قدرته على كل شيء في نحو من ستين مرة فأكثر.

كقوله تعالى: " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " البقرة 106، وقوله: " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا " فاطر 44، وقوله: " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " الملك 1، في آيات من هذا النمط كما جاء بصيغة قادر وقادرين في آيات أخر.

فتخصيها بالواجبات والجائزات تخصيص بغير دليل إلا العقل
المجرد ويحكى أن شيطانين التتقيا فاختلفا في أي الرجلين أعظم الفقيه
أو العابد؟ فاختار كل واحد منهما ما ظهر له فقال من رجح العالم
لصاحبه تعال حتى تنظر فذهبا إلى عابد منقطع ليس معه علم فقال
له أحدهما إني اختلفت أنا وهذا هل يقدر الله عز وجل أن يدخل
الجمل في عين الإبرة أم لا فأجابهما لا يمكن ذلك أبداً فانصرفا وقال
من رجح العلم لصاحبه ها هو ذا العابد قد كفر ثم ذهبا إلى عالم
فطرحا عليه نفس السؤال فقال لهما : إن الله لا يعجزه شيء فهو على
كل شيء قدير. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه
وزوجه.

من غرائب الكرامات وعجائبها

قال سيدي عبد الوهاب الشعراي قدس سره في لطائف المنن :

ومما من الله تبارك وتعالى علي إيماني بالغيب من صغري سواء كان غائباً عن بصري أو عن إدراك عقلي، وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فلم يقع لي قط توقف في شيء تحيله العقول ويثبته الشرع من صغري إلى وقتي هذا وقد مدح الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب وجعلهم من المفلحين، وكرامات الأولياء فرع عن معجزات الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام إلينا بما تحيله العقول وآمنا بذلك من غير تأويل، فكذلك الحكم في كرامات الأولياء يجب الإيمان بها، وقد حكى لي مرة شخص من أهل بيت المقدس أنه كان مسافراً هو وزوجته الحامل فخرج عليهما الأسد من أمامهم وقطاع الطريق من خلفهم، فصاح الولد من بطن أمه صيحة عظيمة فولى الأسد راجعاً وولي قطاع الطريق هارين فلما ولدت وأفصح الولد أخبر أمه بالقضية وكيفيتها قال : وقد ذكر الشيخ عبد الغفار المعروف بابن نوح في أول كتابه المسمى بالوحيد في علم التوحيد أن خادم شيخ العرب شيخ الشيوخ ابن مسكينة ببغداد أخذ سجادات الفقراء وسبق بها يوم الجمعة ليفرشها لهم فنزل يتطهر في شط في الدجلة فطلع بمصر فوجد رجلاً صباغاً وكان يعرف صنعة الصبغ فاستعمله صانعا عنده في الصبغ وزوجه ابنته وأقام معها سبع سنين وولد له منها أولاد ثم نزل يوم الجمعة ليغتسل في بحر النيل فطلع ببغداد ووجد السجادات في المكان الذي تركها فيه فأخذها وفرشها لهم وصلوا صلاة الجمعة فقال له الشيخ قد أبطأت في هذه المرة فحكى له القصة فقال له الشيخ هل كنت تفكرت في شيء أو أنكرت شيئاً من كرامات الأولياء؟ فقال : نعم، تفكرت في معنى قوله تعالى : " فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " المعارج 4، فقال له :

يا ولدي إن الله يبسط الزمان في حق قوم، ويقبضه في حق قوم آخرين، وقد أراك الله تعالى ذلك، ثم إن الشيخ أرسل إلى مصر وأحضر أولاده إلى بغداد فعرف بعضهم بعضاً وأقره علماء ذلك العصر من غير نكير في ذلك.

قال سيدي الشعراي رحمه الله تعالى : وهذه الحكاية لا يتوقف في الإيمان بمثلها إلا الضعفاء فإن القدرة لا يتوقف عليها شيء، وهذه من مسائل ذي النون التي تحيلها العقول، مثل إدخال الواسع في الضيق من غير أن يتسع الضيق وتأمل يا أخي إذا رسمت القرآن كله في قالب وصرت تختم به على الورق الأبيض فيرسخ القرآن كله في آن واحد، فلو أراد صاحب القالب أن يكتب كل يوم كذا وكذا ألف ختمة لفعل.

قال : وقد حكى لي الشيخ يوسف الكردي صاحب سيدي إبراهيم المتبولي أنه اشتها زيارة والدته فدخل الخلوة بعد العصر فرأى أنه داخل بلاد الأكراد فمكث عند أهلها سنة ثم سافر إلى بركة الحج ثاني مرة فلما خرج من الخلوة أخبرهم بالخبر فضحكوا عليه، ثم إن والدته جاءت وأخبرت الفقراء أنه أقام عندها سنة قال : وقد تقدم في هذه المنن أن سيدي علي المرصفي أخبرني أنه قرأ في حال سلوكه في اليوم واللييلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة. قال : وفي القرآن العظيم : " قَالَ عَفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " النمل 39-40، مع بعد المسافة ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر، فإياك أخي والاعتراض فقد وضح السبيل ورفع

النص التأويل والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويرشدك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين.

وأقول من نمط هذا ما ذكر العلامة الإمام سيدي أحمد بن المبارك الفاسي عن شيخه العارف الكبير سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله تعالى عنهما أنه بعد أن فتح الله تعالى عليه رأى يقظة في مشاهدة أنه تزوج وولد له وقضى حياته كلها إلى أن توفي...

وكان لنا صاحب من الأشراف الصالحين توفي منذ زمان حدثني قال إنه رأى مرة قبل أن أولد أنا أنه رأني راكبا على حمار في بعض شوارع مدينة طنجة، فمررت عليه وضربته بقضيب كان بيدي فأراد أن يبطش بي فرده عني والدي وقال له : يا سيدي الشريف إن هذا ابن عمك وهو لا يزال صغيراً وسوف تكون تلميذاً له إلى آخر ما قال ثم ولدت ونشأت وقرأت القرآن وتعلمت ما قدر الله لي من العلوم وكان من قدر الله أن اتصل بي وعمري يناهز الأربعين وهو في عقد الستين فصحبنا حتى توفي رحمه الله تعالى وعمره فوق الثمانين.

وذكر سيدي الشعراي في المنن أيضاً أنه استعار مدونة سحنون من فقيه مالكي المذهب فقرأها كلها في ليلة واختصرها ثم من الغد ردها إلى صاحبها والكتاب في عدة مجلدات حسب الطبقات.

فهذه الوقائع وأمثالها من جنس طي الزمان والمكان وكلاهما جاء به الشرع فهذا نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قطع آلاف الأميال ليلة الإسراء حتى وصل إلى ما فوق السماء السابعة في بضع ساعات

من ليلته ولما جاء مكة المكرمة وأتاه الكفار يسألونه عن بيت المقدس
صوره الله له أمامه ينظر إليه ويخبرهم عنه...

وهذا الذي عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس في لمحة من
العين والمسافة أكثر من شهر... وكل ذلك واقع بقدرة الله عز وجل
وإذنه لا تأثير فيه لأحد، فالذي قدر على ما ذكر هو القادر على ما
ذكره سيدي الشعراي وغيره فالله تعالى لا يعجزه شيء وعقولنا لها
حدود محدودة.

وقد جاءت الشرائع بأشياء لا تقبلها عقولنا كالغيبيات والحياة بعد
الموت والبلوى وما إلى ذلك ولولا الوحي الإلهي وإرسال الرسل
المأمونين الصادقين المصدقين لما صدق أحد بذلك.

وعلى أي فهذا أمر راجع إلى ما تقدم من تعلق القدرة بالمستحيل
فلنؤمن بأن الله عز وجل قدير على كل شيء أرادته لا يعجزه شيء أيا
كان قبلته عقولنا أم كان فوق مستواها.

طريقة فيها نكتة

من أشراط الساعة التي ذكرها لنا نبينا صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم إضاعة الأمانة وفسرها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن يوسد
الأمر إلى غير أهله.. وأن يتكلم الرويضة التافه في الشؤون العامة.

وها نحن أولاء الآن نعيش مع هذه العلامة التي حدثنا بها نبينا
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقد تغيرت الأوضاع وانقلبت الموازين
وأصبح الأمين خائناً، والخائن أميناً والفاجر عزيزاً معظماً مكرماً

والمؤمن البر التقي ذليلاً مهاناً وعلا المناصب العامة السفهاء وحكم الشعوب الإسلامية الخونة لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولدين الله... وساد الجهلة وتكلم في الشئون العامة كل من هب ودب حتى ذكروا تنكيتا أن روسيا بعثت إلى بعض الدول المتخلفة كلبا استطلاعيا فمكث مدة ثم جاء فسئل ماذا رأيت في تلك الدولة فقال نعمت الدولة ولكن إذا لم تنبح لا تصل إلى حقك، ثم أرسلوا بقرة فلما رجعت سألوها كذلك فأجابت بما قال الكلب وزادت إذا لم يحلبوك لا يقضون لك حاجة ولا يعطون لك علفاً ثم بعثت أخيراً حماراً فأطال الإقامة مدة سنة ولم يرجع فأرسلوا وراءه فامتنع من الرجوع وقال : كيف أرجع إلى بلاد روسيا وأنا الآن أصبحت رئيساً في البرلمان.

أقسام الكفر والشرك والنفاق

جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة كل من الكفر والشرك والنفاق على قسمين. أما الكفر فجاء بمعنى جحود ما جاء به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من توحيد الله تعالى وإنكار الرسالة وما يتبع ذلك وصاحب هذا النوع مخلد في النار وجاء الكفر كفراً عملياً لا يخرج صاحبه من الملة بل هو من جملة عصاة الموحدين وقد أطلق هذا على أصناف من العصاة كتارك الصلاة مثلاً والحاكم بغير ما أنزل الله تعالى والمنتسب لغير أبيه، والطاعن في نسب الغير ومصديق العراف والذي يأتي المرأة في دبرها في جماعة آخرين فهؤلاء إن كانوا مؤمنين بالكليات الست إيماناً صادقاً غير منكرين شيئاً مما شرعه الله عز وجل

ثم صدر منهم شيء مما سبق كانوا عصاة في مشيئة الله تعالى وأدلة ما ذكرنا يطول إيرادها.

وأما الشرك فيطلق في الإسلام على معنيين أيضاً أحدهما المخرج من الملة وهو اعتقاد شريك مع الله عز وجل يعبد معه كما يعبد الله ويعتقد فيه أنه يضر وينفع ويعطي ويمنع ويؤثر بذاته.

والثاني شرك أصغر وهو أنواع كالرياء والسمعة مثلاً، والحلف بغير الله من الكائنات وتشريك الغير مع الله في الكلام كقول الإنسان ما شاء الله وشئت بواو العطف.

أما النفاق ففيه نفاق قلبي اعتقادي وعملي فالأول هو إخفاء الكفر والتظاهر بالإسلام وهو شر أنواع الكفر ولذلك كان صاحبه في الدرك الأسفل من النار كما قال الله عز وجل : " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ " النساء 145، وفي هذا النوع جاءت الآيات القرآنية الكريمة في سورة البقرة 8 : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ " الآيات، وما جاء في سورة التوبة من بوارهم ومخازيهم... وما جاء في سورة المنافقين التي سميت باسمهم بداية من قوله سبحانه : " إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ... " ثم استرسل القرآن في بيان جرائمهم والتحذير منهم ولعنهم وذكر مفترياتهم وكبرياتهم وذكر مقاتلهم العفنة البغيضة التي قالوها في شأن الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه... " يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " المنافقون 8 كما جاء ذكرهم في سور أخرى.

أما النفاق العملي فهو اتصاف المسلم الصادق بصفات المنافقين كاتصافه بالكذب مثلاً، والغدر ونحو ذلك مما جاء في حديث " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان " وفي رواية : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " .

المزية لا تقتضي التفضيل

قد يخص الله عز وجل بعض عباده بمزية أو مزايا من علم أو تقوى أو كرامة وخوارق عادة وهي نعم من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده فمن خصه الله بشيء من ذلك لا يدل على أنه أفضل من غيره على الإطلاق.

فتخصيص سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالكلام في الدنيا مرات لا يدل على أنه أفضل من سائر البشر.

وهكذا يقال في تخصيص سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالولادة بدون أب وإبرائه الأكمه والأبرص وتكلمه في المههد لا يدل على أفضليته على باقي الأنبياء.

وكذا تخصيص سيدنا الخضر عليه السلام بالعلوم اللدنية التي كان لا يعلمها موسى ولا غيره لا يدل على أنه أفضل من موسى...

وهكذا يقال فيما أجرى الله تعالى على أيدي الصالحين من هذه الأمة من أنواع الكرامات الكثيرة لا يدل ذلك على أنهم أفضل من الصحابة ولا غيرهم من أكابر المقربين والعارفين الذين لم يظهر لهم خارق ولا كرامة خارقة للعادة.

نعم التفاضل إنما يكون بكثرة المزايا والخصائص وقوة اليقين وبلوغ أقصى درجات التقوى والكمال البشري كشأن نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن على شاكلته من أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم ومن على آثارهم ونهجهم.

من تطرفات بعض الفرق والجماعات

هناك جماعات إسلامية تنظيمية وفرق صوفية لها أفكار وآراء متطرفة تخالف أخلاق الإسلام فتراهم يتعصبون لآرائهم ويعتزون بمنهاجهم ويعتقدون أفضليتهم على غيرهم وينظرون إلى الآخرين بعين الازدراء وقد يبالغون فيجعلون الخارج عنهم ضالاً بل قد يحكمون على من كان معهم وانسحب عنهم مرتداً خارجاً من ملة الإسلام وهذا تطرف كبير وضلال مبين فالمسلمون كلهم إخوة لا يتفاضلون إلا بالتقوى واحتقار الآخرين تكبر وتعظيم ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

والإعجاب بالنفس أو بالعمل... من كبار الذنوب واحتقار المسلمين هو الآخر من الآثام والفسوق.

فليثق الله أولئك المعجبون بجماعاتهم وأحزابهم وطرقهم وليكونوا من المتواضعين وإلا جعلهم الله تعالى أذل من جعل الذي يدهده الخراء بأنفه.

ظلم الوالدين لبناتهم

يوجد بعض الآباء والأمهات مرضى النفوس إما بعنصرية فيهم وإما بحب المال اللامتناهي.

فقد يكون لأحدهم بنت أو بنات فيأتيهم خطاب فيرفضون التزوج منهم إما لعنصريتهم الجاهلية لكون الخاطب غير شريف مثلاً والبنت شريفة أو فقير والبنت من بيت مترف أو يكون الخاطب من غير جنس البنت كأن يكون عجمياً مثلاً غير عربي وعائلة البنت عربية أو يأنف الوالدان تزويج بنتهما من غير قرابتهما.

وهكذا قد يأتي رجل من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة يريد التزوج من أحدهم فيطالبونه بما فوق طاقته من المهر وما يتبعه من مصاريف الوليمة فينصرف الخاطب خائباً وكأنه في حيز اليائسين من التزوج فيبقى أعزب وتبقى البنت عانساً ثم تأتي النتيجة بكثرة الفجور من الزنا واللواط والسحاق ويكثر العوانس والزواني كما هو السائد

اليوم في سائر البلاد التي يدعي أهلها الإسلام وخاصة الشرق الأوسط ولا سيما سكان السعودية.

وقد حكى لي صديق من سكان المدينة وهو من الطبقة الفقيرة أنه تزوج فكلفه الزواج مائة ألف ريال سعودي أكثرها استدائها وتزوج وبقي يقضي دينه سنوات.

أما الطبقة المتوسطة أو الغنية فليدهم أمور خيالية فقد تصل مصاريف زواج أحدهم إلى عشرات والمائة من الملايين وكل ذلك من وحي إبليس وعوائد جاهلية عصرنا.

والضحية في ذلك هم الشباب الفقراء والبنات اللائي يظلمهن آباؤهن وأمهاتهن فيعشن عوانس....

ساعتان مع الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني

كنا في السبعينات نرحل عن طريق البحر من إسبانيا إلى إسطنبول أو بيروت وفي بعض حجراتنا تأخرنا في الحج ففاتتنا الباخرة التي كانت تأتي بيروت كل خمسة عشر يوماً فنزلنا بدمشق ننتظرها نحواً من خمسة عشر يوماً وبينما نحن نتجول في بعض شوارع المدينة يوماً فإذا برجل يسلم علينا ويعرفنا بنفسه وأنه من أصحاب الشيخ ناصر الألباني يقال له : استانبولي، فاستدعانا لتناول طعام الفطور عنده من الغد فلبينا طلبه وكنا نحواً من خمسة عشر نفراً فلما كان صباح الغد أتانا فركبنا سوياً في سيارة عمومية باص فنزلنا بباب داره فدخلنا منزله

وإذا هو مفروش على طراز غربي صرف فرحب بنا وبعد قليل دخل الشيخ ناصر فسلم علينا وصافحنا فجلس وكان أول ما فاتحني به : ما هي عقيدة الإخوان فأجبتته بأن الإخوان كلهم عوام فعقيدتهم هي عوام المسلمين ثم سألني عن التوسل فأجبتته بأنه سنة فأطال الجدل معي فيه وكان يرجح ما ذهب إليه أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من أنه لا يجوز بالذوات مخالفاً لجمهور العلماء إن لم نقل كلهم قبله ثم انجر بنا الكلام إلى سماع الأموات كلام الأحياء وإذا به ينكر ذلك واستدللت عليه بحديث " إنه ليسمع قرع نعالكم " وبحديث القليب فرد كل ذلك بأدلة تعسفية ثم استدلت عليه بالسلام على الأموات وأن السلام عليهم يستدعي سماعهم وجوابهم فصمم على عدم السماع حتى من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وههنا سكت عنه وفاتحته في موضوع آخر غير علمي.

وبعد تناول الفطور وإرادتنا الانصراف انفردت مع الشيخ وقلت له إن ههنا أخاً لنا موظفاً هو وزوجته في وزارة الصحة بالمغرب نفدت له النفقة فإن أمكن أن تقرضه ثلاثين دولاراً ولك الشكر الجزيل فأنعم ودفعتها لي فشكرته ودعوت معه فانصرفنا ورجعنا إلى بلادنا سالمين والحمد لله على ذلك وفي العام المقبل حج الأخ الفاضل الحاج حمادي التمساني فدفعت له ذلك الأخ المدين المبلغ الذي أقرضه إياه الشيخ ناصر فمر بدمشق وسأل عن الشيخ حتى اتصل به وودفع إليه الأمانة.

وإنما ذكرت هذه الحادثة لأن بعض تلامذة الشيخ هنا أشاع أنني استقرضت منه ولم أرد دينه.

وإنني بعد مرور نحو من أربعين سنة لتاريخنا عام 1431 هـ على هذا العمل المبرور من الشيخ ناصر الدين الألباني أدعو معه وأترحم عليه وأرجو الله عز وجل أن يجازيه عنا وعن ذلك الأخ المضطر خير الجزاء وأن يغفر لنا وله ولوالدينا ولمشايعنا ولأحبتنا آمين.

أصول النعم الخمس التي لا يد لنا فيها

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

نعم الله عز وجل علينا كثيرة وكثيرة لا نستطيع عددها ولا إحصاءها غير أن أصولها وأمهاها خمس :

الأولى نعمة الإيجاد : فالإنسان كان ميتاً في العدم لم يكن شيئاً فأوجده الله تعالى على هذا الشكل الذي لم يخلق حيواناً مثله.

قال تعالى : " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً " الإنسان 1، وقال تعالى في شأن سيدنا زكرياء عليه السلام : " قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً " مريم 9، وقال في الطاغية الكافر الذي قال : " أَيُّدَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا " مريم 66، فقال الله عز وجل له ولأمثاله : " أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً " مريم 67.

وقال تعالى : " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " البقرة 28، والقرآن مليء بالآيات التي

تتحدث عن خلق الإنسان وأطواره ولفت الأنظار إلى التفكير في شأنه
فإيجاده نعمة من نعم الله العظيمة عليه وتفصيل ذلك يطول جداً
جداً.

النعمة الثانية نعمة الإمداد : فإنه عز وجل ما أوجدنا آخر
المخلوقات حتى خلق لنا كل ما نحتاجه في مرافق حياتنا.

فلقد خلق لنا السماوات ببروجها ومنازلها وكواكبها ومجراتها وخلق
لنا الأرض بجبالها وسهولها وبحارها وأنهارها وأشجارها ونباتها
ومعادنها وأنعامها وحيواناتها وكل ما عليها.

فكل ما على الأرض وفي الأرض مخلوق ومهيأ لنا وكل ما فوقنا من
سماء وما فيها وما في هذا الجو الفسيح من ريح ورياح وسحب وما
ينزل منه من مطر الجميع مسخر لنا أمدنا الله عز وجل به لتستقيم
لنا حياتنا ويبقى نظام هذه الحياة متوالياً حتى تأتي الآجال المقدره
ويأتي يوم الفناء والجزاء فنعمة الإمداد نعمة أي نعمة فاعرف ذلك
أيها الإنسان.

وقد امتن الله تعالى علينا بهذه النعمة كثيراً في القرآن الكريم كقوله
تعالى : " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً " البقرة 29.

وقوله جل علاه : " وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً
مِّنْهُ " الجاثية الآية 13.

وقوله جل ثناؤه : " وَالْأَرْضَ وَصَّعَهَا لِلْأَنَامِ " الرحمن الآية 10.

وقوله : " وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ
وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ " إبراهيم الآية
32-33-34.

وقوله : " وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ "
النحل الآية 5.

وقوله : " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ " النحل 8 الخ.

وكقوله تعالى بعد أن ذكر خلق السماوات والأرض... " وَالْجِبَالَ
أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ " النازعات 32-33.

وكقوله جل جلاله : " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ
صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعَنْبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ " عبس الآيات
24---32.

وقوله تعالى : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ
الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ
كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ " النحل 81.

والقرآن مليء بذكر هذه النعمة الجليلة مما يدل دلالة قاطعة على
أن هذا الكون كله مخلوق ومسخر لنا لنستغله ونتمتع بما فيه حتى
يتسنى لنا القيام بعبودية الله عز وجل التي خلقنا لأجلها : " وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الذاريات 56.

النعمة الثالثة نعمة البعثة النبوية : فهي من النعم الهامة التي لا

يدان لأحد فيها ولولا هذه النعمة لبقى الناس في ظلام دامس
وجاهلية جهلاء ولما عرف أحد ربه وما يراد به ولأهمية هذه النعمة
وعظمتها امتن الله عز وجل علينا ببعثته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
في غير ما آية وذكر لنا من صفاته ما هو معروف لنا قال تعالى : " لَقَدْ
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ " آل عمران 164.

وقال جل علاه : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ " التوبة 128.

وقال جل جلاله : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ " الجمعة الآية 2.

في آيات أخر تنبئ بامتنان الله عز وجل به علينا فله الحمد حمداً
كثيراً طيباً مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى، فإن نعمة
إرسال هذا النبي العظيم تستحق دوام الحمد لله والشكر له كباقي
النعم.

النعمة الرابعة نعمة الإيمان : و هذه النعمة إن لم تكن في طبيعة

هذه النعم فهي من أرفعها وأعظمها لأن الإيمان هو طريق سعادة
الإنسان في الدنيا والآخرة وهو المقصود من خلق الإنسان وإيجاده
لهذا العالم فالحياة بلا إيمان خسارة بلا نهاية ولا حدود.

فمن رزقه الله عز وجل الإيمان فقد أوتي كيمياء السعادة وكان ممن سبقت له عناية الله تعالى في جملة القبضة التي قبضها الله عز وجل وقال فيها هؤلاء للجنة ولا أبالي وكان من سكان الجنة وأهلها التي قال فيها الله تعالى : " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " الحديد 21، وكان من الصديقين الشهداء كما قال تعالى : " وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ " الحديد 19.

وكان ممن قال تعالى فيهم : " وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ " النساء الآية 152.

وقال فيهم : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ " يونس الآية 9.

وممن قال فيهم نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل " رواه البخاري ومسلم.

فالإيمان لا يد لأحد فيه فالهداية إليه من خصائص ربنا جل علاه قال تعالى : " وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " الحجرات 7-8.

وقال جل جلاله ممتناً على عباده بهدايتهم للإيمان : " بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " الحجرات 17.

فالحياة بلا إيمان تعاسة وخسارة أبدية.

فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا
نفسه.

**النعمة الخامسة و هي مسك الختام دخول الجنة و تلك نهاية
المطاف من هذه الرحلة الصاخبة.**

فدخول الجنة هو محض فضل الله تعالى ورحمته كما أن الإيمان
والهداية إلى طريق الله فضل من الله عز وجل لا يد للإنسان في ذلك
ولذلك قال نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لن يدخل أحدكم
عمله الجنة " قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : " ولا أنا إلا أن
يتغمدني الله برحمة منه ".

فمن اعتمد على عمله في دخول الجنة كان مآله الخيبة لأنه اعتمد
على غير الله عز وجل وذلك يعد شركاً عند أهل البصائر فالاعتماد في
دخول الجنة.... على الله تعالى وحده دون غيره أيا كان أما الأعمال
فأسباب ووسائل وهي أيضاً بمحض فضل الله تعالى وتوفيقه فالإيمان
والأعمال الصالحة ودخول الجنة الكل برحمة الله عز وجل وهدايته.

فهذه النعم الخمس هي أصول النعم وأمهااتها وتحت طياتها ألوف
وألوف من نعم الله عز وجل علينا في الآفاق والأنفس... فارجع لنفسك
أيها الإنسان وفكر فيها لتر ما يبهرك ويحير عقلك من نعم الله المحيطة

بك والكلام على هذه النعم يحتاج إلى مجلد كبير فالحمد لله على نعمه وآلائه آناء الليل وآناء النهار أبد الآبدين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه.

نعم الله عز وجل علي

الحمد لله خلقني الله عز وجل تفضلاً منه من أبوين مسلمين في بلد إسلامي وألهم والدي فأدخلاني الكتاب فحفظت القرآن الكريم قبل الاحتلام وكنت لا أدري ما القرآن ولا الإيمان فألهمني ربي تعالى بدون مرشد لطلب العلم فشرعت في طلبه ولما حبب الله تعالى إلي طلب العلم وقرأت مبادئه كنت أسأل الله عز وجل عقب صلواتي أن يرزقني علمي الكتاب والسنة والعمل بهما فاستجاب دعائي فأعطاني الكتاب والحكمة... والعمل على مقتضاهما حسب طاقتي فله الحمد وله الشكر.

وفي أوائل طلبي أكرمني الله تعالى برؤيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام فرأيت يوماً وأنا نائم بالمسجد الأعظم بطنجة كأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قدم إلى طنجة ودخل المسجد وجلس في إحدى زواياه جنوب شرقيه فقصدته وقبلته وقلت في نفسي الحمد لله الذي أرسل إلينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لناخذ عنه العلم. فكانت هذه الرؤيا أول بشارة تدل على أخذي العلم من مشكاة النبوة.

ثم بعد مدة رأيته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنا مصيف بالبادية وكنت أقرأ جامع الإمام الترمذي فرأيت كأني جالس إلى جانبه الأيمن صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فشرب من آنية لبناً ثم ناولني الأنية فشربت سؤره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكانت هذه الرؤيا السبب في اشتغالي بتهديب جامع الترمذي حتى أنعم الله تعالى بإتمامه ثم طبعه منذ مدة.

ومنذ قرأت كتاب الحج من كتب الفقه وقلبي مشغوف بالديار المقدسة وكنت أدعو الله تعالى كثيراً أن يرزقني الحج وزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فمكثت على ذلك أكثر من عشرين سنة ثم هياً الله لنا الحج والزيارة وفتح لنا الباب فتابع لنا الحج أو العمرة كل سنة إلى وقتنا هذا عام 1431 وكنت مقلاً وفقيراً فقراً مدقعاً فوسع الله عز وجل ورزقني من حيث لا أحتسب فيمديني سبحانه دائماً بما يكفيني.

وكنت أشتغل تاجراً في بيع الدور والمنازل وسكنت في عدة أحياء من طنجة وكنت أتضرر من الجيران فكنت أسأل الله عز وجل أن يرزقني سكناً محترماً مناسباً لي فهياً تعالى لي قطعة أرض فبنيت عليها داري الحالية التي أسكنها منذ خمس وثلاثين سنة لوقتي هذا 1431 وجاء موقعها مناسباً والحمد لله.

وما توجهت إلى الله تعالى في شيء يهمني إلا قضاة لي والحمد لله وأنا أسأله دائماً أن يعرفني به معرفة كاملة كما ينبغي أن يعرف به وأن يختم على حياتي بالسعادة والشهادة وأن يقبض روحي يوم الجمعة

وأنا ساجد وأن يجعلني من الأحياء في قبورهم فزجوه عز وجل أن
يتفضل علي بذلك إنه الجواد الكريم صلى الله وسلم وبارك على
سيدنا محمد وآله وصحبه.

استشكال حديث تفرق الأمة

حديث تفرق الأمة جاء عن جماعة :

فقد جاء من حديث أبي هريرة، وأنس، وعوف بن مالك، وعبد الله
بن عمرو، ومعاوية.

فحديث أبي هريرة رواه أحمد 332/2 وأبو داود في السنة 4596
والترمذي في الإيمان 2456 بتهذيبي وابن ماجه في الفتن 3991 وابن
حبان 1834 والحاكم 28/6/1 عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم قال : " تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين
وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين
فرقة " وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وحديث أنس رواه أحمد 145/120/3 وابن ماجه في الفتن 3993
وسندهما صحيح ولفظه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم : " إن بني إسرائيل قد افترت على ثنتين وسبعين فرقة، وأنتم
تفترقون على مثلها كلها في النار إلا فرقة " .

وحدیث عوف رواه ابن ماجه 3992 وغيره وأورده النور في المجمع
2179/1 برواية الطبراني والبزار وقال رجاله رجال الصحيح.

وحدیث ابن عمرو رواه الترمذي 2452 بتهذيبه والحاكم 128/1 ولا
يضر وجود ابن أنعم فيه.

وحدیث معاوية رواه أحمد 102/4 وأبو داود في السنة 4597
والدارمي 2521 والحاكم 118/1 وسنده صحيح وسيأقاه أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن أهل الكتاب افترقوا في
دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث
وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة،
وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى
الكلبُ بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله " .

" تتجارى " أي يتواقعون في الأهواء ويتداعون فيها، و" الكلبُ "
بفتحتين داء يصيب الكلاب لا يتركها حتى يقتلها.

فالحديث صحيح سنداً وامتناً ومعنى وليس فيه إشكال والواقع
يصدقه فإن الفرق الإسلامية قد بلغت ما في الحديث الشريف كما
يعرف من كتب الملل والنحل.

وما استشكله البعض من أن الحديث يقتضي دخول أكثر الأمة النار
غلط منه لأن هذه الفرق ليست كلها كافرة بل أكثرهم مسلمون
فسقة بعقائدهم فهم كفساق سائر الأمة بجوارحهم فسوف توزن
حسناتهم وسيئاتهم التي منها البدع فما رجح كان العمل عليه ثم حتى

إذا ما دخلوا النار كان مآلهم في النهاية الجنة إن شاء الله إن ماتوا على التوحيد نعم الجماعة المتمسكة مما كان عليه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ناجية بإذن الله تعالى. وبهذا ينحل الإشكال والحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

حكمة التفاضل بين الناس

الحمد لله، إن الله عز وجل حكيم عليم ما خلق السماء والأرض وما بينهما لاعباً ما خلقهما إلا بالحق ولكن الإنسان ظلوم كفور جهول تجد كثيراً من الجهلة بالله عز وجل وشئون خلقه يعترضون على الله عز وجل فيقولون مثلاً: لماذا خُلِقَ هذا غني وذاك فاقر، وذاك صحيح وهذا مريض والبعض حسن الصورة جميل الوجه وآخر دميم والبعض أبيض بينما البعض الآخر أسود....

فهذا المعترض أولاً كافر لأن المؤمن من شأنه الاستسلام لله تعالى في كل شيء ما أدرك حكمته وما لا وثانياً هو جاهل بالحكمة الإلهية في ذلك فإن الله تعالى ما فعل شيئاً أو يفعله في هذا الكون إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

وقد ذكر لنا سبحانه نموذجاً من ذلك في قوله تعالى: "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا" الزخرف 32.

فيقول عز وجل : " نحن " بقدرتنا وإرادتنا " قسمنا " وتولينا " بينهم " أي العباد قسمة " معيشتهم " أي ما يعيشون به من الأرزاق " في " هذه " الحياة الدنيا " " ورفعنا " أي فضلنا " بعضهم فوق بعض " في الرزق وغيره " درجات " أي مراتب فهذا غني وذاك فقير وآخر مقتصد فعلنا ذلك " ليتخذ بعضهم بعضا سخريا " أي ليكون كل منهم مسخرًا للآخر يخدم بعضهم بعضاً ليتعاونوا على الحياة هذا فلاح وذاك خباز وثالث حداد ورابع بناء وخامس نجار وسادس نساج وسابع خياط وثامن حائك وتاسع معلم وعاشر عالم مرشد وحادي عشر حاكم وثاني عشر جندي أو شرطي صاحب أمن وثالث عشر تاجر.... وهكذا فلو خلقهم الله سواء في جميع الأحوال لم يخدم أحداً أحداً ولأفضى ذلك إلى خراب العالم وفساد نظام الحياة ولو تولى كل واحد جميع مرافق حياته بنفسه لما أطاق ذلك ولضاع وهلك وعاش عيش الحيوانات، فهذا مثل واحد من حكمة التفاضل بين الناس وهناك حكمة أخرى وهي امتحان العباد وابتلاؤهم ليظهر المؤمن المستسلم لله تعالى الشاكر له من غيره من الكفرة الجهلة بالله المعترضين على الله عز وجل كما قال تعالى في خاتمة سورة الأنعام 165 : " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " وكل ذلك عدل منه تعالى لا يسأل عما يفعل.

فهو ربنا وخالقنا ونحن عبيده تحت ملكه وقبضته.

من الحقائق العلمية في القرآن الكريم

الحمد لله، لقد تعرض القرآن الكريم في كثير من سوره وخاصة السور المكية للكلام على كثير من علوم الكون التي يتعاطاها الناس اليوم ظانين أنهم لم يسبقوا إلى ذكرها ومعرفتها فذكرها الله تعالى في معرض الاستدلال على وحدانيته وألوهيته وعظيم قدرته فتكلمه على كل الكائنات صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها.

فذكر الأرض وما فيها من جبال وأشجار ونبات وزروع وثمار وأنهار وبحار وسفن وخيل وبغال وحمير وإبل وبقر وغنم ومعز وحيوان وزواحف وحشرات وطير وهوام ونار وجواهر وذكر الإنسان وأطوار خلقه... وغريب نشأته وشئونه وطبائعه وأخلاقه وتسخير الكائنات له.

وذكر السماء وما حوته من شمس وقمر وكواكب وبروج ومنازل ومجرات... وما بين السماء والأرض من الجو والفضاء الذي لا نهاية له وما سخر من أنواع الرياح هذه شرقية وتلك غربية وثالثة جنوية ورابعة شمالية وكل واحدة منها لها خصائصها وهكذا سخر السحاب المعصرات الحاملات المياه المباركة وجعل في مقدمة ذلك البرق والرعد وقد تأتي من ذلك الصواعق وهكذا تكلم سبحانه على توالي الليل والنهار وتعاقبهما تارة يطول الليل ويقصر النهار ومرة ينقلب الأمر فيطول النهار ويقصر الليل ويأتي ذلك في نظام دقيق لا يشعر به.

وفي كل ذلك من عجائب العلوم والحقائق والخوارق والمعجزات ما يحير الأبواب.

وإلى القارئ مثالا واحداً لما ذكرنا من بين المثمن جاء في سورة النحل حيث ذكر تعالى فيها علم الأحياء والأجنة في قوله تعالى: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ " النحل 4، وقوله: " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ " النحل 70، وقوله: " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ " النحل 78، وعلم الحيوان في قوله تعالى: " وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ " النحل 5، وقوله: " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ " النحل 8، وقوله: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً " النحل 66، وقوله: " وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ " النحل 68، وقوله: " أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ " النحل 79، وعلم النبات والفلاحة في قوله تعالى: " يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ " النحل 11، وعلم السحاب والمطر في قوله: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً " النحل 10، وعلم الفلك في قوله: " وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ " النحل 12، وعلم الملاحة والتجارة والاصطياد في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ " النحل 14، وعلم الجغرافيا مع طبقات الأرض في قوله تعالى: " وَاللَّيْلَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " النحل 15، وعلم النسيج والحدادة في قوله تعالى: " وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ " النحل 81.

فهذه نحو من ثلاثة عشر علماً أشار إليها القرآن مجموعة في سورة واحدة وجاء في القرآن الكريم من الآيات التي تشير إلى هذه العلوم وأمثالها نحو من سبعمائة آية جاءت مفرقة في سور القرآن ذكرها الله عز وجل في معرض الاستدلال على وحدانيته وربوبيته وعظيم قدرته...

وهذا من معجزات القرآن الكريم المسمى بالإعجاز العلمي بمعنى أن الله عز وجل أشار إلى هذه العلوم الكونية التي هَدَى تعالى الغربيين إلى استخراجها وتعاطيهم لها قبل أن يعرفوها بقرون وهناك حقائق علمية في القرآن الكريم وفي هذا الكون ما زال الإنسان لم يعرفها ولم يصل إليها بحثه وتجاربه وصدق الله العظيم حيث قال : " مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " الأنعام 38.

ولقد ذكر سبحانه وتعالى آيتين * من سورتين كريمتين تشمل الإخبار بجميع الحقائق العلمية والكشوفات المستجدة الغربية المدهشة :

الآية الأولى قوله تعالى في سورة النمل 93 : " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا " .

والثانية قوله عز وجل من سورة فصلت 53 : " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " .

فهاتان الآيتان تشملان جميع ما ظهر في هذا العصر من الآيات والمخترعات المدهشة والتي حارت في أمرها العقول سواء كانت في الآفاق كالطائرات بأنواعها والصواريخ الفضائية والأقمار الاصطناعية ونقل الصور المرئية على شاشة التلفزيون ونقل الكلام عبر الأقمار في جميع أقطار العالم المعمور والتلغراف والفكس ذلك الأمر الغريب أو كانت في الأنفس وما أكثرها أو في الحيوان أو النبات أو غير ذلك مما ظهر في عصرنا أو قبله مما يدل على عظيم قدرة الله تعالى ويصدق القرآن الكريم. وبذلك عرف الإنسان الموفق حقيقة كلام الله تعالى وآمن

* وهناك آية ثالثة شبيهة بهما وهي قوله تعالى : " وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ " ص 88.

بربه عن علم ومشاهدة ويقين فلقد آمن كثير وكثير من الكفار الذين أداهم بحثهم إلى حقائق ذكرها القرآن الكريم أو حدث بها نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي قال هو الآخر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن بين يدي الساعة أموراً عظيماً يتفاقم فيها شأنكم فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله واعلموا أنها أوائل الساعة " .

" يتفاقم " أي يتعاضم، وهذه الأمور التي أشار إليها رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هي ما نشاهده من هذه العجائب الغريبة التي كانت من أمد قريب من قبيل المستحيل فأصبحت أموراً عادية من أبهر آيات الله تعالى الكونية.

السمع والبصر والفؤاد هي طرق المعرفة

قال الله عز وجل : " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " النحل .78

يذكرنا الله تعالى بهذه الآية الكريمة في بدايتنا ونشأتنا، ويلفت أنظارنا إلى التفكير في أطوار حياتنا وما من به علينا، حيث إننا جميعاً نخرج بإذنه عز وجل وقدرته وإرادته من أرحام أمهاتنا ضعافاً جهلة

جهلاً بسيطاً لا نعرف من الأمر شيئاً فأعطانا برحمته وفضله ولطفه طرق العلم ووسائله وأسبابه فمنحنا السمع والبصر والفؤاد تفضلاً منه وإنعاماً علينا فبحاسة السمع ندرك المسموعات، وبجراحة البصر ندرك المنظورات، وبالفؤاد نعي المعقولات وندركها في حافظتنا بإذن الله تعالى وقدرته.

والواقع أن كلا من السمع والبصر من الحواس الغالية والهامة في الإنسان فعن طريقها يتعرف على العالم الخارجي وتلقى المدركات، وتميز الأشياء، غير أن السمع أكبر أهمية من البصر ولذلك كان تعلم النطق يتم عن طريقه بالدرجة الأولى، حتى أن من فقد بصره أو ولد أعمى وأعطى حاسة السمع قد يتعلم ويبلغ درجة راقية في العلوم والمعارف كما وقع كثيراً في التاريخ، وهذا بخلاف من فقد السمع فإنه لا يكاد يتعلم شيئاً إلا مع مشقة شديدة وصعوبة فائقة، ولهذه الحكمة الإلهية وغيرها ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم السمع قبل البصر في سبعة عشر موضعاً كهذه الآية التي ذكرناها وقوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " المؤمنون 78، وقوله جل ذكره : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " الإسراء 36، وقوله جل جلاله : " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " الإنسان 2، في آيات كثيرة قدم فيها السمع على البصر، بينما ذكر البصر قبل السمع في موضعين فقط وهذه حقيقة من الحقائق العلمية، ومعجزة من أعظم الإعجاز العلمي التي سبق بذكرها القرآن الكريم إلى العلوم التجريبية المعاصرة التي تقرر بأن أول ما يبتدئ به الطفل من الإدراك حاسة السمع، وأنه يأتي الإدراك به مبكراً في الأسابيع الأولى من ولادته بحيث

إذا سمع صوتاً حوله شعر به وأحسه فوراً وصدر منه ما يدل على التأثير به، بل هذا الإدراك بالسمع يحصل حتى من الجنين في رحم أمه فقد ذكروا أن بعض الأطباء ضرب ضربة صاخبة بجانب امرأة حامل في آخر أيام حملها، فأحست بالجنين يتحرك في أحشائها تحركات غير عادية عقب الضربة، بينما عملية الإبصار لا تبتدئ إلا في الشهر الثالث من ولادة الطفل، وهذا من أبهر إعجاز القرآن الكريم الذي صدقته الاكتشافات والتجارب الحديثة التي تقرر بأن العلم يحصل للإنسان تدريجياً ويגיע بحسن الترتيب الذي ذكره الله عز وجل وهو الإدراك الحسي أولاً الذي يأتي عن مرحلة السمع، ثم البصر، ثم الفؤاد الذي تتم به المعارف والخبرات العقلية، ولذلك ختم الله عز وجل هذه الآية الكريمة بقوله: " لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " .

فإن هذه الحواس نفعها عظيم جداً تستحق الشكر لله عز وجل عليها وذلك يكون بالإيمان به وطاعته والقيام بحق العبودية له.

بقيت هنا حقيقة أخرى لا يزال علمها خاصاً بالله تعالى لم يعرفها الملحدون ولم يصل إلى إدراكها المفكرون والباحثون تلكم هي كيفية وصول العلم إلى الحواس الخمس، ومنها السمع والبصر وكيف يصل ذلك إلى القلب والفؤاد، وكيف ترتسم المعلومات والمحفوظات في الذاكرة، وكيفية رؤية المرئيات بعدسة العين وسماع المسموعات بصماخ الأذن إنها لعجائب من خلق الله تحار فيها العقول....

فليحدثنا الماديون والكافرون بالله عن كيفية ما ذكرنا ولن يفعلوا ذلك أبداً ولا ذلك في مقدورهم وكيف وقد وقف أسلافهم قديماً وحديثاً دهشين حائرين بدون أن يدلوا بأي جواب منطقي مقبول.

والحمد لله على الإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به جملة وتفصيلاً وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وصحبه وزوجه وحزبه.

أمة الهدى والضلالة

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه.

وبعد فإن للهدى والتقى أمة وسلفاً صالحاً، كما أن للضلالة والغواية أمة كذلك.

فأمة الهدى هم أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم ووراثهم من العلماء والدعاة والصالحين الربانيين.

ورسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين هم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً لا نعرف منهم إلا ما ذكر لنا في القرآن الكريم وهم نحو خمسة وعشرين ذكرهم الله عز وجل مفرقين في القرآن الكريم.

فقد ذكر آباءهم وأمتهم الكبار في سورة آل عمران في قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ " آل عمران 33-34.

كما ذكر إمام الحنفاء ووالدي أنبياء بني إسرائيل في سورة ص فقال
 جل ذكره : " وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي
 وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ
 الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ " ص 45-46-47.

ولما ذكر تعالى في سورة الأنعام محاجة الخليل عليه الصلاة
 والسلام قومه في الله عقب ذلك بذكر جماعة من أنبيائه ورسله
 صلوات الله وسلامه عليهم فقال عز وجل : " وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا
 إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
 ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ *
 وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن
 آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
 " الأنعام 83-84-85-86-87.

فهؤلاء ثمانية عشر رسولا ذكروا هنا.

وذكر في سورة الأنبياء أكثر من خمسة عشر منهم أيضا بداية من
 قوله تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ " الأنبياء 48،
 مروراً بقوله تعالى في خليله : " وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ
 وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ " الأنبياء 51، إلى قوله جل ذكره : " وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى
 الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
 وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا " الأنبياء 71-72-

73، ثم ذكر جماعة منهم وختمهم بذي النون وزكرياء وابنه يحيى عليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فهؤلاء هم أمة الهدى والخير والتقى بالدرجة الأولى وأشرفهم وأفضلهم أولوا العزم منهم وهم خمسة المذكورون في آيتين من كتاب الله عز وجل، في قوله جل علاه : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ " الآية 7 من سورة الأحزاب. وفي قوله جل جلاله : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " الشورى 13، فهؤلاء السادات مع آلهم وأصحابهم المؤمنين هم أصولنا وفصولنا وأحبتنا في الطليعة بعد الله عز وجل وملائكته الكرام عليهم من ربنا الصلاة والسلام.

أما أمة الضلالة وأساطين الغواية والفساد فهم الآتون :

أولهم وهو رقمهم الأول فرعون الطاغية الذي بلغ من عتوه وطغيانه وكبريائه أن ادعى الربوبية والألوهية كما حكى الله عز وجل عنه بقوله : " أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى " النازعات 24، وقوله : " مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي " القصص 38، وهذا مما تفرد به عن جميع طغاة البشرية منذ أن خلق الله الدنيا، وهذا نهاية الطغيان والغرور والعجب والافتراء.

ولذلك قال الله تعالى فيه : " وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ " يونس 83، وقال : " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا " الآية 4 القصص.

وقال جل جلاله : " إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ "
القصص 8.

وقال لكليـمه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في شأنه : "
أذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى " طه 24، في آيات كثيرة في شأن هذا
الطاغية الذي كان عاقبة أمره ما قصه الله تعالى عنه في كتابه الكريم
حيث قال : " فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخِرَةِ وَالْأُولَى " النازعات 25، وقال : "
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ " الذاريات 40.

وقال جل ذكره : " فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً "
المزمل 16، وقال جل علاه : " فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ
الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ " طه 78، في آيات كثيرة تخبر عن عاقبة أمره السيئة
وأن الله عز وجل أغرقه في اليم مع جنوده المفسدين ثم يأتي يوم
القيامة أمام قومه يساقون إلى السعير كما قال جل جلاله : "
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ
فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقَدِّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ
وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ * وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ
الْمَرْفُودُ " هود 96-97-98-99.

فهذا فرعون وهو إمام كل طاغية جبار ذي سلطة جائر سواء أكان
رئيس دولة أو وزيراً أو صاحب ولاية لإقليم مثلا أو قائداً لدائرة أم
برمانيا... فكل هؤلاء إن كانوا طغاة فسلفهم وإمامهم هو فرعون
الأكبر وهكذا كل كافر جاحد وخاصة الطغاة العتاة المعتدين

المفسدين عبر العصور والأجيال فالجميع سيجمعهم الله في سقر مع فرعون وملئه.

والثاني من أمة الضلال قارون الذي كان من قوم كليم الله موسى عليه السلام بل كان من أقاربه كما قيل فأعجب بنفسه وماله وطغى فكفر وأسرف في الفساد فأهلكه الله تعالى فحسب به وبداره الأرض وكانت عاقبته كما ذكر الله عز وجل في كتابه فلنستمع لقصته من القرآن الكريم :

قال تعالى : " إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ "

القصص 76-77-78-79-80-81.

فهذا المغرور كان قد أنعم الله تعالى عليه بكثرة المال وأعطاه من الثروة ما لم يعط أحداً بحيث إن مجرد مفاتيح لكنوزه كانت تثقل

الجماعة القوية فكيف بالأموال المكنوزة، ثم لما نصحه قومه الموفقون بخمس نصائح : بأن لا يفرح بما أوتي فرح بطر لأن الله لا يحب ذلك، وأن يطلب فيما أعطاه الله تعالى الدار الآخرة، وأن لا ينسى من ذلك نصيبه من الدنيا، وأن يحسن فيما بينه وبين الله إلى الناس كما أحسن الله إليه، وأن لا يطلب الفساد في الأرض بالكفر والآثام والطغيان لأن الله لا يحب المفسدين.

ماذا كان جوابه عن هذه النصائح الغالية : " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي " يعني بذلك أن الله تعالى أعطاه ذلك لفضل وخير عمله عنده فرآه أهلاً لذلك فضله على غيره بالمال.

هذا قارون وهو إمام كل ذي ثروة جبار طاغية مبذر لمال الله أو حابسه عن أهله.

الثالث من أمة الضلال ذلك العالم الذي مسخه الله تعالى وأضله على علم وهو بلعم بن باعوراء.

قال الله تعالى فيه : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " الأعراف 175-176.

كان هذا الشقي كما قيل عنده الإسم الأعظم ثم كفر وأخذ إلى الدنيا وقيل إنه كان من قوم كليم الله موسى عليه السلام فبعثه إلى

ملك مدين داعياً إلى الله تعالى فرشاه ذلك الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل وأضل الناس على ذلك.

وجيء بقصة هذا الشقي تذكيراً لليهود الذين كان هذا المخذول من أسلافهم فقال تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ " يعني اليهود نبأ وخبر العالم الفاجر الذي أعطيناه علم بعض كتبنا فانسلخ من آياتنا كما تنسلخ الحية من جلدها حيث كفر بها وأعرض عنها فاستحوذ عليه الشيطان فكان من الضالين الراسخين في الغواية لو أراد الله عز وجل لرفعه إلى منازل العلماء الربانيين ولكنه مال إلى الدنيا وآثر لذاتها وشهواتها على الآخرة واتبع ما تهواه نفسه فانحط إلى أسفل سافلين، وأصبح في الخسة والدناءة مثل الكلب إن زجرته فسعى لهث، وإن تركته على حاله لهث.

فهذا المثل السيء هو مثل كل من كفر وكذب بآيات الله تعالى بعد علمه بها.

فكان هذا العالم الفاجر المغرور بالحياة وبهجتها ونضارتها إمام وسلف كل عالم فاجر مخدوع بالحياة لم ينتفع بعلمه.

وقد وصف الله عز وجل علماء اليهود الفجرة بما كانوا يحملون من التوراة وعدم علمهم بما فيها بالحمار الذي يحمل أسفار الكتب ولا يدري ما فيها.

كما قال تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا " الجمعة 5.

فعلماؤنا الفجرة لهم شبه باليهود كما قال بعض السلف : من فسد من علمائنا كان به شبه باليهود ومن فسد من عبادنا كان به شبه بالنصارى.

فالعالم إذا أخذ إلى الدنيا وصار لاهتاً وراء الرياسة والجاه ومصاحبة أبناء الدنيا المنحرفين وذوي السلطة الظلمة وتزلف إلى الأمراء وأرباب القصور افتتن في دينه وأصبح كالذئب الذي يصطاد الفريسة... فهؤلاء الثلاثة الملعون فرعون وقارون وابن باعوراء هم أئمة كل طاغية.

ففرعون يمثل الطغيان بالحكم والسلطة والقوة، وقارون يمثل الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال، وابن باعوراء يمثل الطغيان بالعلم الذي لا ينفج.

فهؤلاء كما قال تعالى : " وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ " القصص 41-42.

حادثة غريبة تتعلق بأكل الحرام

حدثنا أستاذنا سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى أن أحد القضاة بمدينة طنجة سطر على منزل جار له ضعيف فعمل جميع الوسائل السلمية ليسترده داره فلم يفلح فدل به بعض الناس على سيدي محمد بن الصديق رحمه الله تعالى ليشفع له عند الوزير الذي كان يسمى المنبّه وكان وزيراً للسلطان عبد الحفيظ العلوي فذهب إليه وحكى له

القصة مع القاضي فبعث ولده سيدي أحمد إلى الوزير ليكلمه في الموضوع فلما دخل عليه وكان الوقت وقت وجبة الغداء حبسه عنده ليتناول معه طعام الغداء قال سيدي أحمد فلما حضر الطعام وتناولت منه لقيمات شعرت بأن سلب مني جميع محفوظاتي حتى مطلق الكلام العادي قال فلما رجعت إلى والدي وكلمني لم أجد كلمة أرد بها عليه قال : وبقيت كذلك حتى استحال ما أكلت وخرج مني ثم جعلت محفوظاتي تتراجع شيئاً فشيئاً.

أقول : وفي هذه الحادثة فائدتان : إحداهما كرامة لهذا السيد العظيم وعناية من الله عز وجل به وحماية له من تناول الحرام مع ما في ذلك من تذكيره...

فإن الله تعالى يحمي عبده الصالح من الحرام ولا يطعمه إلا الحلال وإن عم الحرم المعمورة وقد كان بعض أكابر الصالحين جعل الله تعالى له علامة يعرف بها حرمة الطعام فكان إذا وضع بين يديه طعام وأراد تناوله ولم يكن مرضياً جعل عرق له في يده يتحرك ويضرب.

وكان آخر إذا كان الطعام حراماً شم منه رائحة منتنة...

كل ذلك يفعله الله بعباده المخلصين الصادقين حماية لهم وحفظاً من الحرام.

ثانية الفائدتين أن لأكل الحرام تأثيراً على الجوارح وخاصة القلب منها فإنه يظلمه ويجعله منكوساً قاسياً ميالاً للآثام بعيداً عن الطاعات كسولا عن الإتيان بالقربات عياداً بالله تعالى، ومن آثار تناول

الحرام عدم استجابة دعوة صاحبه كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً " الآية 51 المؤمنون، وقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " البقرة 172، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له " وإذا كان الله لا يستجيب دعاء مطيل السفر في طاعة الله تعالى أشعث أغبر وذلك لا يكون إلا في الحج أو الجهاد... فأحرى أن لا يقبل له عملاً.

فالأمر خطير جداً فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كل لحم نبت من سحت - الحرام - فالنار أولى به " فاحرص أيها المؤمن على اكتساب المال من وجهه المباح وأطب لقمتهك وإياك ثم إياك أن تكون من المتهورين البطونيين وتباعد ما وجدت سبيلاً من تناول طعام الظلمة والمرابين أو ذوي الكسب من الوجوه المحرمة فتخسر وتهلك وتخزي ولا تغتر بقول من يقول : إن الحرام لا يتعلق بدمتين. فلك غنمه وعليك غرمه فإن هذه زلة عالم والله يتولى هدايتنا وهدايتكم آمين.

ابتلاء عباد الله الصالحين

الحمد لله، صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " ما يزال البلاء في عبده المؤمن أو المؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وليست عليه خطيئة " أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " وفي رواية : " ثم الذين يلونهم... " وفي أخرى : " ثم الصالحون... ".

ابتلاء المؤمنين وخاصة الصالحين منهم هو سنة إلهية مطردة في كل زمان ومكان غير أن أعظم الناس بلاء ومحنا... هم الدعاة إلى الله عز وجل من أنبياء الله ووراثهم الربانيين قال الله تعالى : " وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ " الآية 146 آل عمران، وقال جل علاه : " ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " العنكبوت 1-2-3.

وقال جل ذكره : " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ " البقرة 214، فلا بد من الامتحان ما دام الإنسان في هذه الدار.

غير أن الابتلاء يختلف فأعظمه وأشقاه التعذيب والقتل وللعلماء الربانيين والأشراف الأفاضل حظ وافر من ذلك كما يعرف من تاريخ الإسلام.

ومن كبار علمائنا وأشرفنا الذين أصابتهم الأيدي الآثمة في مغربنا الإمام علم الأعلام سليل الأشراف سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي قتله السلطان عبد الحفيظ العلوي تحت التعذيب.

فإنه عندما عقد عبد الحفيظ الحماية مع فرنسا قام جمع من علماء فاس وغيرها بنقض بيعته وكان في طليعتهم هذا السيد المبجل وبما أنه كان له أتباع ومريدون... وخاصة في القبائل خارج فاس وشي به بعض أشقياء العلم وأدعيائه إلى عبد الحفيظ وحذروه منه فبعث إليه زبانية جنوده وكان قد غادر فاسا هو وأهله متوجها إلى بعض القبائل فأرغموه على الرجوع فسجن هو ومن كان معه من الأهل ثم ضرب وجلد حتى مات رحمه الله تعالى تحت التعذيب.

فكان هذا الحدث من أقبح وأعظم ما فعله عبد الحفيظ ولذلك مزق الله ملكه وشرذ وطرد فلجأ إلى طنجة فاتخذها قراراً بعد فتن ومحن أملت به.

ولما نزل بطنجة أراد أن يتصل بسيدي محمد بن الصديق ويزوره ويتخذه شيخاً له فرفض السيد مقابله وبعد محاولات بعث إليه إني سأتيك معززاً بالقوة يعني من طرف فرنسا فرفض السيد وحذره من سوء العاقبة إن جاءه.

وانظر هذه القصة مبسوطه في التصور والتصديق لسيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى.

من الصدق العجيبة في خلق الله تعالى

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية في أحداث سنة إحدى وخمسين وستمائة أن ابن الساعي قال : كان رجل ببغداد على رأسه زبادي قابسي فزلق فتكسرت ووقف يبكي فتألم الناس له لفقره وحاجته، وأنه لم يكن يملك غيرها، فأعطاه رجل من الحاضرين ديناراً، فلما أخذه نظر فيه طويلاً ثم قال : والله هذا الدينار أعرفه، وقد ذهب مني في جملة دنائير عام أول فشتمه بعض الحاضرين فقال له ذلك الرجل : فما علامة ما قلت؟ قال : زنة هذا كذا وكذا وكان معه ثلاثة وعشرون ديناراً، فوزنوه فوجدوه كما ذكر، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين ديناراً وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه فتعجب الناس لذلك.

قال ويقرب من هذا أن رجلاً بمكة المكرمة نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم وأخرج من عضده دملجاً زنته خمسون مثقالاً فوضعه مع ثيابه، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسي الدملج ومضى وصار إلى بغداد وبقي مدة سنتين بعد ذلك وأيس منه ولم يبق معه شيء إلا يسير فاشترى به زجاجاً وقوارير لبيعها ويكتسب بها فينما هو يطوف بها إذ زلق فسقطت القوارير فتكسرت فوقف يبكي واجتمع الناس عليه يتألمون له فقال في جملة كلامه : والله يا جماعة لقد ذهب مني من مدة سنتين دملج من ذهب زنته خمسون ديناراً ما باليت لفقده كما باليت لتكسير هذه القوارير وما ذاك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك فقال له رجل من الجماعة فأنا والله لقيت ذلك الدملج وأخرجه من عضده فتعجب الناس والحاضرون.

ومن الصدف أيضا

وذكر أيضا ابن كثير في أحداث سنة ست وخمسين وستمائة أن دولة الفاطميين استمرت قريباً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية القدسية وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكاً مختلفة ومدة ملكهم تحريراً من سنة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد سنة بضع وستين وخمسمائة.

والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كانت ثلاثين سنة كما نطق بها الحديث الصحيح فكان فيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ابنه الحسن بن علي ستة أشهر حتى كملت الثلاثون... ثم كانت ملكاً فكان أول ملوك الإسلام من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ثم ابنه يزيد ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية، وانقرض هذا البطن المفتح بمعاوية المختتم بمعاوية.

ثم ملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس... ثم ابنه عبد الملك، ثم الوليد بن عبد الملك ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم أخوه إبراهيم الناقص

وهو ابن الوليد أيضا ثم مروان الملقب بالحمار وكان آخرهم، فكان أولهم مروان وآخرهم اسمه مروان ثم انقرضوا من أولهم إلى آخرهم.

وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله السفاح وآخرهم عبد الله المعتصم، وكذلك أول خلفاء الفاطميين فالأول اسمه عبد الله العاضد، وآخرهم عبد الله العاضد.

وهذا اتفاق غريب جداً قل من ينتبه له، والله في خلقه حكم وشئون.

أعجوبة فيها عقوبة

ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني رحمه الله تعالى قال : بلغنا أن رجلا يدعى أبا سلامة من ناحية بصرى كان فيه مجون واستهتار فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال : والله لا أستاك إلا في المخرج يعني دبره فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج فوضع ولداً على صفة الجرذان له أربعة قوائم رأسه كرأس السمكة وله أربعة أنياب بارزة، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع وله دبر كدبر الأرنب ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث وكان يقول : هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيا ومنهم من رآه بعد موته.

أقول : هذا جزء الملاحدة الذين يستهزئون بسنة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويسخرون من أحكامها ولعذاب الآخرة أشق وأخزى نسأل الله السلامة والعافية من ذلك.

من كلام ميمون بن مهران ونصائحه

ميمون بن مهران كان من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم.

من نصائحه كما رواه عنه الإمام أحمد بسنده إليه قال : ثلاث لا تلبون نفسك بهن لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله تعالى، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله تعالى، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه.

ومن كلامه : لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه. ومنه : أربع لا تتكلم فيهم علي وعثمان والقدر والنجوم. ومنها : من ظلم أحداً ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كلا صلاة خرج من مظلمته، قال العلماء : ويدخل في ذلك إن شاء الله الأعراض والأموال وسائر المظالم.

من عواقب اللواط

جاءني شاب ابن سبع وعشرين سنة فذكر لي أن خالا له عمل به اللواط منذ كان عمره ثمان سنين إلى أن بلغ سنه سبع عشرة سنة ثم

انقطع عنه فأصبح مبتلى بشهوة اللواط فيه وليست له شهوة في النساء فحكى لي ذلك وهو يبكي ويخشى أن يكون آثماً في ذلك... فاستشارني في ذلك وسألني ماذا أفعل، فأجبتُه بأنه ما دام يبغض ما ابتلي به ولا يمكن أحداً من فعل الفاحشة به فلا إثم عليه وإثم ما أصيب به على ذلك المجرم الذي رباه مابوناً وصيره مخنتاً ونصحتُه بأن يتزوج وإن لم تكن له رغبة في النساء فإنه ربما تتحرك فيه شهوة الجنس بعد الممارسة وصحبة المرأة إذا كانت حسناء، فانصرف وهو يبكي ولم أره بعده.

فهذا مرض خطير يتعرض له المملوط به يصعب علاجه عياداً بالله.

نهاية الكرم والإحسان

أسماء بن خارقة الفزاري الكوفي التابعي كان سيد قومه جواداً سخياً رأى مرة شاباً جالساً على باب داره فسأله عن قعوده على بابه فقال حاجة لا أستطيع ذكرها فألح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه فقال له اخرج فاجلس على الباب مكانك فخرج الشاب فجلس مكانه ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلي وقال له ما منعني أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي وكانت ضنينة بها فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف وألبستها هذا الحلي فهي لك بما عليها فأخذها الشاب وانصرف.

وهذا نهاية ما يكون من الجود والإحسان مع تفريج كربة ذلك الشاب.

من خرافات الجاهلية

ذكر غير واحد من المؤرخين أن عمرو بن العاص لما فتح مصر وجد أهل مصر إذا تأخر عنهم ماء النيل أو قل أخذوا فتاة وزينوها وحملوها وألقوها في النيل فأرسل عمرو بن العاص إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه برسالة يخبره بذلك فكتب رسالة إلى نيل مصر قال له فيها : يا نيل مصر إذا كنت تجري بأمرك فلا حاجة لنا فيك وإذا كنت تجري بأمر الله الواحد القهار فاسأل الله تعالى أن يجريك وأرسل الرسالة إلى عمرو وقال له ألقها في نيل مصر فزادت المياه حتى وصلت إلى المساكن.

الوحدة خير من صحبة الباطلين والفضوليين

قال الحافظ الحميدي الأندلسي رحمه الله تعالى :

لقاءُ الناسِ ليس يُفيدُ شيئاً == إلاَّ الهدْيَانِ والقِيْلَ والقَالَ

فَأَقْبَلِ مِنَ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَنَّ == خُذِ عِلْمٍ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

وقال آخر :

حُذِّعَ عَنِ النَّاسِ جَانِبًا == وَارِضَ بِاللَّهِ صَاحِبًا
قَلَّبَ النَّاسَ كَيْفَ شِئْتَ == تَجِدُهُمْ عَقَارِبًا

وقال ثالث :

أَنْسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي == فَطَابَ الْأَمْرُ لِي وَفَمَا السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبَالِي == بِأَنْبِي لَا أُرَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا == أَسَارَ الْجَنْدِ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ

قيل لإبراهيم بن أدهم أحد الزهاد العباد رضي الله تعالى عنه : لم لا تصحب الناس؟ فقال : إن صحبت من هو دوني أذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال، ولا في وصله انقطاع، ولا في الأنس به وحشة يعني الله عز وجل.

وفي هذا المعنى قالوا وأجادوا :

وما أحدٌ منُ ألسنِ الناسِ سامماً == ولو أنه ذاك النبيُّ المَطْهَرُ
فإن كان مِقْدَاماً يقولون أهوجُ == وإن كان مِفْضَالاً يقولون مُبَدَّرُ
وإن كان سَكَيْتاً يقولون أبكمُ == وإن كان منطيقاً يقولون مهدارُ
وإن كان صَوَاماً وبالليل قائماً == يقولون زَوَّارُ يِرَائِي وَيَمْكُرُ
فلا تَكْتَرِبْ بِالنَّاسِ فِي المَدْحِ وَالثَّنَا == ولا تَخْشَ غَيْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ

وقد قدمت في الجزء الثالث فوائد الصحبة والعزلة وغايتها فارجع إليه.

لا أبيع ديني بدنياي

أول من قال هذه الكلمة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، وذلك أن معاوية بن أبي سفيان خطب آخر أيامه فدعا الناس لبيعة يزيد ولده فقال له عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه أهر قلية؟ كلما مات قيصر كان قيصر مكانه لا نفعل والله أبداً وامتنع هو والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم من البيعة فبعث معاوية بعد ذلك إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف فردها وقال : لا أبيع ديني بدنياي.

وذلك لأن بيعة الخلافة لا تعطى إلا لمن يستحقها ولذلك شروط شرعية فمن أعطاها لغير مستحقها فقد خالف أمر الله وغش نفسه والمسلمين.

وقد قال هذه الكلمة العلامة المحدث الشريف سيدي عبد الله بن الصديق رحمه الله تعالى فقد عاش بالقاهرة أربعين سنة وكان قد اشتهر بمعرفة علم الحديث والكتابة فيه فأتاه حامد الفقي وكان

رئيساً لجمعية أنصار السنة فقال له : إنك عالم بالحديث ولا يحسن بك أن تكون مع الصوفية فتعال عندنا فكن معنا وأنا أضمن لك ثلاث خصال : أن نجعل لك تكريماً في أفخم فندق بالقاهرة، وأن تحج على حسابنا، وأن يكون لك راتب شهري من السعودية فأجابه بقوله رحمه الله تعالى : **والله لا أبيع ديني هكذا حكى لنا هذه الحادثة بنفسه.**

فهذا موقف فذ منه رحمه الله تعالى قل من يفقه أحد من أهل العلم الذين لا مبدأ لهم من أهل عصرنا وما أكثرهم.

وزراء فرعون خير من وزرائك

كانت أيام الحجاج بن يوسف الثقفي الظالم المشهور امرأة حرورية من الخوارج تحرض الناس على قتل جنود الحجاج ونهب أموالهم فرفعت إلى الحجاج فقال لها : أنت بالأمس في واقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس على قتال رجالي ونهب أموالهم فقالت المرأة : نعم قد كان ذلك فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال : ما ترون فيها؟ قالوا : عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال لها : على ما تضحكين؟ قالت : من وزرائك، فإن وزراء فرعون كانوا خيراً منهم فنظر الحجاج إلى وزرائه فرأهم خجلوا فقالوا لها : كيف ذلك؟ فقالت : لأنهم قالوا : أرجه وأخاه حين استشارهم في قتل موسى - عليه السلام - وهؤلاء يستعجلونك في قتلي فعفا عنها الحجاج وأمر لها بعطاء.

طريقة

حكى لنا بعض أصحابنا وهو من العلماء والأشراف البقالين أنه لقي فقيها مالكيًا متعصباً من بلاد غمارة فجعل يجادله في العمل بالسنة والتقليد الأعمى للأئمة فاغتاظ الشريف فنال من مجادله المتعصب فشكاه إلى بعض الأشراف من أهل العلم أيضاً فقال له : يا هذا إن هذا الذي تجادله اجتمع فيه ثلاث خصال وبلايا : فقيه، وبقالي، ودرقاوي يعني متصوفاً.

ومعنى ذلك أن الفقيه إذا كان قليل العلم يكون متعصباً وملتزمًا وسيء الأخلاق غير مؤدب، والبقالي من شأنه أن يكون ذا أحوال خفيف العقل فيسب ويشتم والدرقاوي المتصوف من أخص صفاته الجفاء والغلظة والفظاظة والإعجاب بالنفس فإذا اجتمعت هذه الخصال الثلاث في شخص فكيف يكون حاله؟.

غير أن ما ذكر في هؤلاء ليس مطرداً بل ذلك يختلف باختلاف الطبائع والتربية.

يمين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

كان المقصود عند العرب باليمين هو تأكيد الكلام وتقويته للسامع وكانوا يحلفون بما يعظمون أو يحترمون كالأصنام والآباء والعمر وما أشبه ذلك.

فجاء الإسلام فأقر اليمين وأبطل ما كانوا يقسمون به وجعل القسم من خواص الربوبية وجعل الحالف بغير الله مشركاً لأن التعظيم باليمين لا يكون إلا لله عز وجل فلا يحلف لا بنبي ولا ملك ولا ولي ولا كعبة ولا شيء من المقدسات والمعظمت ولذلك جاء في الإسلام أحكام وآداب تتعلق باليمين وأفرد علماؤنا رحمهم الله تعالى من المحدثين والفقهاء أبواباً خاصة في كتبهم أطلقوا عليها " الأيمان والندور " .

ومما جاء في ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت " رواه أحمد وغيره، وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون " رواه أبو داود وغيره.

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت " رواه البخاري ومسلم.

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من حلف بغير الله فقد أشرك " رواه أحمد والترمذي.

وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحلف أحياناً لأمر هام يريد تأكيده لأمته فكانت يمينه غالباً بقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والذي نفس محمد بيده " أو " والذي نفسي بيده " أو " ومقلب القلوب " وقد عقد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باباً خاصاً ترجمه بقوله باب كيف كانت يمين النبي صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم، أورد فيه كثيراً من الأحاديث التي جاء فيها حلفه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهذه الألفاظ التي ذكرناها.

وجاء في القرآن الكريم حلفه بالرب في ثلاثة مواضع أمره الله عز وجل أن يحلف بها على حقية قيام الساعة والبعث والجزاء والعذاب :
أولاً في سورة يونس عند قوله تعالى : " وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ " يونس 53.

ثانياً في سورة سبأ في قوله عز وجل : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ " سبأ 3.

ثالثاً في سورة التغابن في قوله جل علاه : " زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " التغابن 7.

ما هذه الجفوة يا بلال

كان بلال رضي الله تعالى عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بدرأً وأحداً والأحزاب وبيعة الرضوان وجميع المشاهد لم يتخلف عنه قط، وكان أحد المؤذنين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالمدينة، ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أذن ورسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يقبر بعد فكان إذا قال : أشهد أن محمداً

رسول الله انتحب الناس في المسجد فلما دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال أبو بكر لبلال أذن يا بلال فقال له : إن كنت أعتقتني لأكون معك فسييل ذلك، وإن كنت أعتقتني لله تعالى فخلني ومن أعتقتني له، فقال له : ما أعتقتك إلا لله فقال : فإني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال أبو بكر : فذاك إليك فقام بلال حتى خرجت بعوث الشام فخرج معهم حتى انتهى إليها مجاهداً في سبيل الله تعالى.

وبقي هناك مدة لم يزر المدينة فرآى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في منامه ليلة وهو يعاتبه ويقول له : ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا؟ فانتبه بلال حزيناً فركب إلى المدينة فأتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجعل يبكي عنده، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يقبلهما فقالا له : نشتهي أن تؤذن في السحر فعلا سطح المسجد فلما قال : الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله زادت رجفتها، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله خرج النساء من خدورهن فما رؤي يوم أكثر باكيةً وباكية من ذلك اليوم.

ذكره ابن الأثير في أسد الغابة والذهبي في سير أعلام النبلاء.

أمة وعلماء انتفع الناس بعلمهم وكتبهم

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

وبعد، فإن العلماء الذين تقدمونا منذ أيام النبوة حتى يومنا هذا يعتبرون ءاباءنا وأشياخاً لنا يستحقون الشكر والدعاء معهم لما أسدوا إلينا من علوم ومعارف...

وهذه جمهرة وعيون منهم نذكرهم على سبيل الاختصار ليعرفوا بأعيانهم حتى يخصصوا بالاهتمام بهم :

فمنهم وفي طليعتهم حفاظ الصحابة ومكثرو الحديث منهم وهم سبعة نذكرهم على ترتيب عدد ما رووا عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فمنهم وهو أحفظهم وأكثرهم إطلاقاً أبو هريرة رضي الله تعالى عنه روى لنا عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً.

ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما روى ألفي حديث وستمائة حديث وثلاثين حديثاً.

ثم أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه روى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثاً.

ثم مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها روت ألفي حديث ومائتين وخمسة وأربعين حديثاً.

ثم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما روى ألف حديث وستين حديثاً.

ثم جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما روى ألف حديث
وخمسمائة حديث وأربعين حديثاً.

ثم أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه روى ألف حديث ومائة
وسبعين حديثاً.

ثم باقي الرواة منهم كل حسب ما روى لنا عن النبي صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم.

ومنهم فقهاء الصحابة والمتبوعون منهم والمفتون كالخلفاء الأربعة
وخاصة الإمام علي عليه السلام منهم وعبد الله بن عباس حبر هذه
الأمة وعبد الله بن مسعود ذلك العالم الرباني.

ثم أكابر التابعين من أولاد الصحابة وغيرهم كعلي زين العابدين،
والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله، وسعيد بن
المسيب، والحسن البصري وابن سيرين وأضرابهم، ثم يأتي دور الأئمة
المتبوعين كأبي حنيفة، ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل
وأشباههم ممن انتفع المسلمون في المشارق والمغرب بعلومهم
الفقهية على الخصوص وانتفع أهل العلم بموطأ مالك والأئم وغيرها
للشافعي والمسند العظيم لأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى جميعاً.

ومنهم مدونوا الحديث وجامعوه كالأئمة الستة البخاري ومسلم
وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ثم باقي مشاهير أهل
الأمهات والأصول المشهورة كالدارمي والدارقطني وابن خزيمة وابن
حبان والطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم فهؤلاء هم أشهر أصحاب

الأصول الحديثية وقد انتفع المسلمون عامة بكتبهم على اختلاف مذاهبهم وثقافتهم.

ومنهم القراء السبعة البررة : نافع، وعاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وأبو عمر البصري، وحمزة الزيات، وعلي الكسائي. رحمهم الله تعالى فقد انتفع المسلمون عامة بقراءتهم التي اختاروها من الوحي الإلهي ولا سيما قراءة الإمام نافع وقراءة عاصم التي يرويها عنه حفص، وهما الشهيrotان اليوم في العالم الإسلامي.

ومنهم المفسرون لكتاب الله العزيز كابن جرير الطبري شيخ المفسرين، والزمخشري، والقرطبي، والفخر الرازي، وابن جزي، والبغوي وابن كثير، والخازن، والألوسي، والبيضاوي، والشوكاني والقنوجي وغيرهم كثير.

ومنهم أهل الفقه المقارن وفقه الأئمة الأربعة كابن رشد، وابن حزم، وابن قدامة، وابن أبي زيد القيرواني، وابن الهمام، وابن عابدين، والنووي، وغيرهم.

فهؤلاء ممن اشتهروا بالكتابة في الفقه الإسلامي وقد انتفع بجملتها المسلمون في كل زمان ومكان.

ومنهم أئمة وحفاظ اشتهروا بالكلام على معاني الحديث وتحقيقه كابن عبد البر والخطابي، وابن بطال، وابن الملقن والحافظ بن حجر والقسطلاني والعيني وأضرابهم.

ومن مشاهير المحدثين المتأخرين والمشاركين في كثير من العلوم وانتفع الناس بهم ابن الصلاح والحافظ المزني والحافظ العراقي وتقي الدين ابن تيمية وتلامذته كابن القيم والذهبي وغيرهما ولا ننسى الحافظ السيوطي الذي أفادنا كثيراً بتأليفه المتنوعة، ومنهم جماعة من أهل السلوك والأخلاق والتربية الروحية كالطوسي، والقشيري، والغزالي حجة الإسلام، وفخر الأمة سيدي عبد القادر الجيلاني، والسهورودي صاحب العوارف وأضرابهم ممن انتفع الناس بكتبهم ودقائق علومهم في الأخلاق وتزكية النفوس.

ومنهم أشخاص من المتأخرين استفدنا من كتبهم كثيراً وفيهم كبار المحدثين والفقهاء والمشاركين في كثير من العلوم الإسلامية وآلاتها كالمرتضى الزبيدي ومحمد الأمير الصنعاني والإمام الشوكاني والشيخ أحمد بن عجيبة وولي الله الدهلوي وسيدي عبد القادر الفاسي وعبد الواحد ابن عاشر وعبد الحي اللكنوي وآخرين..

ومنهم علماء الآلة من نحو ولغة وأصول فقه كسبويه، وجمال الدين بن مالك، وابن هشام وابن عقيل الجوهري والفيروز بادي وابن مظور وأبي عبيد والغزالي وابن حزم والبيضاوي وغيرهم ممن كان لهم الأثر العظيم في تثقيف العلماء.

ومنهم أعلام ومحدثون وفقهاء ومفسرون عاصرناهم انتفع الناس بعلومهم وكتبهم منهم جمال الدين القاسمي، و أحمد شاکر، و حسن البنا، وسيدي أحمد الخياط الزكاري الفاسي، وسيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، وسيدي محمد عبد الحي الكتاني، وسيدي محمد بن

جعفر الكتاني، ثم سيدي أحمد الصديق وأخوه سيدي عبد الله وشقيقهما سيدي عبد العزيز، والشيخ ناصر الألباني، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وغيرهم كثير فكل هؤلاء وأضعاف أضعافهم بالعشرات كان لهم ولا زال نفع كبير للمسلمين فجزاهم الله أحسن الجزاء وأثابهم على ما قدموا لهذه الأمة المرحومة وغفر لنا ولهم ولوالدينا ولمشايخنا وأحبتنا وجميع المسلمين والمسلمات ممن يشهد لله بالوحدانية ولرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرسالة وماتوا على ذلك آمين. وجمعنا جميعاً بنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في جملة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

ما يكفي الإنسان من الكتب الدينية

سئلت في جمع من الدكاترة : عما يكفي الإنسان من الكتب التي يعتمد عليها؟

فأجبت : بأن طالب العلم لا يخلو حاله من أمرين اثنين :

إما أن يكون عالماً كاتباً مؤلفاً وداعية ومرجعاً للناس يحتاجون إليه في شؤون دينهم فهذا لا حدود لكتبه فمثله يحتاج إلى كل أنواع الكتب الإسلامية القديمة والحديثة من تفسير وحديث وفقه إسلامي على سائر المذاهب وكتب الخلاف العالي وجميع ما هو في السوق من كتب السنة المشرفة وشروحها وما يتعلق بها من كتب علوم الآلة كالعلوم العربية من نحو ولغة وبلاغة... وأصولي الفقه والحديث وعلوم القرآن وكتب الدعوة...

وإما أن يكون عالماً قاصراً على نفسه وذويه فهذا يكفيه في دينه في العقائد توحيد رسالة ابن أبي زيد القيرواني والطحاوية وفي الفقه كتاب في المذهب الذي يريد الاستعانة به كرسالة ابن أبي زيد في مذهب مالك أو مختصر ابن شجاع في مذهب الشافعي أو العمدة في مذهب أحمد أو أي كتاب مختصر من كتب الحنفية، وفي فقه السنة نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار أو شرح السنة للبغوي أو بداية الوصول لعبد ربه وفي الأخلاق والآداب رياض الصالحين للنووي وفي التصوف والسلوك الخاص عوارف المعارف للسهروردي وفي العربية ألفية بن مالك بشرح ابن عقيل وفي البلاغة الجواهر المكنون وفي الأصول الورقات لإمام الحرمين مع أحد شروحها وإرشاد الفحول للشوكاني وفي أصول الحديث والمصطلح النخبة للحافظ والباعث الحثيث... وفي ذلك كفاية.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه
أبد الأبدین.

بثينة وعشيقها جميل بن معمر

كانت بَثِينَةُ بنت ثعلبة العذرية القضاعية شاعرة حسناء خطبها جميل بن عبد الله بن معمر العذري أبو عمرو الشاعر فمنعت منه وتزوجت غيره فعشقها وتغزل بها واشتهر بذلك وكان أحد عشاق العرب كان يسكن بوادي القرى وكان عفيفاً ديناً من أفصح شعراء التابعين الإسلاميين هام في بثينة وقال فيها أشعاراً منها قوله :

ما زلت أبغي الحي أتبع فلهم == حتى دفعت إلى ربيبة هودج

فدنوت مختفياً ألم بيتها == حتى ولجت إلى خفى المولج

قالت وعيش أخي ونعمة والدي == لأنبهن الحي إن لم تخرج

فتناولت رأسي لتعرف مسه == بمخضب الأطراف غير مشنج

فخرجت خيفة أهلها فتبسمت == فعلمت أن يمينها لم تخرج

فلثمت فاها آخذاً بقرونها == فرشفت ريقاً بارداً مثلج

قال كثير عزة : لقيني جميل بثينة فقال : من أين أقبلت؟ فقلت :

من عند هذه الحبيبة فقال : وإلى أين؟ فقلت : وإلى هذه الحبيبة فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بثينة فواعدتها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيته، وكان آخر عهدي بها بوادي القرى وهي تغسل هي وأمهما ثوباً فتحدثنا إلى الغروب قال كثير فرجعت حتى أنخت بهم فقال أبو بثينة ما ردك يا ابن أخي؟ فقلت : أبيات قلتها فرجعت

لأعرضها عليك فقال : وما هي؟ فأنشده وبثينة تسمع من وراء
الحجاب :

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي == إليك رسولا والرسول موكل
بأن تجعلي بيني وبينك موعدا == وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل
وآخر عهدي منك يوم لقيتني == بأسفل وادي الدوم والثوب
يغسل

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذي واعدته إليه وجاء
جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادات
وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه.

وذكروا عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو
يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن قط،
ولم يسرق قط، ولم يقتل النفس، وهو يشهد أن لا إله إلا الله قال :
أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا؟ قال : أنا فقلت : الله ما
أظنك سلمت وأنت تشب بالنساء منذ عشرين سنة بثينة فقال :
لا نالني شفاعة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإني لفي أول
يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي
عليها بريبة قال : فما برحنا حتى مات.

توفي جميل هذا بمصر كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال : شديداً واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية وكان ذلك سنة ثنتين وثمانين رحمه الله تعالى آمين.

وذكر الأصمعي عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي قال : نعم قال : إذا أنا مت فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتا منها قوله :

قُومِي بُثَيْنَةَ فَأَنْدُبِي بِعَوِيلٍ == وَأَبِي خَلِيلًا دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ

فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدّر سرى في جنة وهي تتشنى في مرطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتني، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني فقلت : بلى والله صادق وهذه حلته وناقته فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتاً ترثيه بها وتتأسف عليه فيها وأنها لا يطيب لها العيش بعده ولا خير لها في الحياة بعد فقده ثم ماتت من ساعتها رحمه الله تعالى قال الرجل : فما رأيت أكثر باكية ولا باكية من يومئذ. ذكره ابن كثير في البداية والنهاية وغيره في غيره.

فهكذا تبادل الحب الجسدي هذان العذريان حتى فرق بينهما الموت ولقيا الله تعالى على ذلك وهو أعلم بهما. ولا عجب في هذه القصة فإن بثينة وجميلاً كلاهما من بني عذرة وأهلها معروفون بالغرام والعشق والصبابة مع العفة والوفاء ولهم في ذلك غرائب الأحداث والقصص.

ومن أعجب ما ذكره في هذا الموضوع مع العفة وخشية الله تعالى وعدم التدنس بمعصية الله ما يحكى أن فتى عشق جارية وكانت بنت عم له فخطبها إلى أبيها فرغب الأب عنه لفقره فازداد حبه إياها وكاد عقله يذهب فبلغ ذلك الجارية فأرسلت إليه تقول له : قد بلغني حبك وما وصل إليه أمرك والذي عندي من حبك أضعاف ما عندك من حبي فإن شئت خرجت لك من غير علم من أهلي، وإن شئت سهلت عليك الدخول علي فأرسل إليها كل ذلك لا حاجة لي فيه إني أرهب ناراً تلظى وعذاباً لا ينقطع أبداً، فلما جاءها الرسول وأخبرها بمقالته بكت وقالت : والله ما أحد أولى بهذا الأمر مني وأن الخلائق في الوعد والوعيد مشتركون ثم شرعت في النسك والعبادة فشقق ذلك على أهلها ولم تزل على حالتها تلك حتى توفيت فكان الفتى يأتي قبرها كل يوم ويدعو ويستغفر ثم ينصرف فجاءته في النوم ليلة فقال لها: فلانة قالت : نعم فقال لها : أخبريني إلى ما صرت إليه فأنشدته :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوالَ له == في جنَّةٍ وحُلُودٍ ليس بالفاني

فقال لها أتذكريني فقالت : والله لا أنساك إني لأتمنك على ربي قال : فمتى الملتقى قالت له : عن قريب إن شاء الله فأقام يجتهد في العبادة أياماً قلائل ثم أدركه الموت ولحق بها.

أقول : ولا شك أن هذين الشابين ماتا شهيدين لحبهما وعفتهما وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من عشق فعف فمات مات شهيداً *".

* الحديث صحيح أفرده لذلك أستاذنا سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى ورد بذلك على ابن القيم الذي ضعفه.

التجارة الربحية

إن التجارة هي أشهر أسباب الكسب منذ العصور الأولى كالزراعة وقد كان العرب وخاصة سكان مكة مشهورين بالتجارة ورحلاتهم بها حتى إن القرآن الكريم ذكرهم في سورة خاصة أطلق عليها سورة قريش وأنه كانت لهم رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء وقد شاركهم في بعض رحلاتهم إلى الشام نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم متاجراً في مال خديجة رضي الله تعالى عنها.

وجاء الإسلام فأباح لنا التجارة والتكسب بها وجعل لها أحكاماً وشروطاً وعقوداً وقیوداً وقد اتسعت التجارة في هذه الأمة وأصبح لها شأن وشارك فيها الأفراد والجماعات والدول وأفردت لها وزارات خاصة وأغرم الناس بها وأشربوا حبها رغم أنهم يعلمون أنها تجارة فانية كاسدة لا تعدو هذه الحياة الصاخبة ونسوا أو تناسوا إلا من رحم الله وقليل ما هم أن التجارة الرابعة الباقية الخالدة هي تجارة الآخرة التي ذكرها الله تعالى لنا وذكرنا بها في ثلاث سور من كتابه العزيز :

الأولى سورة التوبة قال الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ " الآية 111.

فالمشتري هنا في هذه التجارة الرابعة هو الله عز وجل، والسلعة المبيعة المشتراة هي أنفس المؤمنين وأموالهم والبائع هم المؤمنون المجاهدون والتمن هو دخول الجنة فهذه هي التجارة التي لا تبور ولا تكسد ولا خسارة فيها أبداً وهي رابحة دائماً.

الثانية في سورة فاطر قال الله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ " الآيتان 29-30.

فمن ثابر على تلاوة كتاب الله الكريم وحافظ على صلواته بأدائها في أوقاتها وشروطها وفرائضها وسننها... وأخرج زكاة ماله ولم ينس حق الله تعالى وحق عباده فيه فقد حصل على تجارة وربح عظيم وسيتفضل الله عز وجل عليه بما لا يخطر له على بال مع غفران ذنوبه والعفو عن سيئاته وتلك أمنية كل مؤمن.

الآية الثالثة ذكرها الله تعالى آخر سورة الصف قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " الآيات 10-11-12-13.

فالتجارة هنا هي الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الله بالأموال وتقديم الأرواح ونعمت التجارة ونعم الثمن ونعم الأجر والجزاء.

حكم الصلاة والصيام لمجاوري القطبين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

اقتضت حكمة الله تعالى وإرادته أن يكون وجوب أداء الصلوات الخمس وفطر الصائم ووجوب إمساكه عن الطعام ليلاً منوطاً بسير الشمس والقمر في مجاريهما فجعل سبحانه وتعالى للصلاة أوقاتاً تعرف بسير الشمس وجريانها في فلكها وبما أن الأرض شكلها كروي كان لكل بلدة وناحية وقت خاص بها كما هو معروف في كتب الفلك والتوقيت أما مسير القمر فجعله الله تعالى علامة على وجوب صيام رمضان وأداء مناسك الحج ونحو ذلك.

وبما أن الله عز وجل هو خالق هذه الكائنات وقد أحاط علماً بكل شيء فإنه تعالى جعل هذه العلامات في الشمس والقمر لصلواتنا وصيامنا خاصة في القارات والمناطق المعتدلة التي تمر عليها الفصول الأربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف ويتعاقب فيها الليل والنهار باستمرار أما المناطق الجنوبية والشمالية من الكرة الأرضية الغير المعتدلة عند القطبين الجنوبي والشمالي وما يقاربهما فإنها خارجة عما ذكرنا لأنها تأتيها فصول تغيب فيها الشمس والقمر أو يظهران شهوراً ونحوها حسب بعدها أو قربها...

وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أن الديانة الإلهية والشرائع التي شرعها الله تعالى لعباده ستكون في وسط الكرة الأرضية المعتدلة وأن المسلمين إنما يكونون في هذه القارات والأقاليم الطبيعية كما هو الواقع ولما هاجر المسلمون طلباً للعيش إلى أوروبا وكان منهم من استقر ببلاد بعيدة عن المناطق المعتدلة كبلجيكا والسويد والنرويج

والدائمات ونحوها وفي هذه الدول لا يغيب فيها الشفق وهو الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس الذي جعل الله غيبوبته علامة على وجوب العشاء وقد يبقى في بعضها الضياء كضياء الصبح. فجعلت للمسلمين المتدينين بسبب ذلك حيرة فلم يهتدوا إلى ما يصنعون فكثرت أسئلتهم لعلماء الإسلام فكان للعلماء في شأن ذلك فتاوى مختلفة منهم من أفتاهم بجمع صلاتي المغرب والعشاء في فصل الصيف وما يقاربه ومنهم من أفتى بالتقدير للوقت ومنهم ومنهم وكنت ممن سئل عن ذلك من طرف جماعة من سكان بلجيكا فأفتيتهم بسلوك إحدى الخطتين إما أن يعملوا على توقيت أقرب منطقة معتدلة لهم كفرنسا الشمالية مثلا وإما أن يقدروا لصلاة العشاء وقتاً يصلونها فيه عملاً بحديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في شأن الدجال.. وفيه : قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال : " أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيناه فيه صلاة يوم؟ قال : " لا، أقدروا له قدره " الحديث رواه مسلم في الفتن مطولا فقولته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في اليوم الأول من أيام الدجال الذي كالسنة اقدروا له قدره هو ظاهر فيما ذكرناه من تقدير ليالي الصيف في المناطق التي لا يغيب فيها الشفق الدال على دخول وقت العشاء والله تعالى أعلم فإن الموضوع يحتاج إلا كلام أكثر من هذا.

لا يقبل كلام الأقران في بعضهم بعضاً

إن الإنسان من حيث هو محبوب على حب ذاته وتفردده عن غيره بما هو بصدده فالتاجر مثلاً يحب أن يكون أحسن تجارة وأكثر ربحاً من غيره والفلاح يحب أن يكون أكثر مزارع ومحصولات من فلاحي بلدته وهكذا كل أصحاب المهن والحرف يحبون استئثارهم بما لديهم عن غيرهم وعن ذلك ينشأ التحاسد والأحقاد ثم المطاعن ثم الشتم والعداوة... بل الحروب وسفك دماء الأبرياء بالنسبة لذوي السلطة وأرباب الرياسات والزعامة والسياسة.

وللعلماء وخاصة الأقران نصيب وافر من ذلك والحامل لهم عليه إما الحسد وحب التفرد بالرياسة العلمية وكثرة الأتباع والأصحاب وإما التأويل والاجتهاد وإما أن يصدر منهم شيء من ذلك في حالة الغضب. وقد اتفق العلماء المحققون الربانيون أن من صحت عدالته، وثبتت في العلم أمانته وبانت ثقته وعنايته بالعلم لم يلتفت إلى قول أحد فيه إلا أن تأتي في جرحته بينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات.

وما جاء عن بعض الصحابة وغيرهم ممن جاء بعدهم من أهل العلم في كلام بعضهم في بعض لا يعمل عليه ولا يقتدى بهم فيه بل يجب أن يطوى ولا يذكر إلا للاطلاع ومعرفته فالصحابه تكلم بعضهم في بعض وتشاتموا وتقاتلوا وتقاطعوا... وفيهم أكابر الصحابة والمبشرون بالجنة وهذا الإمام مالك مع ابن إسحاق وابن أبي ذئب تبادلوا بينهم ما يجعل عنه أمثالهم من الكلام وهكذا حصل من حماد

بن أبي سليمان فقد قال لقيت عطاء وطاوساً ومجاهداً فصييانكم
يعني أهل الكوفة أعلم منهم بل صبيان صبيانكم مع أن عطاء
وطاوساً ومجاهداً من أكابر أوعية العلم والأئمة الثقات.

وتكلم الشعبي في إبراهيم النخعي والعكس وتكلم أبو حنيفة
والأعمش بعضهما في بعض، وقد كان جماعة يتكلمون في الشافعي
وكان بعض المالكية يدعو عليه بالموت وتكلم ابن معين في كثير من
الأئمة بأشياء أنكرها عليه العلماء لا داعي لذكرها.

ولا يخفى ما حصل بين النسائي وأحمد بن صالح المصري وبين ابن
منده وأبي نعيم مروراً بآبن تيمية مع تقي الدين السبكي ثم السيوطي
مع السخاوي ثم عبد الحي اللكنوي ومحمد خان الفنوجي ثم جاء
عصرنا عصر العجائب فحصلت فتن كثيرة بين علمائنا كالذي وقع بين
مسند الدنيا العلامة المحدث سيدي محمد عبد الحي الكتاني وبين
أستاذنا الحافظ سيدي أحمد الصديق وبين هذا وشقيقه محمد
الزمزمي وبين هذا وبين شقيقه أيضاً السيد المحدث عبد الله وبين هذا
والشيخ المحدث ناصر الدين الألباني وبين هذا وبين العلامة المطلع
المحدث عبد الفتاح أبي غدة وغير هؤلاء مما هو كثير وكثير.

فكل ما حصل من هؤلاء هو من قبيل ما ذكرنا إما اجتهاد وتأويل
وإما وقع حالة الغضب وعدم حبس النفس أو عن حسد وحقد
ومرض نفسي وكل ذلك لا يقبل منهم على الإطلاق إلا بشهادة عادلة
صادقة وخاصة فيما كان بين الأقران المتنافسين قال الذهبي في سير
الأعلام في ترجمة الحافظ أبي جعفر مَطْيِي.. وقد تكلم فيه محمد بن

عثمان بن أبي شيبة وتكلم هو في ابن عثمان فلا يعتد غالباً بكلام الأقران لا سيما إذ كان بينهما منافسة.... وقال في ترجمة أشهب المصري الملكي : ودعاء أشهب على الشافعي من باب كلام المتعاصرين بعضهم في بعض لا يعبأ به بل يترحم على هذا وعلى هذا ويستغفر لهما وهو باب واسع...

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في كتاب جامع بيان العلم وفضله بعد أن ذكر جملة ممن تكلم بعضهم في بعض ما نصه : فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات بعضهم في بعض فليقبل قول ما ذكرنا قوله من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعضهم في بعض فإن فعل ذلك ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً، وكذلك إن قبل في سعيد بن المسيب قول عكرمة وفي الشعبي والنخعي، وأهل الحجاز وأهل مكة وأهل الكوفة وأهل الشام على الجملة وفي مالك والشافعي وسائر من ذكرنا.... فإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده فليقف عندما شرطنا في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته وعلمت بالعلم عنايته وسلم من الكبائر ولزم المروءة والتعاون وكان خيره غالباً وشره أقل عمله فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله تعالى...

ولأجل ما ذكر في هذا الباب كان لا يقبل من الجارح طعنه فيمن كان بينه وبين المجروح منافسة أو عداوة أو حسد وأن كلامه في ذلك لا يعتد به ولا يعتمد عليه.

من أسرار القرآن الكريم امتناع إبليس من السجود

لآدم عليه السلام ذكر في سبع سور من القرآن الكريم

لأهمية قصة إبليس في امتناعه من السجود لسيدنا آدم عليه السلام وعداوته له ولبنيه وعظيم شره وتسلطه على جميع البشر ذكر الله تعالى قصته في القرآن العزيز سبع مرات في سبع سور تذكيراً لنا حتى نحذره ونكون على بال وأهبة من نزغاته ووساوسه.

فذكرت أولاً في أول سورة البقرة في قوله تعالى : " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " الآية .34

ثانياً في سورة الأعراف في قوله جل علاه : " وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ " إلى قوله : " قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا " الآيات 11 إلى 18.

ثالثاً في سورة الحجر في قوله عز من قائل : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ " الآيات 28 إلى 35.

رابعاً في سورة الإسراء في قوله جل ذكره : " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِيناً " الآية
61.

خامساً في سورة الكهف في قوله عز وجل : " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ "
الآية 50.

سادساً في سورة طه في قوله جل جلاله : " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِرَوْحِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى " الآيات 116-117.

سابعاً في سورة ص عند قوله تعالى : " إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ " الآيات 71-72-73-74.

فهذه القصة مركزة بالأصالة على أبينا آدم عليه وعلى نبينا وعلى
سائر الأنبياء الصلاة والسلام إذ هو الإنسان الأول العظيم الذي خلقه
الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكة قدسه وشرفه وكرمه
بعلم سائر الأسماء ومسمياتها التي عجزت الملائكة الكرام عليهم
السلام عن معرفتها.

فجاءت قصة خلقه وإسكانه الجنة وسجود الملائكة له متصلة بقصة إبليس لعنه الله والعبرة منها هو التحذير منه ولفت أنظار بني الإنسان إلى سابق تمرده على الله عز وجل ومخالفته أمره وتكبره وإعجابه بنفسه وحسده لآدم وعداوته له عليه السلام وكذبه عليه وإقسامه له على أنه ناصح له ولزوجته مفترياً على الله.

لذلك كرر الله تعالى قصته في القرآن الكريم سبع مرات في سبع سور حتى نكون يقظين دائماً منه وأن لا نغتر بما يزينه لنا ويوحيه إلينا بوساوسه في صدورنا.

ويمكن أن نستخلص من هذه القصة الغريبة في نوعها أسراراً وفوائد نجملها في الآتي :

أولاً تكريم الله أبانا آدم عليه السلام وتشريفه وتفضيله على الملائكة بما علمه وأعطاه.

ثانياً أمر الله عز وجل الملائكة أن يسجدوا له وأنه تعالى جعله قبلة لهم ولم يكن سجودهم له سجود عبادة فإن سجود العبادة لا يكون إلا لله الواحد الأحد الفرد الصمد.

ثالثاً تمرد إبليس على الله عز وجل وامتناعه من السجود امتناعاً سافراً ووقوعه بسبب ذلك في عدة جرائم وكبائر من الذنوب كمخالفته الأمر الإلهي، و استكباره، و احتقاره آدم عليه السلام، وحسده إياه، وإعجابه بنفسه، وقياسه الباطل في مقابلة النص، وكذبه على آدم وإقسامه له ولزوجته أنه لهما لمن الناصحين، و صفاقة وجهه

وعدم استحيائه من الله رب العالمين، و سؤاله الله عز وجل الإنظار إلى يوم الدين بعدما فعل ما فعل وقوله لله تعالى في بني آدم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين.

رابعا موقف الملائكة عليهم السلام من أمر الله وأنهم امتثلوا أمره إياهم بالسجود بدون توقف وهم الذين " لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " التحريم 6، " يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ " الأنبياء 20.

خامسا مخادعة إبليس لآدم حتى أكل من الشجرة المحظورة عليه هو وزوجته سيدتنا حواء.

سادسا ظاهر القرآن يدل على أن كل ذلك وقع في الجنة المعهودة وفي ذلك خلاف طويل والصحيح من القولية أنها الجنة المعهودة.

سابعا ذكر القرآن الكريم أمر الله تعالى إبليس بالخروج من الجنة أربع مرات ففي الأولى قال الله تعالى : " فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا " ، وفي الثانية قال له : " فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ " ، وفي الثالثة قال له : " فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ " ، وفي الرابعة قال له : " قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا " أي مذموما مطرودا. وما قيل من أمره تعالى إياه بالخروج كان من السماوات هو بعيد وخلاف الظاهر وسياق القصة لأن كلا من السجود وامتناع إبليس من ذلك ومخادعته آدم وأكله من الشجرة... وقع في الجنة لا في السماوات...

ثامنا إقسام إبليس لله تعالى على أنه سيغوي جميع بني آدم إلا عباد الله المخلصين منهم وأن الله تعالى أنجز له ذلك وأقدره عليه وسلطه على من يشاء من عباده.

تاسعا قد توعد سبحانه وتعالى أنه سيدخل إبليس وكل من تبعه وأطاعه جهنم التي لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يدخلون منه.

عاشرا إخباره تعالى آدم بأن الشيطان عدو له ولزوجته وحذرهما منه بأن لا يطيعاه فيخرجا من الجنة فيشقىا.

حادي عشر معاتبه الله عز وجل آدم على الأكل من الشجرة وإنكاره عليه طاعة إبليس لعنه الله.

ثاني عشر إن الله عز وجل اصطفى آدم واجتباه وتاب عليه مما صدر منه لأنه لم يفعل ذلك عن تعمد لمخالفة أمر الله بل فعل ذلك كما قال تعالى : " وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا " طه 115.

ثالث عشر إن عداوة إبليس لآدم وبنيه بالدرجة الأولى، وقد جاءت آيات في كتاب الله تعالى تخبرنا بعدواته لنا عداوة ظاهرة سافرة وأمرنا أن نتخذوه عدوا كما عادانا فقال تعالى : " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا " فاطر 6، وقال جل ذكره : " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي " يس 60-61.

وقال جل علاه : " إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " يوسف 5، وقال جل جلاله : " إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا " الإسراء 53، في آيات أخرى تخبرنا بأنه عدو لنا ظاهر العداوة.

وكما أخبرنا بعداوته لنا حذرنا منه ومن خطواته واتباع وساوسه ونزغاته فقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ " النور 21، وقال عز وجل : " يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا " الآية 27 الأعراف، وقال جل ذكره : " يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا " النساء 120، وقال جل جلاله : " وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا " الفرقان 29، وقال جل ثناؤه : " وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " الزخرف 36.

فهذا هو عدونا بالرقم الأول ولا مفر لنا منه ولا ملجأ إلا إلى الله خالقه الذي ابتلانا به ولذلك قال لنا : " وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ " الأعراف 200، وقال : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ " الناس الآيات 1 إلى 6. فلا يرده عنا ويقهره إلى الله الواحد القهار.

ولخطورة شره وعظيم فتنته أمرنا الله تعالى في هذه السورة سورة الناس أن نستعيذ ونتحصن به منه وكرر نفسه المقدسة المستعاذ بها ثلاث مرات فقال : برب الناس، ملك الناس، إله الناس، إشارة إلى أنه

عز وجل هو ربه وخالقه والقاهر له وأنه تحت ملكه وسيطرته وأنه إلهه وإله كل شيء فلا يخرج عن سلطانه وقهريته وعبوديته فمن لجأ إليه تعالى واستعاذ به من هذا العدو الخبيث دفعه عنه وعصمه منه اللهم إنا نعوذ بك من شر كل ذي شر يا ربنا وإلهنا فلا رب لنا سواك ولا ملجأ لنا إلا إليك فاحفظنا من هذا العدو اللعين آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحابته الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تكرار آية في القرآن الكريم إحدى وثلاثون مرة

من أسرار القرآن الكريم ومعجزاته وباهر آياته ما جاء في سورة الرحمن من تكرار آية : " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " الرحمن، أحداً وثلاثين مرة وذلك لتلفت أنظار الأمة بإنسها وجننها إلى ما أنعم الله عز وجل عليهم من النعم الكثيرة العظيمة السوابغ وأنهم يجب عليهم القيام بشكرها وذلك لا يكون إلا بالإيمان بالله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في كل ما جاء به مع الطاعة لهما وأن يعترفوا لله بكل ما أنعم عليهم به من آلائه ولذلك قال لهم بفريقيهم من الإنس والجن: " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " أي فبأي نعمة من نعم الله تكذبان وتجددان أيها الإنسان والجن. ولما نزلت السورة قرأها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الجن فكانوا كلما أتى على قوله : " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " أجابوا قائلين : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد، ولما قرأها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أصحابه من الإنس سكتوا ولم يجيبوا فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لقد قرأتها على الجن ليلة الجن

فكانوا أحسن مردوداً منكم " رواه الترمذي، ويلاحظ أن الله تعالى ذكر هذه الآية الكريمة بعد ذكر كل نعمة أو موعظة أو إنذار وتخويف وكل ذلك من آلاء الله ونعمه التي لا يجحدها ويكذب بها إلا كافر.

فتكرار الآية الكريمة جاء باعتبار أنواع النعم :

فالنعمة العظمى وبها افتتح تعالى السورة تعليمه إيانا القرآن الكريم الذي هو أصل حياة القلوب ولولا تعليمه عز وجل وإلهامه إيانا لما استطاع أحدنا أن يتعلمه ثم أردف ذلك بنعمة البيان الذي به نتخاطب فيما بيننا... ثم تابع ذكر نعمه التي لا نحصيها فذكر الشمس والقمر والنجم والشجر والسماء العالية والأرض التي جعلها مهياًة لنا وما وضع فيها من حب وثمار وفواكه وخضروات وبقولات... ورياحين ومعادن وأنهار وبحار... متاعاً لنا ثم استرسل سبحانه يذكرنا بأصل خلقتنا وأنه رب مشرقى الشمس والقمر ورب مغربيهما وأنه لا خالق لهما ولا متصرف فيهما سواه وهكذا ذكر نعمه علينا في خلق البحرين الحلو والمالح وأنه جعل بينهما برزخاً لئلا يبغى أحدهما على الآخر وألهمنا استخراج اللؤلؤ والمرجان منهما حلية وزينة لنا ثم ختم هذه النعم بالسفن الماخرة في البحار والمحيطات تجري فيها كالجبال فهذه عدة نعم صدر بها السورة الكريمة وخللها بذكر الآية الكريمة : " فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " ست مرات ثم عقب ذلك بإنذار العباد وتخويفهم ووعظهم بذكر فناء هذا العالم والكلام على بعض مشاهد الآخرة وصفة الأشقياء وما أعد الله تعالى لهم من عذاب وجحيم، وكرر الآية خلال هذه الإنذارات والمواعظ تسع مرات وذلك يدل على أنها أيضاً من نعم الله فإن ذكر الوعيد والتخويف يتسبب عنهما الخشوع

والإنابة إلى الله والتوبة وذلك من أعظم النعم على العبد ثم ختم السورة الكريمة بالنعمة العظمى على المؤمن عند آخر مطافه من هذه الحياة ونجاته من أهوال يوم القيامة ودخوله الجنة وتنعمه فيها، فذكر تعالى الجنان الأربع المعينات للمقربين والأبرار وصفاتهم وصفات نسائهن وما يتبع ذلك بداية من قوله تعالى : " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ " الرحمن 46، إلى قوله عز وجل : " تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " الرحمن 78، وكرر الآية الكريمة : " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " خلال هذه النعم العظيمة خمس عشر مرة إشارة إلى أنها نعم عظيمة وعظيمة ينبغي الاهتمام بالاستعداد للحصول عليها جعلنا الله تعالى من أشرف أهلها آمين آمين آمين.

طريفة

ذكر الذهبي في ترجمة أحمد بن المعذل المالكي البصري عن يموت بن المزرع عن المبرد عن أحمد بن المعذل قال : كنت عند ابن الماحشون فجاءه بعض جلسائه فقال : يا أبا مروان أعجوبة خرجت إلى حائطي بالغابة فعرض لي رجل فقال : اخلع ثيابك، قلت : لم؟ قال : لأنني أخوك وأنا عريان قلت : فالمواساة؟ قال : قد لبستها برهة قلت : فتعريني؟ قال : قد روينا عن مالك أنه قال : لا بأس للرجل أن يغتسل عريانا قلت : تُرى عورتي قال : لو كان أحد يلقاك هنا ما تعرضت لك قلت: دعني أدخل حائطي وأبعث بها إليك قال : كلا أردت أن توجه عبيدك فأمسك قلت : أحلف لك قال : لا تلزم يمينك للص فحلفت له

لأبعثن بها طيبة بها نفسي فأطرق ثم قال : تصفحت أمر اللصوص من عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى وقتنا فلم أجد لصاً بنسيئة أخذ فأكرهه أن أبتدع فخلعت ثيابي له...

غريبة

وذكر الذهبي أيضا في ترجمة الزاهد العارف شيخ الصوفية محمد بن خفيف عنه قال : تهت في البادية وجعت حتى سقطت لي ثمانية أسنان وانتثر شعري ثم وقعت إلى فيد وأقمت بها حتى تماثلت وحجبت ثم مضيت إلى بيت المقدس ودخلت الشام فنمت إلى جانب دكان صباغ وبات معي في المسجد رجل به قيام فكان يدخل ويخرج فلما أصبحنا صاح الناس قالوا : نقب دكان الصباغ وسرقت فدخلوا المسجد ورأونا فقال المبطون : لا أدري غير أن هذا كان طول الليل يدخل ويخرج وما خرجت إلا مرة تطهرت فجرروني وضربوني وقالوا : تكلم فاعتقدت التسليم فاغتاظوا من سكوتي فحملوني إلى دكان الصباغ وكان أثر رجل اللص في الرماد فقالوا ضع رجلك فيه فكان على قدر رجلي فزادهم غيظا وجاء الأمير ونصبت القدر وفيها الزيت يغلي وأحضرت السكين ومن يقطع فرجعت إلى نفسي وإذا هي ساكنة فقلت : إن أرادوا قطع يدي سألتهم أن يعفوا عن يميني لأكتب بها وبقي الأمير يهددني ويصول فنظرت إليه فعرفته كان مملوكاً لأبي فكلمني بالعربية وكلمته بالفارسية فنظر إلي وقال : أو الحسين وبها كنت أكنى في صباي فضحكت فأخذ يلطم برأسه ووجهه واشتغل

الناس به فإذا بضجة وأن اللصوص قد أخذوا فذهبت والناس ورائي وأنا ملطخ بالدماء جائع إلى أيام لم آكل فرأتني عجوز فقيرة فقالت : ادخل فدخلت ولم يرني الناس وغسلت وجهي ويدي فإذا الأمير قد أقبل يطلبني فدخل ومعه جماعة وجر من منطقتة سكيناً وحلف بالله إن أمسكني أحد لأقتلن نفسي وضرب بيده رأسه ووجهه مائة صفقة حتى منعه أنا ثم اعتذر وجهه بي أن أقبل شيئاً فأبيت وهربت ليومي فحدثت بعض المشايخ فقال هذا عقوبة انفرادك فما دخلت بلداً فيه فقراء إلا قصدتهم...

الفسق والعدالة

قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا " الآية 6 الحجرات.

استدل الأمة والعلماء بهذه الآية الكريمة على أن الفاسق لا يقبل خبره ولا تجوز شهادته أيضاً لآيات أخر كقوله تعالى : " وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ " الطلاق 2، وقوله تعالى : " يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ " المائدة 95، وقوله جل علاه : " إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ " الآية 106 المائدة، وقوله جل ثناؤه :
 " وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ " البقرة 282، فذكر تعالى في الآي الثلاث عدالة الشهود وفي الأخيرة ما نرضاه منهم وهم العدول أيضاً باتفاق.

فإن قيل : ما هو الفسق وما هي العدالة فالجواب أن الفسق في الإسلام هو الخروج عن طاعة الله تعالى بترك فرض من فرائض

الإسلام وإتيان معصية من الكبائر أو إصرار على صغيرة وأكثر ما جاء في القرآن من كلمة الفاسقين فالمراد بهم الكفار وأطلقت في سورة المائدة على من لم يحكم بما أنزل الله فقال تعالى : " وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " المائدة 47، وأقل ما قيل في ذلك أنه من كبار المعاصي لمن لا يستحل الحكم بغير ما أنزل الله، والكبيرة هي كل ما فيها حد كالقتل والزنا والسرقه واللواط والقذف أو ما أوعد الله تعالى على مرتكبها بالعذاب أو لعنه أو غضب عليه أو أخبر أنه لا يكلمه ولا ينظر إليه ونحو ذلك ومنه الحكم بغير ما أنزل الله لأنه جور وظلم، والصغيرة هي التي لا يخلو منها إنسان وهي المعبر عليها باللمم كالنظرة مثلا أو كذبة لا ضرر فيها لأحد أو سرقة نحو درهم أو قرش أو أكل لقمة الغير بدون إذنه فهذه تغفر باجتناب الكبائر وبكل الحسنات لكن المداومة والإصرار عليها يصيرها كبيرة ويصبح مرتكبها فاسقاً كصاحب الكبيرة المصر عليها فلا تقبل روايته في الحديث النبوي كما لا تقبل شهادته في تنفيذ الأحكام الشرعية والأقضية بين الناس فقد قال تعالى بعد ذكر القذف : " وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا " النور الآيتان 5-4.

فإذا تاب الفاسق عما ارتكب أصبح وقتئذ عدلا فتكون العدالة هي ضد الفسق وقد تضافرت أقاويل أهل العلم على أن العدالة هي اجتناب الكبائر وأداء الفرائض والتحفظ من الصغائر غالبا وزاد بعضهم اتقاء مباح يخرم المرءة ككثرة المزاح مثلا والأكل في السوق.... وإتماماً لفائدة القارئ أنقل له بعض نصوص أهل العلم في ذلك :

قال الغزالي رحمه الله تعالى في المستصفي : الشرط الخامس العدالة قال الله تعالى : " إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا " وهذا زجر عن اعتماد قول الفاسق ودليل على شرط العدالة في الرواية والشهادة والعدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حالها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفاً وازعاً عن الكذب، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي، ولا يكفي أيضاً اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة وتطفيف في حبة قصداً، وبالجملة كل ما يدل على ركافة دينه إلى حد يستجري على الكذب بالأغراض الدنيوية كيف وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة نحو الأكل في الطريق والبول في الشارع وصحبة الأراذل وإفراط المزح....

وقال التاج السبكي في جمع الجوامع مع المحلى : وشرط الراوي العدالة وهي ملكة أي هيئة راسخة في النفس تمنع عن اقرار الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف تمرة والردائل المباحة كالبول في الطريق... قال المحلى : أما صغائر غير الخسة ككذبة لا يتعلق بها ضرر ونظرة إلى أجنبية فلا يشترط المنع عن اقرار كل فرد منها فباقرار الفرد منها لا تنتفي العدالة...

وقال القرطبي في تفسيره : قال علماؤنا : العدالة هي الاعتدال في الأحوال الدينية وذلك يتم بأن يكون مجتنباً للكبائر محافظاً على مرءوته، وعلى ترك الصغائر ظاهر الأمانة الخ.

وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في شرح رسالة القيرواني نقلا عن عياض قال : وشروط العدالة أربعة : صدق اللهجة واجتناب الكبائر، وتوقي المثابرة على الصغائر والتزام مروءة مثله...

وقال ابن ناجي في الشرح المذكور قال ابن الحاجب : العدالة المحافظة الدينية على اجتناب الكذب والكبائر وتوقي الصغائر وأداء الأمانة وحسن المعاملة ليس معها بدعة فإنها فسق.

وقال المقدسي رحمه الله تعالى في شرح العمدة : ويعتبر في العدالة شيان أحدهما الصلاح في الدين وهو أداء الفرائض واجتناب المحارم، بحيث لا يرتكب كبيرة ولا يدمن على صغيرة... قال : فإذا كان الأغلب منه فعل الطاعات لم ترد شهادته، وإن كان الأغلب فعل الصغائر بحيث يصر عليها ردت شهادته...

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في الزواجر ملخصا أقوال علماء الشافعية قال الأصحاب يعتبر في العدالة اجتناب الكبائر، فمن ارتكب كبيرة فسق وردت شهادته وأما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية، لكن الشرط أن لا يصر عليها فإن أصر كان الإصرار كارتكاب الكبيرة.

قال : وأما الإصرار السالب للعدالة فهو المداومة على نوع من الصغائر أو الإكثار من الصغائر سواء كانت من نوع أو أنواع مختلفة... قال ويوافقه قول الجمهور : أن من يغلب طاعته معاصيه كان عدلا، ومن يغلب معاصيه طاعته كان مردود الشهادة إلى أن قال : ومن ثم قال الأذري : المذهب وقول الجمهور وما تضمنته النصوص

أن من كان الأغلب عليه الطاعة والمروءة قبلت شهادته أو المعصية وخلاف المروءة ردت شهادته إلى آخر ما قال.

وقال الحافظ وغيره من أهل الحديث : العدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة الخ.

وقال ابن عاصم في تحفة الحكام : **وَالْعَدْلُ مَنْ يَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ، وَيَتَّقِي فِي الْغَالِبِ الصَّغَائِرَ، وَمَا أُبِيحَ وَهُوَ فِي الْعِيَانِ، يَخْرُمُ مِنْ مُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ.**

وانظر عليه ما قاله الشارح التسولي والتاودي وميارة وابن رحال وجملة ما عند جميعهم أن العدالة هي اجتناب الكبائر وتوقي الصغائر الخسة وحفظ المروءة وقد جمع ذلك كله خليل في المختصر حيث قال رحمه الله تعالى في باب : **العدل حر مسلم بالغ بلا فسق وحجر وبدعة وإن تأول كخارجي، وقدري، لم يباشر كبيرة أو كثير كذب أو صغيرة خسة وسفاهة ولعب نرد ذو مروءة يترك غير لائق من حمّام وسماع غناء ودباغة وحيافة اختياراً، وإدامة شطرنج...**

هذا نص كلامه واشتراطه الحرية والبلوغ وعدم البدعة هذا من خصائص الشهادة، أما الرواية فتصح من العبد والصبي المميز والمبتدع الصدوق غير الداعية.

ونقل شارحه المواق عن ابن شاس قال : ليست العدالة أن يمحص الرجل الطاعة حتى لا يشوبها معصية إذ ذلك متعذر لا يقدر عليه إلا

الأولياء والصديقون، لكن من كانت الطاعة أكثر حاله وأغلبها عليه، وهو مجتنب للكبائر، محافظ على ترك الصغائر فهو العدل.

ولنختتم هذه النصوص بكلام الحافظ أبي محمد علي بن حزم رحمه الله تعالى لنفاسته قال في كتاب الشهادات من المحلى مسألة ولا يجوز أن يقبل في شيء من الشهادات من الرجال والنساء إلا عدل رضى. والعدل هو من لم تعرف له كبيرة، ولا مجاهرة بصغيرة، والكبيرة هي ما سماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كبيرة، أو ما جاء فيه الوعيد، والصغيرة ما لم يأت فيه وعيد، برهان ذلك قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا " الآية 6 الحجرات، وليس إلا فاسق أو غير فاسق، فالفاسق هو الذي يكون منه الفسق، والكبائر كلها فسوق فسقط قبول خبر الفاسق، فلم يبق إلا العدل وهو من ليس بفاسق وأما الصغائر فإن الله عز وجل قال: " إِن تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ " النساء 31، فصح أن ما دون الكبائر مكفر باجتناب الكبائر، وما كفره الله تعالى وأسقطه فلا يحل أن يذم به صاحبه ولا أن يصفه به، وكذلك من تاب من الكفر فمن دونه فإنه إذا سقط عنه بالتوبة ما تاب عنه لم يجز لأحد أن يذمه بما يسقط عنه ولا أن يصفه به، ثم ذكر اختلاف الناس في ذلك وأطال على عادته ثم قال وقال أبو يوسف - صاحب أبي حنيفة - من سلم من الفواحش التي تجب فيها الحدود وما يشبه ما يجب فيه الحدود من العظام، وكان يؤدي الفرائض وأخلاق البر فيه أكثر من المعاصي قبلنا شهادته لأنه لا يسلم عبد من ذنب، وإن كان المعاصي أكثر من أخلاق البر رددنا شهادته، ولا نجيز شهادة من يلعب

بالشطرنج ويقامر عليها، ولا من يلعب بالحمام ويطيورها، ولا من يكتر
الحلف بالكذب...

قال وقال الشافعي إذا كان الأغلب والأظهر من أمره الطاعة
والمروءة قبلت شهادته وإذا كان الأغلب من أمره المعصية وخلاف
المروءة ردت شهادته:

ثم قال : وقال مالك في رواية محمد بن عبد الحكم عنه : من كان
أكثر أمره الطاعة، ولم يقدم على كبيرة فهو عدل قال : وهو قول أبي
سليمان وأصحابنا -يعني الظاهرية- قال : وهو الحق كما بينا وبالله
التوفيق.

ومن نظر في هذه النقول وأمعن فيها لا يخفى عليه العدل والفاسق
والعدالة والفسق ومن تصح روايته أو تقبل شهادته ومن لا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على
سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الأبدین.

قصص من مجاي الدعاء*

لقد صدق من قال من المعاصرين وقد أجاد : شاعت الألقاب في
أيامنا وشاعت وذاعت، وأصبح يعمل لها مليون حساب وحساب، وقد
تجد من يجمع عشرات الألقاب كدكتور، وأستاذ، وعميد، ورئيس
هيئة... الخ.

ولكنه مع كل هذه ألقاب الدنيا لم يحظ بلقب واحد كعابد أو زاهد في علاقته بربه...

ومعنا الآن جماعة من العباد والزهاد الذين حظوا بمحبة الله عز وجل واستجابة دعواتهم كرامات لهم من ربهم فاعتبر بهم أيها القارئ واتق الله تعالى تلحق بهم.

قال عمر السرايا رحمه الله تعالى : كنت أغزو في بلاد الروم وحدي فبينما أنا ذات يوم نائم إذ ورد علي علعج - كافر أعجمي - فجذبني فانتبعت فقال : أما المسايفة والمطاعنة فلا طاقة لي بقتالهما، ولكن مصارعة فنزل فلم ينهنهني أن صرعتني وجلس على صدري وقال أي قتلة أقتلك؟ فتذكرت فرفعت طرفي إلى السماء فقلت : أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل غير وجهك الكريم قد ترى ما أنا فيه ففرج عني فأغمي علي ثم أفقت فإذا الرومي قتيل إلى جنبي. سبحانك يا من تجيب المضطر إذا دعاه.

وقال خالد بن الغرز كان حيوة بن شريح رحمه الله تعالى داعياً من دعاة البكائين وكان ضيق الحال جداً، فجلست إليه ذات يوم وهو مختل وحده يدعو فقلت : رحمك الله لو دعوت الله تعالى فوسع عليك في معيشتك قال : فالتفت يميناً وشمالاً، فلم ير

* من كتب مجابي الدعاء والصفوة لابن الجوزي وابن أبي الدنيا.

أحداً فأخذ حصة من الأرض فقال : اللهم اجعلها ذهباً قال الرجل فإذا هي والله تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها قال : فرمى بها إلي

وقال : ما خير في الدنيا إلا الآخرة ثم التفت إلي فقال : هو أعلم بما يصلح عباده، فقلت : ما أصنع بهذه؟ قال : استبقها فهبت والله أن أردّه.

وقال عبد الرحمن بن زياد : كنا عند مالك بن دينار رحمه الله تعالى ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد فجاء رجل فكلّم مالكاً وأغلظ له في قسمة قسمها، وقال : وضعتها في غير حقها، وشبعت بها وأهل مجلسك ومن يخشاك لتكثر غاشيتك، وتصرف إليك الوجوه، قال : فبكي مالك، وقال : والله ما أردت هذا قال الرجل : بلى والله لقد أردته، فجعل مالك يبكي ثم قال : اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت، قال : فسقط والله الرجل على وجهه ميتاً، فحمل إلى أهله على سرير.

ورآى رجل رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي : من رآني فلا يظلم أحداً فقال له : يا أخي ما قصتك؟ قال : أخي قصتي عجيبة، وذلك أني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد صاد سمكة كبيرة، فجئت إليه وقلت : أعطني هذه السمكة فقال : لا أعطيها أنا آخذ بثمانها قوتاً لعيالي، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها قال : فبينما أنا أمشي بها إذا عضت على إبهامي عضة قوية، فلما وصلت بها إلى بيتي وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الألم وورمت يدي فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الأكلة اقطعها وإلا قطعت يدك، فقطعت إبهامي وآلمتني ألماً شديداً ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم فقال : اقطع كفك فقطعته وانتشر الألم

إلى الساعد، وآلمني أماً شديداً فقيل لي : اقطعها إلى المرفق فقطعتها
فانتشر الألم إلى العضد فقيل : اقطع يدك من كتف وإلا سرى إلى
جسدك فقطعتها كلها فقال لي بعض الناس : ما سبب أملك؟ فذكرت
قصتي، فقال لي : لو كنت رجعت إلى صاحب السمكة واستحللت منه
ما قطع منك عضو فبحثت عنه فوجدته فأخبرته ووقعت على رجليه
أقبلها وأبكي فنهاني فقلت : هل كنت دعوت بشيء؟ قال : قلت :
اللهم إن هذا تقوى علي بقوته فأرني قدرتك فيه.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : خرج الناس للاستسقاء
بالبصرة فخرجت فيمن خرج فيبينما أنا مار بين الناس إذا بيدين قبضتا
على رجلي فقلت : من أنت؟ خل عني قال : أنا سعدون المجنون أين
تريد يا أبا الفيض؟ قلت : أريد المصلى أدعو الله تعالى فقال : بقلب
سماوي أو بقلب جاف؟ فقلت : بقلب سماوي، قال : انظر يا ذا النون
لا تبهرج فإن الناقد بصير، وقال : تدعو الله وأؤمن على دعائك، أو
أدعو الله وتؤمن على دعائي؟ فقلت : تدعو أنت وأؤمن على دعائك
قال: فصف قدميه ثم قال : إلهي بحق البارحة إلا تمطرنا قال ذو
النون : لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقت
فجاءنا المطر كأفواه الغدابي فقلت له : بحق معبودك أي شيء كان
بينك وبين الله البارحة؟ فقال لي : لا تدخل بيني وبين قرة عيني قلت :
لا بد أن تخبرني فأنشأ يقول :

أَنِسْتُ بِهِ فَلَا أَبْغِي سِوَاهُ == مَخَافَةَ أَنْ أُضِلَّ فَلَا أَرَاهُ

فَحَسْبَكَ حَسْرَةً وَضَنَى وَسُقْمًا == بِطَرْدِكَ عَنْ مَجَالِسِ أَوْلِيَاءِهِ

وذكر القصة بعضهم عن عطاء السلمي رحمه الله تعالى وذكر آياتا
أخرى وهي:

أفلح الزاهدون والعابدون == إذ لمولاهم أجاجوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا == فانقضى ليلهم وهم ساهرون
شغلتهم عبادة الله حتى == حسب الناس أن فيهم جنونا
كان عتبة الغلام رحمه الله تعالى منحرفا فتاب ودعا ربه تعالى أن
يهبه ثلاث خصال في الدنيا أن يمن عليه بصوت حزين، ودمع غزير،
وطعام من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى وكانت دموعه جارية
دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته لا يدري من أين يأتيه.

لماذا لا يستجاب الدعاء

في تفسير القرطبي لقوله تعالى في سورة البقرة: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي " الآية 186، قيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: ما بالناس
ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم
الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلم تتبعوا سنته، وعرفتم
القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله تعالى فلم تؤدوا شكرها،
وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم
الشیطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له،

ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس
هـ

شيطانان

التقا شيطانان شيطان المؤمن وشيطان الكافر أو الفاسق فإذا
شيطان الكافر أو الفاسق سَمِين دِهِين كَاس، وشيطان المؤمن هزِيل
عار أشعث أغبر فقال شيطان الكافر.. لشيطان المؤمن : ما لك هزِيلًا
أشعث أغبر عار؟ قال : أنا مع رجل إذا أكل سَمِي اللهُ تعالى فأظَلَّ
جائِعًا، وإذا شرب سَمِي اللهُ فأظَلَّ عطشانًا، وإذا لبس سَمِي اللهُ فأظَلَّ
عريانًا، وإذا ادهن سَمِي اللهُ فأظَلَّ شعثًا وإذا تَوَضَّأَ أو اغتسل سَمِي
الله فأظَلَّ وسخًا قَدْرًا فقال شيطان الكافر أو الفاسق : ولكني على
رجل لا يفعل شيئًا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه...

وأقول : وهذا هو الواقع وبه جاءت السنة المطهرة فقد قال صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله تعالى
حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء هنا،
وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت
وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال : أدركتم المبيت والعشاء " رواه
أحمد ومسلم وغيرهما من حديث جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ومن المقطوع به الذي جاء به القرآن الكريم أن الشيطان لعنه الله يشارك الكافر أو الفاسق في أكله وشرابه ولباسه وجماعه وجميع تصرفاته كما قال تعالى : " وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ " الآية 64 الإسراء، وقال في آية أخرى عنه : " وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا " الآية 118 النساء.

حفظنا الله تعالى منه ومن نزغاته وشروره آمين.

عبرة في إسلام مشرك كان يعبد صنما ومات

ذكر ابن الجوزي في صفوة الصفوة عن عبد الواحد بن زيد قال :
 ركبنا في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنما،
 فقلنا له : من تعبد؟ فأوماً إلى الصنم فقلنا : إن معنا في المركب من
 يسوي مثل هذا، ليس هذا بإلاه يعبد، قال : فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا :
 الله عز وجل قال : وما الله؟ قلنا : الذي في السماء عرشه، وفي الأرض
 سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه، فقال : كيف علمتم به؟ قلنا :
 وجه هذا الملك إلينا رسولا كريماً - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -
 فأخبرنا بذلك قال : فما فعل الرسول؟ قلنا : لما أدى الرسالة قبضه الله
 قال : فما ترك عندكم علامة؟ قلنا : بلى ترك عندنا كتاب الملك قال :
 أروني كتاب الملك فينبغي أن تكون كتب الملك حساناً، قال : فأتيناه
 بالمصحف فقال : ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل
 نقرأ ويبيكي حتى ختمنا السورة فقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن
 لا يعصى ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من

القرآن، فلما جن علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا فقال لنا :
يا قوم هذا الإلاه الذي دلتموني عليه إذا جن عليه الليل ينام؟ قلنا :
لا يا عبد الله هو عظيم قيوم لا ينام قال : بنس العبيد أنتم، تنامون
ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي : هذا
قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه فقال : ما هذه؟ قلنا :
تنفقها قال : لا إله إلا الله دلتموني على طريق سلكتموها أنا أعبد
صنماً من دونه سبحانه ولم يضيعني فيضيعني وأنا أعرفه؟ قال عبد
الواحد فلما كان بعد أيام قيل لي : إنه في الموت فأتيته فقلت له : هل
من حاجة؟ فقال : قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي قال عبد
الواحد : فحملتني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر عبادان ورأيت
فيها روضة وفيها قبة، وفي القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها
فقلت : سألتك بالله إلا ما عجلت به، فقد اشتد شوقي إليه فانتبهت
فإذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته، فلما جن الليل نمت
فرأيت في القبة مع الجارية وهو يقرأ : " وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّنْ
كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْهِمْ مِّمَّا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " الرعد 23-24.

من أخبار أبي يزيد السبطيني رحمه الله تعالى

ذكروا عنه أنه كان ذات يوم نائماً فرآى قائلاً يقول له : اذهب إلى
الدير لتدافع عن نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذهب
ودخل الدير وجلس فوقف البابا ليتكلم وقال : لن أتكلم لأن بينكم
رجلا مسلماً فقالوا له : كيف عرفته؟ قال : لأن أصحاب محمد - صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم - سيماهم في وجوههم من أثر السجود،

فقام أبو يزيد لينصرف فقال له البابا : إني سائلك أسئلة إن أجبت عنها
آمنا بدينك.

السؤال الأول : من الواحد الذي لا ثاني له؟.

السؤال الثاني : ما الإثنين اللذان لا ثالث لهما؟.

السؤال الثالث : ما الثلاثة التي لا رابع لهما؟.

السؤال الرابع : ما الأربعة التي لا خامس لها؟.

السؤال الخامس : ما الخمسة التي لا سادس لها؟.

السؤال السادس : ما الستة التي لا سابع لها؟.

السؤال السابع : ما السبعة التي لا ثامن لها؟.

السؤال الثامن : ما الثامنة التي لا تاسع لها؟.

السؤال التاسع : ما التسعة التي لا عاشر لها؟.

السؤال العاشر : ما العاشرة التي لا حادي عشر لها؟.

السؤال الحادي عشر : ما الإحدى عشرة التي لا ثانية عشر لها؟.

السؤال الثاني عشر : ما الإثنين عشرة التي لا ثالث عشر لها؟.

السؤال الثالث عشر : ما الثلاثة عشر التي لا رابع عشر لها؟.

السؤال الرابع عشر : ما الشيء الذي خلقه الله وأنكره؟

السؤال الخامس عشر : ما الشيء الذي خلقه الله وعظمه؟

السؤال السادس عشر : ما الشيء الذي تنفس ولا روح فيه؟.

السؤال السابع عشر : ما القبر الذي سار بصاحبه؟

السؤال الثامن عشر : ما الشجرة المكونة من اثني عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس ثمرات؟.

السؤال التاسع عشر : ما مفتاح الجنة؟.

فأجاب أبو يزيد رحمه الله تعالى :

أما الواحد الذي لا ثاني له فهو الله عز وجل.

وأما الثاني الذي لا ثالث له فهو الليل والنهار.

وأما الثلاثة التي لا رابع لها فهي أسئلة موسى عليه السلام للخضر.

وأما الأربعة التي لا خامس لها فهي الكتب السماوية الأربعة :
التوراة والإنجيل والزابور والقرآن.

وأما الخمسة التي لا سادس لها فهي الصلوات الخمس.

وأما السادسة التي لا سابع لها فهي الأيام التي خلق الله فيها الأرض
والسمااء.

وأما السبعة التي لا ثامن لها فهي أن الله عز وجل خلق سبع
سماوات ومن الأرض مثلهن.

وأما الثامنة التي لا تاسع لها فهي حملة العرش قال تعالى : " وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً " الحاقة 17.

وأما التاسعة التي لا عاشر لها فهي معجزات سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ " الإسراء 101.

وأما العاشرة التي لا حادي عشر لها فهي من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.

وأما الإحدى عشرة التي لا ثاني عشرة لها فهي إخوة سيدنا يوسف عليه السلام.

وأما الإثنتا عشرة التي لا ثالث عشرة لها فهي انفجار الحجر إلى اثنتي عشرة عينا.

وأما الثالثة عشرة التي لا رابع عشرة لها فهم إخوة يوسف وأبو وأمه عليهم السلام.

وأما الرابع عشر الذي خلقه الله وأنكره فصوت الحمير.

وأما الخامس عشر الذي خلقه الله وعظمه فكيد النساء قال تعالى : " إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ " يوسف 28.

وأما السادس عشر الذي تنفس ولا روح فيه فهو الصبح قال تعالى : " وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ " التكوير 18.

وأما السابع عشر فالقبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام.

وأما الثامن عشر فالشجرة المكونة من اثني عشر غصنا إلى آخرها فهي السنة فيها اثنا عشر شهراً في كل شهر ثلاثون يوماً في كل يوم خمس صلوات.

وأما التاسع عشر فمفتاح الجنة هو لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قالوا : فأسلم البابا وجميع من كان في الدير من القسيسين والنصارى.

وأقول : هذه الحكاية وإن كانت لا تخلو من فائدة فإني أظنها مفتعلة مصنوعة من بعض القصص الكذابين والله تعالى أعلم.

غلاة السلفية المتحجرة

قد جاء عن نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث المتواتر أنه قال : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " الحديث في الصحاح والسنن والمسانيد من طرق وألفاظ.

والطائفة الجماعة من الناس وهي تشمل الذكر والأنثى والعالم
والأمي والعربي والعجمي والبدوي والحضري والشريف والوضيع،
والغني والفقير، والإنسي والجنبي.

والحديث نص في أن هذه الجماعة موجودة في هذه الأمة المشرفة
في كل عصر وجيل على مدى حياة الأمة حتى يأتي أمر الله تعالى
بانصرام دينه وانصرافه، وأن هذه الطائفة المباركة هي التي تمثل الأمة
المحمدية.

واختلف علماؤنا رحمهم الله تعالى في هذه الطائفة من المراد بها
على أحد عشر قولاً وإن كان أكثر هذه الأقوال متداخلة فقال الأئمة
أحمد بن حنبل، وعي بن المديني، والنجاري، وابن المبارك، والترمذي،
ويزيد بن هرون، وآخرون رحمهم الله تعالى : إنهم أهل الحديث.

وقال آخرون : إنهم أهل الفقه والحديث والدين، وقال صنف ثالث
إنهم الصوفية المقبولون على الله تعالى وقال الإمام النووي رحمه الله
تعالى وتبعه الجمهور من المحققين : يحتمل أن تكون فرقة من أنواع
المؤمنين ممن يقيم أمر الله تعالى من مجاهد، وفقهه، ومحدث، وزاهد،
وآمر بالمعروف، وغير ذلك، ولا يلزم اجتماعهم في مكان واحد... وما
قاله النووي رحمه الله تعالى هو الظاهر، فإن كل من قام بشعائر
الدين، واتبع الحق واقتفى أثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم على الوجه المطلوب حسب اجتهاده وتوخيه الحق فهو من
هذه الطائفة الميمونة، وليست محصورة في جماعة خاصة، ولا مذهب

معين، بل هي مفرقة في الأمة في كل الجماعات والمذاهب الإسلامية السنية هنا وهناك في كل الأقطار الموجود فيها الإسلام والمسلمون.

لكن هناك إخوة لنا لا يرضيهم ما قلنا ولا يعجبهم ذلك، بل هم يحتكرون الحق احتكاراً دون غيرهم ويرون أنهم وحدهم أصحاب الحق، وأنهم أهل السنة والجماعة، ومن عداهم من المذاهب والجماعات الإسلامية الطالبين الحق والداعين إليه، والعاملين به، ضلال مبتدعة... بل قد يتغالون فيحكمون على أكثرهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة، وهؤلاء هم غلاة السلفية المتحجرة الذين يجعلون الدليل الظني قطعياً، والخطأ في الاجتهاد المأجور عليه بدعة وضلالاً فتراهم يقيمون الدنيا ويقعدونها على من خالفهم في آرائهم في جزئيات فرعية اختلفت فيها أنظار العلماء...

ولهؤلاء الغلاة غرائب من غلوهم وتطرفهم فقد كان عندنا بالمغرب واحد منهم اتصل بمسلم إسباني جديد أشهر إسلامه على يد بعض المتصوفة فبدل أن يهنئه على إسلامه ويرغبه في الإسلام بذكر محاسنه ويشجعه ويفرح لإسلامه قال له هذا المتحجر: لو بقيت على كفرك لكان خيراً لك من أن تكون مسلماً صوفياً، عياداً بالله من هذه الكلمة المنتنة.

وكان عندنا آخر بطنجة يلقي دروساً وعظية بمسجد بين العشاءين فإذا أذن مؤذن العشاء خرج هو وجماعته ولا يصلون مع المسلمين، وكان هذا المنتنع لا يقول بالصلاة خلف من يرفع يديه بالدعاء بعد الصلاة، وحج بعض غلاتهم فلما ذهب إلى مدينة الرسول صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم لم يدخل المسجد النبوي الشريف ولم يصل فيه لوجود قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقبري صاحبيه الصديق والفروق رضي الله تعالى عنهما فيه...

وحج آخر وكان من غلاة السلفية العجم فلم يزر المدينة إطلاقاً.

ومن غلوهم الفاحش ما قرأت لبعضهم وسمعت من آخر بالمسجد النبوي الشريف : أن التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شرك أكبر مخرج من الملة.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء الغلاة بلغوا النهاية في التنطع والتطرف، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الاعتدال والوسطية، وأن يجنبنا التطرف والانحراف والشذوذ.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه.

من معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة

فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها " رواه احمد ومسلم في الفتن.

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال - من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، وإمّا أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة " رواه أحمد ومسلم في الفتن وأبو داود والترمذي في الفتن أيضا وابن ماجه.

وعن الخباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال : صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صلاة فأطالها، فقالوا : يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصلّيها قال : " أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ثلاثا " فذكره بنحو ما سبق. رواه أحمد والترمذي في الفتن وحسنه وصححه وهو عنده على شرط مسلم.

وفي الباب عن جابر ومعاذ بن جبل والمستورد وشداد بن أوس وغيرهم وقد أوردتهم في خصائص الأمة المحمدية والحمد لله.

وفي هذه الأحاديث معجزات للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
نجمها في الآتي :

فمنها أن الله زوى له الأرض أي جمعها له حتى رأى مشارقها
ومغربها.

ومنها إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الإسلام وملك أمته
سيمتد فيما ظهر له من الأقطار الشرقية والغربية فحصل ذلك كما
أخبر بعده في مدة يسيرة فانتشر الإسلام وملك المسلمون الشرق
والغرب من المحيط الهادي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً بل تعدى
الإسلام فيما بعد إلى أمريكا وأوروبا شمالاً، وأندونيسيا وقارة أستراليا
جنوباً، غير أنه انتشر بكثرة مع حكام أهله في وسط الكرة الأرضية من
شرق آسيا إلى المغرب الأقصى فما بين ذلك.

ومنها إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الله أعطاه الكنزين
الأحمر والأبيض والمراد بهما بلاد كسرى والروم وقد فتحهما المسلمون
على أيدي أبطال الإسلام من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم
أيام الصديق والفاروق رضي الله تعالى عنهما وأنفقت أموالهما في سبيل
الله وكانا العملاقين اللذين يمثلان القوة المسيطرة وقتهما على أكثر
الأقطار فمزقهما الله تعالى تمزيقاً وأصبح ملكهما في خبر كان.

كما أن في هذه الأحاديث شدة اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم بأمته فسأل لها الله عز وجل أن يدفع عنها عدة كوارث
وأنواعاً من العذاب الذي كان يعذب الله عز وجل ويهلك به من كان

قبلنا وهذه الكوارث التي سألها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من ربه عز وجل لأمته تتمثل في الآتي :

أولا، أن لا يهلكهم بالغرق والطوفان والسيول كما فعل بقوم نبي الله نوح عليه السلام وأقوام بعده فهو تعالى وإن أرسل على هذه الأمة السيول الهائلة وأغرق أقواماً في كل العصور فلم ييدهم جميعاً كقوم نوح مثلا وفرعون وقومه.

ثانيا، أن لا يسلط عليهم عدواً أجنبيا عنهم فيقضي عليهم ويستأصلهم ويبيدهم من الأرض ورغم أنه تعالى سلط عليهم أمم الغرب من أوربا وأمريكا وروسيا وغزوهم مرات واستعمروا بلادهم وأخذوا ثرواتهم وقتلوا منهم الملايين من الرجال والنساء والأطفال فلم يستطيعوا أن يستأصلوا الأمة ويمحوها من الأرض بل لا تزال قائمة على ضعفها وشللها ولا تزال طائفة منها قائمة بأمر الله تعالى حتى يأتي أمر الله تعالى.

ثالثا، سأل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الله عز وجل أن لا يهلكهم بالسنة بفتح السين والنون وهي الجذب والقحط والمجاعات وهذه الكارثة وإن تكررت كثيرا في الأمة في كل العصور وفي كل الأقطار حتى أكل الناس بعضهم بعضا وأكل الرجل أولاده وزوجته وأباه وأمه فضلا عن الآخرين من الآدميين وأنواع الحيوان كالكلاب والقطط ومات بسبب ذلك ملايين البشر كما هو مذكور في كتب التاريخ وقد ذقنا نحن بعض ذلك في حياتنا مرتين أيام الحرب الأهلية بإسبانيا في

الثلاثينيات وأيام الحرب العالمية الثانية من سنة 1940 إلى سنة 1946 ولكن كل ذلك لم يكن قاضياً على جميع الأمة وعماماً فيها.

رابعاً، سأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه ذلك وهذه هي المحنة الكبرى والرزية العظمى والكارثة التي ما بعدها كارثة وهي تفرق الأمة واختلافها وتقاتلها وسفك دم بعضها بعضاً على الملك والكراسي والدنيا وكان فتح باب ذلك بقتل الخليفة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه فمن ذلك الحين والأمة مختلفة متطاحنة متمزقة حتى أصبحت طعمة سائغة لغيرها وبلغ بها الحال إلى ما نعيش فيه الآن.

فنسأله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يحفظنا من موجبات سخطه وغضبه ويوفقنا لصالح الأعمال وما يقربنا إليه ويرضيه.

الرؤيا وأثرها في الخير

صحابي أسلم لرؤيا رآها

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله تعالى عنه كان من السابقين الأولين للإسلام وسبب إسلامه أنه رأى في منامه كأنه واقف على شفير جهنم وكان أباه يدفعه فيها وكأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أخذ بيده ليمنعه من الوقوع فقص هذه الرؤيا على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقال له : لقد أريد بك خير هذا النبي فاتبعه تنج مما خفته فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأسلم ولزم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلاً ونهاراً، وكان إسلامه بعد أبي بكر بثلاثة أو أربعة نفر، وكان قد هاجر إلى الحبشة، وهو الذي كان وكيل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الزواج بالسيدة أم حبيبة رضي الله تعالى عنها ببلاد الحبشة.

ذكر هذه الرؤيا ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية، ومثل هذه الرؤيا وقعت لكثيرين من هذه الأمة ومن تتبع كتب تاريخ الرجال استخرج من ذلك ما لا يحصى وإليك بعض ذلك.

مالك بن دينار يتوب لرؤيا

ومن مشاهير المهتمدين بسبب الرؤيا مالك بن دينار أحد العباد المشاهير رحمه الله تعالى فقد ذكر غير واحد عنه أنه سئل عن سبب توبته فقال : كنت شرطياً، وكنت منهمكاً على شرب الخمر، وكانت لي جارية وقعت مني أحسن موقع وولدت لي بنتاً فشغفت بها فلما

دبت على الأرض ازدادت من قلبي حباً وألفتني وألفتها قال : وكنت إذا وضعت الشراب بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته على ثوبي ولما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملاً - سكران - من الخمر ولم أصل فيها العشاء الآخرة فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور وبعثت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حساً من ورائي، فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت هارباً فزعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام فقلت : أيها الشيخ أجبرني من هذا التنين أجاك الله فبكى الشيخ وقال لي : أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت علي طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوى فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح ارجع فليست من أهلها فاطمأنت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت : يا شيخ سألتك أن تجبرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال : أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة ستنصرك قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة وستور معلقة على كل خوذة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر على كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور

قد رفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرف علي من تلك المخمرات
أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض
الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا فوجاً بعد
فوج وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم، فلما رأني
بكت وقالت : أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى
مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها،
ومدت يدها اليمنى إلى التين فولى هارباً، ثم أجلسني وقعدت في
حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت : يا أبت : " أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ " الحديد 16، فبكيت وقلت :
يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت : يا أبت نحن أعرف به منكم
قلت : فأخبريني عن التين الذي أراد أن يهلكني قالت : ذلك عملك
السوء قوئته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت : فأخبريني عن الشيخ
الذي مررت به في طريقي قالت : يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته
حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت : يا بنية وما تصنعون في
هذا الجبل؟ قالت : نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم
الساعة نتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم.

قال مالك : فانتبهت فزعا وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية
وتبت إلى الله عز وجل وهذا كان سبب توبتي... هكذا ذكره مطولا
الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه التوابين وذكره غيره
مختصراً والله تعالى أعلم.

صدقة بن سليمان الجعفري يتوب لرؤيا والده

ذكر ابن أبي الدنيا في المنامات بسنده إلى صدقة بن سليمان الجعفري رحمه الله تعالى قال : كانت بي شرة سمجة - قبيحة - فمات أبي فأبت وندمت على ما فرطت ثم زلت فرأيت أبي في المنام فقال : أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علي فنشبهها بأعمال الصالحين قال خالد - أحد الرواة - : وكان بعد ذلك قد خشع وتنسك وكنت أسمعهم يقول في دعائه في السحر وكان لنا جاراً بالكوفة : اللهم أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصالحين، وهادي المضلين، وراحم المذنبين.

المرتعش ورؤياه الإمام علي في شأن الشاب

قال الشيخ عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى : سمعت جدي يقول : كان المرتعش دهقان نيسابور - أي تاجر - يذكر بدء أمره أنه كان جالساً على باب داره قال : فإذا أنا بشاب عليه مرقعة وعلى رأسه خرقة فأشار إلي متعرضاً إشارة لطيفة فقلت في نفسي : شاب جلد صحيح الجسم ولم أرد عليه جوابه فصاح الشاب صيحة هالتني وقال : أعوذ بالله مما خطر في شرك قال المرتعش : فغشي علي فخرجت جارية لنا ورأيتني واجتمع حولي خلق فما أفقت إلا بعد حين، فلما أفقت لم أر الشاب فتحسرت على ما كان مني فرأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في المنام وهو يقول : إن الله عز وجل لا يجيب سؤال مانع سائله قال المرتعش فانتهت وفرقت ما نالت يدي

وخرجت فسمعت وفاة والدي وأخي بعد خمس عشرة سنة وما رجعت إلى نيسابور بعد ذلك، وصار الشاب يتبعني أحياناً فما فارقتني ولا تفارقنا إلى اللقاء يعني الموت.

بشر الحافي والبطاقة ورؤياه في ذلك

وذكروا عن بشر الحافي الزاهد المشهور رحمه الله تعالى عن توبته أنه سئل ما كان بدء أمرك؟ لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي قال : هذا من فضل الله تعالى كنت رجلاً نشيطاً في المعاصي صاحب عصبية فخرجت يوماً فإذا أنا بقرطاس - صحيفة - في الطريق فرفعته فإذا فيه : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " فمسحته وجعلته في جيبِي وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته بالقرطاس فنمت فرأيت في المنام قائلاً يقول : يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطيين اسمك في الدنيا والآخرة قال : ثم كان ما كان يعني تاب إلى الله تعالى وزهد وتنسك.

وأقول : بهذه المناسبة إن رفع الصحف التي فيها أسماء الله تعالى من الأرض ومن المزابل من أعظم القربات وأشرف الأعمال الصالحات لأن في ذلك تعظيم أسماء الله تعالى وإكرام أعظم المقدسات وقد يبلغ المسلم بذلك مقاماً عند الله لا يبلغه الصوامون القوامون كما أن رمي الصحف والأوراق التي فيها أسماء الله تعالى فضلاً عن القرآن الكريم من أكبر الكبائر بل قد يكون كفرًا لمن علم ذلك حتى إن الفقهاء

ذكروا أن من رأى صحيفة ملقاة في الأرض أو في مزبلة وظن أن فيها
اسم الله تعالى ولم يرفعها كان مرتداً فكيف إذا علم ذلك ولم يرفعها أو
رماها كما هو الحال اليوم من أبناء المدارس وأوليائهم حيث يرمون
أواخر السنين الدراسية مصاحف وأجزاء من القرآن وكتباً دينية مليئة
بآيات قرآنية وأحاديث نبوية في المزابل وأوعية القمامة وصناديق
الأزبال فهذه جريمة نكراء يتعرض لها أولاد المدارس وآباؤهم وأمهاتهم
فمن وفق لجمع ذلك من المزابل والطرقات فقد هدي إلى خير
الأعمال.

وانظر ماذا حصل لبشر الحافي رضي الله عنه بإكرامه واحترامه
لاسم الله تعالى مرة واحدة كيف جازاه الله تعالى وخلد ذكره وأعلى
قدره.

إسلام مجوسي وأهله لرؤياه رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى في كتابه " التوابين " قرأت في
الملتقط أن بعض العلويين كان نازلاً ببلخ وله امرأة علوية ولها بنات
قد أصابهم الفقر ومات الرجل فخرجت المرأة بالبنات إلى سمرقند

خوفاً من شماتة الأعداء فاتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلوا البلد
أدخلتهم مسجداً ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين جمع
على رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع على مجوسي هو ضامن البلد،
فبدأت بالمسلم فشرحت له حالها وقالت : أريد القوت الليلة فقال :
أقيمي عندي البينة أنك علوية فقالت : ما في البلد من يعرفني
فأعرض عنها، فمضت إلى المجوسي فأخبرته بالخبر وحدثته ما جرى لها
مع المسلم فبعث معها أهل داره إلى المسجد فجاءوا بأولادها إلى داره
فألبسهم الحلل الفاخرة فلما انتصف الليل رأى ذلك المسلم في منامه
كأن القيامة قد قامت واللواء على رأس سيدنا محمد صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم وإذا قصر من الزمرد الأخضر فقال له : يا رسول الله
لمن هذا القصر؟ فقال : لرجل مسلم موحد فقال : يا رسول الله فأنا
مسلم موحد فقال : أقم عندي البينة بأنك مسلم موحد فبقي الرجل
متحيراً فقال له : لما قصدتك العلوية قلت لها : أقيمي عندي البينة
فهكذا أنت أقم عندي البينة فانتبه يبكي ويلطم وجهه وخرج يطوف
البلد على المرأة حتى عرف أين هي فأرسل إلى المجوسي فأتاه فقال له
: أين العلوية؟ قال : عندي قال : أريدها قال : ما إلى هذا من سبيل
قال : خذ مني ألف دينار وسلمهم إلي قال : ما أفعل قد استضافوني
ولحقني من بركاتهم قال : لا بد منهم قال : الذي تطلبه أنا أحق به
والقصر الذي رأيته لي خلق أتدل علي بإسلامك والله ما نمت ولا أهل
داري حتى أسلمنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك الذي رأيت
وقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم العلوية عندك
وبناتها قلت : نعم قال : القصر لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من
أهل الجنة خلقك الله تعالى مؤمناً في الأزل.

توبة أبي العتاهية رحمه الله تعالى

إسماعيل بن القاسم أبي إسحاق المعروف بأبي العتاهية المشهور كان رحمه الله تعالى من أشعر أهل زمانه يماثل أبا نواس رحمه الله تعالى وكان في ابتداء أمره ماجنا يقول الشعر في الغزل والهجاء والمديح الكاذب وقصته مع الأميرة عتبة في عشقه إياها مشهورة ذكرها غير واحد من المؤرخين وغيرهم ثم أخيراً تاب إلى الله تعالى وتنسك وعدل عما كان عليه إلى الشعر في الزهد والوعظ وكان سبب توبته ما ذكره الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في تاريخ بغداد بسنده إلى حماد بن شقيق قال : قال أبو سلمة الغنوي قلت لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟ قال : وإذاً والله أخبرك أني لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي == أهدت لي الصد والمملات

منحتها مهجتي وخالصتي == فكان هجرانها مكافأتي

هيمني حبها وصيرني == أهدوتني في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كأن آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى فانتهت مذعوراً وتبت إلى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل.

وأبو العتاهية هذا هو القائل وقد أجاد رحمه الله تعالى :

أيا عجبي كيف يعصى الإله == أم كيف يجحده جاحد

ولله في كل تحريكة == وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية == تدل على أنه واحد

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى عشرة ومائتين بعد أبي نواس باثنتي عشرة سنة.

وقد حكى لي صاحب توفي قديماً كان من أصحاب الإمام العارف بالله سيدي محمد بن الصديق رحمه الله تعالى ورضي عنه أنه كان شاباً ماجنا فجعل يصحب إخوانا وتلامذ لسيدي محمد بن الصديق وكان ذلك بمدينة سلا فكانت والدته تنهاه عن صحبتهم خوفاً عليه أن يصاب من طرفهم لسوء أدبه مع الله تعالى وإسرافه على نفسه قال لي : فيبينما أنا نائم ذات ليلة في غرفتي وإذا برجل جاءني وأخذني وأدخلني على رجل آخر فقال له هذا ارفعه قال : فحملني وجعل الرجل القاعد يضربني على رجلي وأنا أصرخ وأبكي قال : فاستيقظت على ذلك والدموع تسيل على وجنتي وأثر الضرب والألم في رجلي قال : فأيقظت والدي وأخبرتها بما رأيت فقالت لي : قد كنت أنكهك عن صحبة أولئك الناس قال : فثبت إلى الله تعالى وجاء وقت زيارة الإخوان الشيخ فصحبتهم وسافرنا إلى طنجة عن طريق البحر لأن المواصلات الطرقية لم تكن وجدت بعد قال فلما دخلنا الزاوية كان أول من استقبلنا ذلك الرجل الذي حملني للضرب ولما ذهبنا لزيارة الشيخ وجدته الذي تولى ضربني قال : فلما رأني تبسم ووضع يده على فمه رضي الله تعالى عنه.

فهذه الرؤيا يؤخذ منها أمور مفيدة :

أولاً إطلاع الله تعالى عبده ووليه سيدي محمداً الصديق على حال هذا الشاب حتى تراءى له في نومه يؤدبه على سوء أحواله.

ثانياً تألم هذا الأخ بأثر ذلك الضرب في نومه ويقظته.

ثالثاً تأثره بالرؤيا وتوبته إلى الله تعالى بسببها.

رابعاً تحققه بالشخصين اللذين رآهما في نومه الحامل والضارب، ورؤياه إياهما في اليقظة كما رآهما في المنام.

خامساً معرفة سيدي محمد بن الصديق لهذا الشاب عندما دخل عليه ولذلك تبسم.

وبالجملة فهذه سلسلة من كرامات سيدي محمد بن الصديق رضي الله تعالى عنه أظهرها الله في ذلك الشاب الذي بقي على عهد شيخه حتى الممات وسنه فوق الثمانين رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة وكان يسمى محمداً الشرقاوي سكن آخر حياته الزاوية الصديقية بسلا وبها توفي وأقبر.

وحكى لي أخ آخر بطنجة وكان من الأشراف العلميين أنه اقترب مرة فاحشة قال : فرأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فحملني رجل وضربني النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بخشبة ضرباً مبرحاً قال : فكان ذلك سبب توبتي وتوفي وسنه فوق التسعين. وبالجملة فهذا باب واسع لمن تتبعه.

وجوب التسليم لله عز وجل

في كل ما يجري في هذا الكون

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في حوادث سنة ست وستين وستمائة من البداية والنهاية الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانية قال : كان صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغني ما وقع من القتل الذريع ببغداد في فتنة التتار فأنكرت في قلبي وقلت : يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فرأيت في المنام رجلاً وفي يده كتاب فأخذته فقرأته فإذا فيه هذه الأبيات فيها الإنكار علي :

دع الاعتراض فما الأمر لك == ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله == فمن خاض لجة بحر هلك

إليه تصير أمور العباد == دع الاعتراض فما أجهلك

وأقول : الإيمان بالقدر واجب وهو أحد كليات الإيمان الست التي لا يصح إيمان عبد إلا بها فكل ما يجري في هذا الكون من تصرفات الله عز وجل قد سبق به علم الله تعالى وقضاؤه وكتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في حديث مسلم وغيره عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسواء كان ذلك خيراً أم شراً كفوفاً أم إيماناً طاعة أم معصية.

ولا يجوز الاعتراض على ما يقع في هذا الكون لا باللسان ولا بالقلب
فإن الله عز وجل لا يفعل شيئاً إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها
من جهلها فقد يرى الإنسان شيئاً يظنه شراً وهو خير في الواقع حتى
ولو كان كفوفاً أو ظلماً فإن الله عز وجل في ذلك أسراراً لا نعرفها.
فالواجب التسليم لما يجري به القضاء والقدر إلا ما جاءت به الشريعة
من دفع القضاء بالقضاء.

فهذا الشيخ أنكر بقلبه قتل الأبرياء من الأطفال وغيرهم فرآى في
منامه من أنكر عليه ذلك وأمره بترك الاعتراض على فعل الله تعالى ولو
بقلبه.

غريبة فيها عبرة

وذكر ابن كثير أيضاً في حوادث سنة سبعين وستمئة الشيخ علي
البكاء رحمه الله تعالى صاحب الزاوية بالقرب من بلد الخليل عليه
وعلى نبينا الصلاة والسلام قال : كان مشهوراً بالصلاح والعبادة
والإطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار وكان الملك المنصور قلاوون
يثني عليه ويقول : اجتمعت به وهو أمير وأنه كاشفه في أشياء وقعت
جميعها قال : وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه صحب رجلا كانت له
أحوال وكرامات وأنه خرج معه من بغداد فانتهاوا في ساعة واحدة إلى
بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت
في الوقت الفلاني فاشهدني في ذلك الوقت في البلد الفلاني قال : فلما
كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق وقد استدار إلى جهة

الشرق فحولته إلى القبلة، فاستدار إلى الشرق فحولته أيضاً ففتح عينيه وقال : لا تتعب فإنني لا أموت إلا على هذه الجهة، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فجئنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم، فقلنا لهم : ما شأنكم؟ فقالوا : كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة فلما كان اليوم مات على الإسلام فقلنا لهم : خذوا هذا بدله وسلمونا صاحبنا قال : فوليناه فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين، وولوا هم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى نسأل الله تعالى حسن الخاتمة...

أقول : إن ذلك الرجل الذي مات نصرانياً لم يكن يوماً ما مسلماً وإنما كان كافراً متريضاً فتروحن حتى صار يتلقى الأخبار عن الشياطين ويتظاهر بالخوارق وشبه الكرامات ومثل هذا الصنف يوجد في كل زمان ويمتاز في عصرنا بمثل ذلك البوذيين والبراهمة من الهنود وغيرهم فلا يغتر الإنسان بما يظهر على أيدي أمثال هؤلاء من الخوارق فإن الخارق كما يظهر على أيدي الأنبياء والأولياء يظهر على أيدي السحرة والكهنة والمنجمين والمتريضين وعلماء السيميا والفرق بين المحققين والمبطلين يعرف باتباع شرع الله تعالى وعدمه... والله الموفق الهادي لأقوم طريق.

ومعاذ الله تعالى أن يوفق الله أحداً لدينه حتى يكرمه بالخوارق ثم يختم عليه بالمولود على سوء الخاتمة فهذا ليس من سنن الله تعالى وحسن كرمه وفضله.

بشارة للعماد المقدسي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد العماد أخو الحافظ عبد الغني المقدسي المشهور كان عالماً ربانياً عابداً زاهداً ورعاً كثير الصيام يصوم يوماً ويفطر يوماً ذكره سبط ابن الجوزي وقال عنه وعن جنازته : فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وفي جنازته وكثرة من شهدها وقلت : هذا كان رجلاً صالحاً ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره ومر بذهني أبيات الثوري التي أنشدها بعد موته في المنام :

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي == هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى == بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته == وزرني فإني عنك غير بعيد

ثم قلت : أرجوا أن يكون العماد رأى ربه كما رآه الثوري فنمت فرأيت الشيخ العماد في المنام وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع كأنه روضة وهو يرقى في درج متسعة، فقلت : يا عماد الدين كيف بت فإنني والله نفكر فيك فنظر إلي وتبسم ثم قال : رأيتُ إلهي حين أنزلتُ حُفرتي == وفارقتُ أصحابي وأهلي وجيرتي

وقال : جُزيتَ الخيرَ عني فإنني == رضيتُ بها عفوي لديك
ورحمتي

دأبتَ زمانا تأملَ العفوَ والرِّضا == فَوُقيتَ نيرانِي ولُقيتَ جَنتي

قال : فانتبهت مذعوراً. ذكره أبو الفداء رحمه الله تعالى في حوادث
سنة أربع عشرة وستمائة من البداية والنهاية.

الأسئلة الفاسية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

كتب إلى أخ كريم من أهل فاس يشتغل بالحديث الشريف الأسئلة الآتية :

السؤال الأول : قد وقفت على ثمان طرق لحديث : " لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم " ووجدت فيها اضطرابا غير يسير ولذا ضعفه الإمام مالك وأحمد والطحاوي... والحافظ ابن حجر... وحسنه الترمذي وصححه الحاكم على شرط البخاري ثم ما الضابط الذي يعرف به طالب الحديث الاضطراب الذي يوهن الحديث وما توجيه فضليتكم لمتن الحديث....؟

وإجابة عنه أقول : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وزوجه وصحبه.

الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم وغيرهم واختلف فيه على ثور بن يزيد واضطرب الرواة عنه فيه والحديث المضطرب يكون ضعيفاً مطلقاً إذا لم يكن هناك مرجح يوجب تصحيح بعض طرقه كما هنا فإن الذين صححوه وهم الحاكم وعبد الحق في الأحكام الوسطى والدارقطني في سننه عملاً بهذه القاعدة وقد أفاض الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في بيانه في إرواء الغليل ورجح رواية عبد الله بن بسر عن أخته الصماء وصححه لذلك فانظر توجيهه لترجيحه فإنه ذكر فيه ما لم يسبق إليه. فتكون الروايات الأخرى شاذة وهذه محفوظة.

وقد كنت ذكرت خلاصة هذا الموضوع في تهذيب الترمذي والحمد لله منذ أكثر من ثلاثين سنة لوقتنا هذا عام 1432 هـ.

السؤال الثاني : وقفت على شرح العلامة الكشميري الهندي على صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري الموسوم بفيض الباري فوجدته ذكر في كتاب الآذان حديث دعاء ما بعد الآذان الذي مطلعته : اللهم رب هذه الدعوة التامة... وذكر في آخره زيادة : " إنك لا تخلف الميعاد " وذكر عقبها أن الزيادة المذكورة هي في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وذكر تصريح ابن دقيق والبيهقي بذلك فقلت : لعل ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى قلد البيهقي في عزوه... فما هو توجيه سيدي لهذا الكلام وهل يجوز أن يحكم بشذوذ لفظ الكشميهني لمخالفتها لباقي الرواة.

وإجابة عن هذا نقول بإذن الله :

هذه الزيادة إن كانت في رواية الكشميهني لصحيح البخاري كانت صحيحة لأنه إمام ثقة من مشاهير رواة الصحيح فزيادته مقبولة وليست بشاذة لأنها لا تخالف أصل الحديث وعلى هذه الرواية اعتمد البيهقي فأخرجها في سننه وعزاها للبخاري مع أصل الحديث وكذا أوردها القسطلاني في إرشاد الساري ولم يعقبها بشيء ولذلك صححها السخاوي في المقاصد الحسنة، وأنا شخصياً لم أزل أذكرها في حكاية الآذان منذ أكثر من نصف قرن لهذا الوقت علم 1433 اعتماداً مني على هذه الرواية.

السؤال الثالث : قال أبو حاتم في المراسيل : أن عبد الله بن لهيعة لم يسمع من عمرو بن شعيب ثم وجدته صرح بالتحديث عند أحمد في مسنده في حديث " لا يقاد لولد من والده " فقال الإمام أحمد ثنا أبو

سعيد ثنا عبد الله بن لهيعة ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لا يقاد لولد من والده " .

وأقول : أمر حديث ابن لهيعة معروف وهو أنه من روى عنه قبل احتراق كتبه أو صرح بالتحديث كان حديثه حسناً أو صحيحاً لذاته ومن روى عنه بعد ذلك كان حديثه حسناً في الشواهد هذا ما استقر عليه عمل أهل الحديث والذين صح عنهم روايتهم عنه قبل احتراق كتبه هم العبادلة : عبد الله بن المبارك، عبد الله القاري، عبد الله بن وهب. أو روى عنه قتيبة بن سعيد فإن حديثه عنه قديماً وحديثه هذا الذي ذكرت صرح فيه بالتحديث لكن الرواة عنه فيه ليس أحد منهم من العبادلة غير أن حديثه هذا صحيح لطرقه وقد ذكرت ذلك في تهذيب جامع الترمذي رقم حديث 1269 من كتاب الديات فراجعه.

السؤال الرابع : نسمع كثيراً في كتب أهل الحديث لفظة المتقدمين ولفظة المتأخرين فما الفارق الزمني بين المرحلتين؟ وهل قول ابن حجر في النكت على ابن الصلاح في الكلام على " عن " وأما المتأخرون وهم من بعد الخمسمائة وهلم جرا هل عليه العمل؟.

وأقول : كلام الحافظ في ذلك عليه عمل أهل الحديث، فقد مثلوا لذلك بطبقة الحاكم أبي عبد الله، والبيهقي، وابن عبد البر، والخطيب البغدادي، فما قبل هؤلاء يعتبرون من المتقدمين، وما جاء بعدهم كان

من المتأخرين وهذا اصطلاح اصطلاح عليه من جاء بعد من ذكرنا من أهل الحديث.

السؤال الخامس : ما قول سيدي في راو عرف عنه تدليس الإسناد فيسقط من شاء من الإسناد هل يشترط في تصحيح حديثه أن يصرح بالتحديث في جميع طبقات السند أم يكفي تصريحه بذلك له ولشيخه فقط...؟.

وأقول : القول ما قاله الحافظ من أنه لا بد وأن يصرح بالتحديث في جميع طبقات السند لأن من عرف بتدليس التسوية لا يؤمن منه التدليس في سائر السند وقد قالوا ذلك في الوليد بن مسلم الذي كان موصوفاً به والله تعالى أعلم فلا كلام لنا مع قول إمام الفن : إذا قالت حذام قولاً فصدقوها ،،، فإن القول ما قالت حذام.

السؤال السادس : ما قولكم فيمن قال : إن كتاب المراسيل لأبي داود هو قطعة من سننه واستدل بما هو مذكور في رسالته لأهل مكة في وصف سننه : ولعل الذي في كتابي من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة حديث ونحو ستمائة حديث من المراسيل وفي تحفة الأشراف عدد بعضهم مراسيل سنن أبي داود فما بلغت هذا العدد، والمراسيل بمفرده تبلغ عدد أحاديثه سبعة وثلاثين وخمسمائة فما هو الراجح عند سيدي؟.

وأقول : مراسيل أبي داود لم أعدها لا المودعة في سننه ولا المستقلة والعهددة على من أحصاها وهذا لا ينبني عليه كبير فائدة.

السؤال السابع : طبعت رسالة علمية فحواسها مساجلة بين العز ابن عبد السلام والحافظ بن الصلاح رحمهما الله تعالى حول صلاة الرغائب المحدثه، وقد عنف العز ابن الصلاح وشنع عليها بتجويزها مع اعترافه بضعف الحديث فما رأي سيدي في المسألة؟.

وأقول : صلاة الرغائب لا يصح شيء فيها والحق في ذلك مع العز ابن عبد السلام رحمه الله تعالى وقد شنع كثير من أهل العلم والحديث على الإمام الغزالي رحمه الله تعالى حيث أوردتها في الإحياء...

السؤال الثامن : في جؤنة العطار فصل في ترجمة صالح الفلاني وسيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى قد اتهمه بالكذب وأشار إلى أن له ترجمة طنانة للفلاني ثم وجدت في قائمة كتبه أن له رسالة : العتب الإعلاي فهل هي مطبوعة؟ وما أصح الأقوال في الرجل؟ أدام الله وجودكم سيدي...

وأقول : لأستاذنا الحافظ سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى رسالة في الرد على من وثق صالح الفلاني وذكر فيه من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على كذبه بحيث من قرأ الكتاب لا يبقى معه شك فيما قال عنه وعليه العهدة في ذلك والكتاب لا يزال لم يطبع بعد وهو في مصر مع باقي مؤلفات الشيخ عند من يسمى بالحسن التهامي وعندنا نسخة من الكتاب استخرج من الأنترنت.

وقد قرأت الكتاب منذ نصف قرن وتسعة أعوام ورأيي في صالح الفلاني رحمه الله تعالى لا أجزم بصدقه ولا بكذبه والله يغفر لنا وله إن مات على الإيمان كما نسأله تعالى أن يغفر لشيخنا ولوالديه ووالدينا

ولمشايقنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات... وقد كان صالح هذا من الدعاة إلى العمل بالكتاب والسنة ومحاربة التقليد الأعمى وله كتاب هام في ذلك.

السؤال التاسع : سيدي في رسائل سيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى الموسومة " بدر الغمام الرقيق " والتي طبعت باسمكم وجدت الشيخ سيدي أحمد يصف أبا علي عمر بن علي الورياغلي المشهور بابن الزهراء بأنه ميمون ولا أعلم أحداً سبق الحافظ سيدي أحمد بتسميته بهذا الإسم وقد راجعت أكثر من عشرين كتاباً بحثاً عن ترجمته ما بين طبقات المالكية وطبقات غيرهم ولم أجد من أشار إلى تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته وقد رجعت إلى كتابه الذي شرح به الموطأ في خمسين مجلداً وهو مخطوط عندنا في القرويين وقد اطلعت عليه فما وجه تسمية الشيخ له بميمون وهل وقف سيدي علي ترجمته أو من أشار إليه من المالكية وغيرهم؟.

وأقول : أنا لا أدري عن الكتاب ولا عن مؤلفه شيئاً إلا ما ذكره لنا عنه الشيخ رحمه الله تعالى وقول بعض من رآه إنه أحسن من التمهيد لابن عبد البر أو كما قال هو كلام من لا مخالطة له لعلم الحديث الشريف ولا شم له رائحة وقد بين ذلك الشيخ أوضح بيان في الرسالة المذكورة في در الغمام الرقيق.

السؤال العاشر : في ترجمة عبد الرحمان بن عديس من الإصابة نجد أنه صحابي وقيل أنه ممن بايع تحت الشجرة، ولكنه روى حديثاً في دم ذي النورين عثمان رضي الله تعالى عنه وفي تلخيص الموضوعات

للذهبي باب ما روى في عثمان ذكر الحديث وقال : إن علته ابن لهيعة أو المجهول الذي روى عنه ابن أبي الدنيا أو المتهم به عبد الرحمان بن عديس، فاستشكلت هذا منه فما القول الفصل عند سيدي في المسألة؟.

وأقول : عبد الرحمن بن عَدَيْس من أهل بيعة الرضوان كما في أسد الغابة وغيره وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أهل هذه البيعة : " كلكم مغفور لكم إلا صاحب الجمل الأحمر " كما في كتاب المنافقين من صحيح مسلم. وفيه أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها..." وفي رواية من حديث جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراناً والحديبية ".

فكيف يتهم بوضع الحديث من كان هذا حاله ومن المعلوم ضرورة عند عامة أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول قبل الفتنة وبعدها.

وكون عبد الرحمان هذا كان من رؤساء فتنة قتل عثمان رضي الله تعالى عنه قد يكون له اجتهاد وتأويل ونية حسنة فأخطأ فغفر الله تعالى له ما فعل وقد حضر وقعة الدار جماعة من الصحابة حتى أنهم اتهموا طلحة والإمام عليا رضي الله تعالى عنهما في مشاركة قتله وأعازهما الله من ذلك.

نعم كان كثير ممن شارك في قتل عثمان أنصار الإمام علي وحضروا معه وقعتي الجمل وصفين ثم انقلبوا ضده بعد التحكيم وكفروه كما كفروا طلحة والزبير ومعاوية وخرجوا عليه...

والمقصود أن عبد الرحمان بن عديس بريء من تهمته بالحديث...

السؤال الحادي عشر : ماذا يرجح سيدي في قضية عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟.

وأقول : الذي أدين الله تعالى به وأعتقده أنهم عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها وكل ما جاء مما يوهم عصيانهم ويخدش في عصمتهم فمؤول ولا بد وقد أجاد وأفاد القاضي عياض رحمه الله تعالى في الجواب عن كل ما استشكل في ذلك في كتابه العظيم القيم الشفا في حقوق المصطفى مما لا يوجد عند غيره فجزاه الله أحسن الجزاء.

السؤال الثاني عشر : ما القول الراجح الذي يرتضيه سيدي في معنى قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " نزل القرآن على سبعة أحرف..".

وأقول : القول الراجح في ذلك الذي أرتضيه هو ما ذكرت خلاصته في كتاب : " جواهر البحار " وفي أوائل التفسير من بداية الوصول.

السؤال الثالث عشر : ما يقول سيدي في طالب يستحضر أحاديث الجامع الصغير للحافظ السيوطي وقرأ الكتب الستة وسنن الدارمي والموطأ والمسند وأحاط بكتب الاصطلاح وأوشك على حفظ فروعها

مع استحضار لرجال السنة هل يبلغ درجة المحدث فإن كان كذلك فكيف يرتقي إلى درجة الحافظ ومن هم العلماء الذين عاصرتهم سيدي وبلغوا درجة الحفظ.

وأقول : إن جماعة من أهل الحديث تكلموا في هذا الموضوع وكل أدلى بما ظهر له وأداه إليه اجتهاده والذي يظهر لي وهو الحق إن شاء الله : أن كل من مارس علم الحديث رواية ودراية وقرأ الأمهات المشهورة وميز بين المتواتر والمشهور على الألسنة واستخصر أكثر الصحيح والضعيف من الحديث أطلق عليه محدث فإذا أتقن الحديث وصناعته وصح وضعف باجتهاده واطلع على أكثر ما هو مشهور من كتب السنة من صحاح وسنن ومسانيد ومستخرجات ومعاجم وأجزاء ومهر في ذلك كان حافظاً لأن الحفظ هو الإتيان كما نص عليه غير واحد من المتقدمين والمتأخرين.

أما العلماء الذين عاصرتهم وبلغوا درجة الحفظ فأشهرهم عندي أربعة وهم حسب ترتيبهم الزماني الشيخ محمد زاهد الكوثري التركي ثم المصري، والشيخ سيدي عبد الحي الكتاني، والشيخ سيدي أحمد بن الصديق والشيخ ناصر الدين الألباني رحمهم الله تعالى جميعاً.

ويليهم في ذلك جماعة آخرون وهم الشقيقان السيد عبد الله والسيد عبد العزيز ابنا الصديق، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ أحمد شاکر والشيخ محمد أنور الكشميري والشيخ شعيب الأرنؤوط وغير هؤلاء ممن لا استحضرتهم الساعة فهؤلاء يفوقون كثيراً ممن

أدرجوا مع الحفاظ من القدماء في الصناعة الحديثية والاطلاع الواسع والإتقان.

وإن شئت فقلن مثلاً بين الشيخ عبد الفتاح أبي غدة أو السيد عبد العزيز الصديق وبين أمثال القاضي أبي بكر محمد بن العربي المعافري أو بينهما وبين أبي الوليد الباجي وهما ذكرا في جملة الحفاظ تدرك الفوارق الشاسعة بينهم في الإتقان والاطلاع...

السؤال الرابع عشر : سيدي في ارتشاق الرحيق من أسانيد عبد الله بن الصديق وفي فتح العزيز بأسانيد سيدي عبد العزيز تخريج الشيخ محمود فقد صرح الشيخان المذكوران... بإجازتهما لأهل العصر وكذلك سيدي أحمد الصديق أجاز لأهل العصر كما في الصفحات الأخيرة من المجلد الثاني من البحر العميق فما حكم الرواية بمثل هذه الصيغة؟

وأقول : إن الإجازة في أصلها الرواية بها نازلة ومنحطة عن الرواية بالسمع أو العرض وإن كانت لمعين في معين فكيف إذا كانت لمجهول في مجهول فلا شك أن الرواية بها ضعيفة جداً وقد أجازها جماعة من أهل الحديث كما يعرف من مراجعة علوم الحديث.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه أبد الآبدين.

الأمية في حق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

معجزة وكمال

الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك نقص في الإنسان ولذلك كان الذي يتقن الكتابة في الجاهلية يسمى بالكامل لكنها بالنسبة لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كمال ومعجزة في حقه حيث إنه أمي لم يقرأ ولم يكتب وجاء بعلوم ومعارف الأولين والآخريين ولا يعرف عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه تعلم من أحد ولم يكن وقته عند العرب حضارة ولا علوم ومعارف لا دينية ولا إنسانية كما كان عند الروم والأكاسرة وغيرهم ولم يكن بمكة المكرمة كليات ولا جامعات ولا دكاترة ولا أساتذة حتى يقال تعلم منهم وتلقى ما جاء به عنهم وقد أجمع علماء الإسلام على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعث أميا وعاش أميا حتى قبضه الله فقد قال الله تعالى في صفته: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " الأعراف 157، وقال تعالى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ " العنكبوت 48، ووصف نفسه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وغيره حيث قال: " قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي...." الخ.

ولم يختلف المسلمون في هذا إلا ما روي عن الشعبي أنه قال: ما مات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى كتب وهذا لا يصح

من طريق الرواية وما جاء في الصحيح في حديث صلح الحديبية وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه : " أرني مكانها " فأراه فمحاها وكتب ابن عبد الله وفي رواية للبخاري فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكتاب فكتب وزاد في رواية : " ولا يحسن أن يكتب " ، فهذا لا يدل على أنه تعلم الكتابة وصار يكتب بل غايته أن الله تعالى علمه كيف يكتب تلك الجملة فقط وذلك من معجزاته أيضاً.

وقد اغتر جماعة من المتأخرين بظاهر هذه الرواية فنفوا عنه الأمية وقالوا إنه صار يكتب منهم أبو ذر الهروي وأبو الوليد الباجي وقد أنكر هذا كثير من العلماء ورودا على الباجي الذي أشاع ذلك حتى كفره بعضهم.

وقال القرطبي في تفسيره أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما كتب ولا حرفاً واحداً وإنما أمر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجى... صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

هجران القرآن

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في بعض كتبه على قوله تعالى : " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا " الفرقان 30.

هجران القرآن أنواع :

أحدها هجر سماعه والإيمان به.

الثاني هجر العمل به وإن قرأه وآمن به.

الثالث هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

الرابع هجر تدبره وتفهم معانيه.

الخامس هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب.

وكل هذا دخل في قوله تعالى : " إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا " وإن كان بعض الهجر أهون من بعض...*

وأقول : إن هذا استنباط رائع لا يوفق له إلا من فتح الله قفل قلبه ونور بصيرته وهذه الأنواع التي ذكرها أقبحها وأدهاها الأنواع الثلاثة الأول عدم الإيمان به، وعدم العمل بمقتضاه، وعدم تحكيمه والتحاكم إليه، وبقائها أهون منها في الجملة والجميع يشملهم ذم الهجران هدانا الله تعالى ووفقنا.

* وذكر نحوه الحافظ أبو الفداء بن كثير في تفسيره رحمه الله تعالى فلا ندري هل توافقا في ذلك صدفة أم أخذه أحدهما عن الآخر.

الروعة في قوله تعالى : وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ " القصص 7

هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " القصص 7، جاءت تتحدث عن قصة أم موسى عليهما السلام حيث كان فرعون وزبانيته يقتلون أطفال بني إسرائيل الذكور فلما ولدت هذه السيدة سيدنا موسى عليه السلام خافت عليه من القتل فأوحى الله تعالى إليها بأن ترضعه ثم تلقيه في بحر النيل وطمأنها بأن لا تخف عليه ولا تحزن وأنه سيبقى محفوظا بعناية الله تعالى ولطفه حتى يرده إليها ويجعله من المرسلين.

وكلامنا على الآية الكريمة من ناحيتين :

الناحية الأولى : في بلاغتها وأنها بلغت القمة والذروة العليا في الفصاحة والبيان والروعة، وقد شعر بهذا كثيرون من أئمة اللغة والفصاحة والبيان وقد ذكر جماعة عن الأصمعي - وكان من أعلم أهل زمانه بلغة العرب وأساليبها - أنه سمع مرة جارية عربية تنشد :

أستغفر الله لذنبي كُلهُ == قتلتُ إنساناً بغيرِ حِلِّهُ

مثل الغزال ناعما في دله == انتصف الليل ولم أصله

فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك؟ فقالت : ويحك أو يعد هذا فصاحة مع قول الله عز وجل : " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا

خِفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ."

فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين...
وهذا لم ينطق به بشر ولا هو في استطاعة أحد.

فالأمران في قوله : أن أرضعيه.. فألقيه في اليم... والنهيان في قوله
تعالى : ولا تخافي ولا تحزني، والخبران في قوله جل ذكره : وأوحينا إلى
أم موسى، والبشارتان في قوله جل علاه : إنا رادوه إليه وجاعلوه من
المرسلين.

فما أروع من كلام وما أفصح من بيان وما أحلاه من تركيب
وأسلوب، إنه كلام الله عز وجل الذي لم يكن فيه يد لأحد من خلقه
ولذلك أعجز الجن والإنس عن الإتيان ولو بسورة من مثله فقال تعالى
في الآية الجامعة : " قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " الإسراء 88،
وقال في آية ثانية : " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ
لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ " الآياتان 23-24 البقرة.

فتحداهم سبحانه وتعالى بالإتيان بسورة من مثله في نظمه وأسلوبه
وبلاغته.... ثم سد في وجوههم الباب وأخبر وخبره صدق بأنهم لن
يفعلوا ذلك أبداً.

الناحية الثانية : في قوله تعالى : " وأوحينا " فما المراد بالوحي هنا مع العلم بأن الوحي يطلق على معان فهو من الألفاظ المشتركة يطلق في عرف الشرع على ما يوحيه الله عز وجل إلى أنبيائه بالطرق المعروفة الخاصة بهم كما يطلق في اللغة على الإلهام والإشارة وكل كلام خفي فليل معناه هنا الإلهام كما ألهم الله النحل وألهم المولود للرضاعة وألهم الناس إلى طاعة الله تعالى أو إلى ما يأتون ويذرون.

وقال بعضهم ممن أجاز نبوة النساء المراد بالوحي هنا الوحي الاصطلاحي الشرعي وهو الإلقاء من قبل الله تعالى كما يلقي للأنبياء وقيل أنه من قبيل إلهام الصالحين المحدثين كما جاء في الحديث الصحيح : " لقد كان فيمن قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم " أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقوله محدثون بفتح الدال المشددة أي ملهمون ومكلمون في بواطنهم كما يقع لكثير من الصالحين وأولياء الله تعالى فقد تكون السيدة من النيات أو من جملة الصالحات والله تعالى أعلم.

من معجزات القرآن أيضا

ذكر تعالى في قصة سيدنا سليمان عليه السلام من سورة النمل حكاية قول النملة لصواحبها : " قَالَتْ مَمْلَأَ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " النمل 18.

كان سليمان عليه السلام قد سخر الله له الجن والإنس والطيور والريح... فجمع مرة جنوده بإنسهم وجنهم وطييرهم... ومر في طريقه بواد بالشام كثير النمل فخاطبت إحدى النملات زميلاتها بقولها : ادخلوا بيوتكم، خاطبتهم مخاطبة العقلاء فأمرتهم بما يؤمر به العقلاء " لا يحطمنكم سليمان وجنوده " أي لا يكسرنكم سليمان وجيوشه بأقدامهم " وهم لا يشعرون " أي لا يعلمون بكم ولا يريدون حطمكم عن عمد...

وفي هذا السياق يقول تعالى : " وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ مَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا... " الآيتان 17-18 النمل.

وفي قصة هذه النملة معجزتان :

المعجزة الأولى في كلامها الذي عبر الله تعالى عنه بلغتنا وهو من البلاغة والبيان بـمكان وبيان ذلك كما قال علماء اللسان : أن كلامها اشتمل على أحد عشر نوعاً من البلاغة : الأول والثاني والثالث النداء بـيا وأي والتنبيه، الرابع التسمية بقولها : النمل، الخامس الأمر بقولها : ادخلوا، السادس التنصيص بقولها : مساكنكم، السابع التحذير بقولها : لا يحطمنكم، الثامن التخصيص بقولها : سليمان، التاسع التعميم بقولها : وجنوده، العاشر الإشارة بقولها : وهم، الحادي عشر العذر بقولها : لا يشعرون... هذا كله مستخرج من كلام تلك النملة مما يدل على أن الحيوان لهم لغتهم يعبرون بها عما يكون في ضمائرهم ويتفاهمون بها فيما بينهم، وصدق الله العظيم إذ يقول : " وَمَا مِنْ

دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ " الأنعام 38، فقلوه تعالى : " أمثالكم " يعني في حياتهم الاجتماعية.

وقد أخبر الكثيرون ممن يهتمون بحياة الحيوان أنهم يعيشون مثلنا وأنهم شعوب وقبائل وأمم تربطهم صلات وعلاقات، وأنها لا تختلف في أسلوب حياتها عن البشر حتى إن فيها من تعيش على صورة ممالك ذات نظم ثابت كالنحل مثلاً والنمل وقد شاهدنا لها تجمعات، ورحلات، وهجرة من بلد إلى بلد وحروباً وقتلى وجرحى وأسرى وتصرفات كالبشر ومن غريب أمر النمل أنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته في خزائن تحت الأرض في الصيف ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حب الكزيرة على الخصوص أربع فلق، لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عدة، وإذا أصاب الحب بلل أخرجه للشمس لئلا يفسد، وليس في الحيوان ممن يحمل فوق وزنه غير النملة... فسبحان الخالق المدبر الفعال لما يريد.

المعجزة الثانية : في قصة هذه النملة مطابقة القرآن الكريم في شأن النمل للعلوم الحديثة والاكتشافات التجريبية الحالية التي وصلوا إليها في حياة النمل وهي حقيقة علمية أخبر بها القرآن قبل أن يعرفها الغربيون بقرون.

فالحمد لله على ما أورثنا من هذا الكتاب العظيم وما بعث إلينا من هذا الرسول الأمي الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

طريفة

يحكى عن شاعر معروف لا نسميه خوفاً من اغتيابه أنه جاء إلى دعوة بعض الأمراء العباسيين بدون استدعاء وكان الحفل مهيناً للشعراء فلما حضر الباب قيل له فأين بطاقة الاستدعاء فقال : إن هؤلاء المدعويين الشعراء، وأنا الغاوون أم تسمع ان الله تعالى يقول : " وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ " الشعراء 224، وسمع مرة بحفل للشعراء وغيرهم ولم يدع لذلك فأتى دار الحفل فمنعوه من الدخول فذهب واستعار سلماً فصعد عليه إلى سطح الدار فدخل على النساء في المطبخ وهن كاشفات عن محاسنهن فصرخن واستغثن بصاحب المنزل فقال له منكرأ عليه وكان يعرفه : ما هذا يا فلان فقال له ارتجالاً : " لَقَدْ عَلِمْتُمَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ " هود 79، فضحك وأدخله رحمه الله تعالى وإيانا، فإن المجيء بدون استدعاء لا يجوز وقد صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن رجلاً من أصحابه استدعاه فتبعه رجل فلما بلغ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منزل الداعي استأذنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الرجل.

واستدعاه مرة رجل آخر فقال له وعائشة... فقال له وعائشة فلم يأت صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بها معه حتى استأذن لها.

وجاء في حديث لا يحضرني رتبته الآن ما معناه أن من جاء بلا دعوة دخل لصاً وخرج سارقاً أو كما ورد.

قصة عجيبة

ذكر العارف الشعرائي قدس الله سره في لطائف المنن وهو يتكلم على ذم القضاء والابتعاد عن توليته وأن الله تعالى حماه من ذلك فقال : وربما تحاكم إليّ امرأةٌ جميلةٌ فتاقت نفسي إليها فرجحتها على خصمها، بل ربما وقع لبعض القضاة الامتناع من الحكم لها بحقها إلا إن أجابته إلى ما يريد منها في الحرام كما وقع مثل ذلك في زمن داود عليه الصلاة والسلام فبلغنا أنه كان في زمنه امرأة بارعة في الجمال فادعت عند قاضٍ بحق لها على شخص فنظر القاضي إليها فأخذت بمجامع قلبه فقال لها : أحكم لك شرط أن تمكيني من نفسك فأبت وكانت امرأةً سالحةً ففارقتة وذهبت إلى حاكمٍ سياسي فراودها كذلك عن نفسها فذهبت إلى الشهود فنظروا إليها كذلك فراودوها عن نفسها فذهبت إلى السلطان فنظر إليها كذلك فراودها عن نفسها فأبت فاجتمع القاضي والحاكم والشهود والسلطان ودبروا حيلة في قتلها لتستريح قلوبهم من التعلق بها فلما بلغها ذلك بكت وشكت أمرها إلى الله تعالى فذهبوا إلى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليشهدوا عليها بالزنا ليقتلها فقال بعضهم إن شهدنا عليها بأنها زنت مع رجل قتلنا جميعاً وهذه مصيبة عظيمة، وإنما الغرض قتلها وحدها فأجمع رأيهم على أنهم يشهدون بأنها امرأة فاسقة تفسق مع كلب لها فذهبوا إلى داود عليه السلام وقالوا : جئناك يا خليفة الله في أمر لا بد من إعلامك به، وذلك أن في هذه القرية امرأة فاسقة قد دربت كلباً لها ذكراً وعلمته كيف يفعل بها الفاحشة، وشهدوا عليها بذلك فأمر داود عليه السلام بها فرجمت، فلما كان بعد أيام اجتمع صبيان

أهل الحارة وأطفالها مع ولده سليمان عليه السلام وهو صغير، وتحاكموا عنده في مثل هذه الواقعة بعينها وجاء شاب من الصبيان من أجمل ما يكون فادعى عند قاض من الصبيان كما ادعت تلك المرأة فراوده عن نفسه ثم ذهب إلى الحاكم فراوده ثم إلى الشهود فراوده كذلك ثم إلى من جعلوه سلطاناً فراوده كذلك فرجع الصبي إلى سليمان عليه السلام وحكى له القصة ففكر سليمان عليه السلام في ذلك فألهمه الله تعالى أن أمر بتفرقة الشهود حتى تباعد بعضهم عن بعض ثم صار يسأل واحداً بعد واحد عن صفة الكلب فما منهم أحد وافق الآخر فقال أحدهم : أسود وقال الآخر : أبيض وقال الآخر : أصفر وقال الآخر : أبلق فعلم أنهم شهدوا الزور فأمر سليمان عليه السلام بحد الشهود فحدهم باللعب وكل ذلك وداود عليه السلام في مكان عال يشرف عليهم ولا يعلمون به فلما رأى داود ذلك علم أنه حكم برجم تلك المرأة بغير حق فأمر بقتل الشهود وأخذ الله تعالى للمرأة حقها هـ. قال ذكره الإمام ابن فرحون.

أقول : هذه قصة عجيبة لكن الظاهر أنها مختلفة لأن بعضهم يذكر أنها وقعت في بعض عصور هذه الأمة ويذكرون أن المرأة لم تقتل بل نبه بعض الصالحين السلطان على أن يستفسر أولئك الشهود الذين شهدوا الزور مع اتفاق القاضي فلما استفسروا واختلفوا في صفة الكلب أمر السلطان بقتل القاضي والشهود أو حدهم. ومع ذلك فلا تخلوا من فائدة ولا سيما بالنسبة لذوي السلطة.

خطورة ترك الصلاة أو تضييع شرط منها

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أمر بعبد من عباد الله تعالى أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فجلد جلدة واحدة فامتلاً قبره عليه ناراً فلما ارتفع عنه وأفاق قال : على ما جلدتموني قالوا : إنك صليت صلاة واحدة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره " رواه الطحاوي في مشكل الآثار 231/4 بسند حسن أو صحيح.

وأقول : إذا كان هذا العذاب في القبر لتضييع شرط واحد من شروط الصلاة وهو طهارة الحدث فكيف بمن لا يصلها مطلقاً أو يضيعها في وقتها، إن أمر ذلك لخطير وشديد وقد صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " رواه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن بريدة بسند صحيح.

واختلف العلماء رحمهم الله تعالى سلفاً وخلفاً في تارك الصلاة فكفره بعضهم وأخرجه من الملة حتى قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى من ترك صلاة واحدة في وقتها متعمداً كان مرتداً كافراً وبه قال جماعة وقال آخرون إنه كافر كفر عمل وإن ذلك معصية من أكبر الكبائر لحديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له

عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، وإن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة " رواه مالك وأحمد وأهل السنن إلا الترمذي بسند صحيح.

فقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ومن لم يأت بهن.. " الخ، نص في أنه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة وهذا الحكم لا يكون إلا في المؤمن العاصي وليس الكافر فهو دليل واضح في أن تارك الصلاة المعتترف بوجوبها ليس بكافر كفوفاً يخرج من الملة فهو كالمعتاد لغير أبيه والعبد الأبق وقاتل المسلم بغير حق والحاكم بغير ما أنزل الله لمن اعتقد ظلمه وأمثال هؤلاء ممن ورد إطلاق الكفر عليهم من العصاة.

غير أن ترك الصلاة هي أكبر الكبائر بعد الشرك والكفر بالله حتى قال ابن حزم رحمه الله تعالى في كتاب الدماء من المحلى ج10/342/343 مسألة : لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين أحدهما تعمد ترك صلاة فرض حتى يخرج وقتها والثاني قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق...

وقد ذكر ابن عبد البر رحمه الله تعالى كلاماً نفيساً في التمهيد 4/239 على هذا الموضوع وأيد عدم تكفير تارك الصلاة بتأويل الأحاديث الواردة فيه على أن معناها : من تركها جاحداً لها معانداً مستكبراً غير مقر بفرضها... وبهذا قال جمهور العلماء رحمهم الله تعالى.

أقدم الجامعات الإسلامية

أقدم جامعة إسلامية في الدنيا المسجد النبوي الشريف الذي قال فيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " رواه البخاري ومسلم.

أسسه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في السنة الأولى من مقدمه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وشارك في بنائه بنفسه المقدسة مع أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار فكان أول جامعة إسلامية في عهد الإسلام وقد بذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كل جهده في تعليم الصحابة وتهذيبهم وتبليغهم كتاب الله تعالى وسنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طوال عشر سنين بهذا المسجد الشريف وحفظوا عنه القرآن الكريم بجميع قراءته وبيان أحكامه ومقاصده جملة وتفصيلاً كما حفظوا عنه ألوفاً وألوفاً من أحاديثه التي كان يلقيها عليهم ويحدثهم بها ليل نهار حتى ثقفهم ثقافة إسلامية لا مثيل لها في حياة الأمة.

وكان المسجد النبوي الشريف اللبنة الأولى في تكوين العلماء الربانيين والدعاة المخلصين وقد ضم جيشاً عرمرماً عبر العصور من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء وغيرهم وكان المصدر الأول لكل خير وقع في هذه الأمة.

جامعة القرويين :

الجامعة الثانية في الوجود جامعة القرويين بمدينة فاس بالمغرب الأقصى الذي أسسته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري التي

كانت تسمى أم البنين فتوفي والدها وأولاده وتركوا لها ولأختها مريم مالا طائلاً وثراء عريضا فرصدته لوجوه الخير والبر والإحسان.

فاشترت مريم قطعة أرض بنت عليها مسجداً وهو المعروف اليوم بجامع الأندلس

واشترت فاطمة هي الأخرى أرضاً أسست فيها جامعة القرويين وكانت بداية الشروع فيه يوم فاتح رمضان عام 245 هـ.

فكان هذا المسجد هو الجامعة الثانية في الإسلام بعد المسجد النبوي الشريف وأصبح يؤمه فيما بعد كل الطلبة من جميع آفاق المغرب والأندلس من مسلمين ومسيحيين متنكرين وكان يدرس فيه كل الفنون من تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو وبيان ومعان وبديع ومنطق وتنجيم وتوقيت وحساب ولغة وتاريخ وجغرافيا وطب وآداب وأخلاق وتصوف.

وتنافس الملوك على مر الدهور والعصور في توسيع هذا المسجد العظيم ورصد الأموال للقيام به ولم يزل مقصوداً للعلم عامراً بالطلبة الذين كانوا يعدون بالألوف إلى أن جاء الاستقلال عام 1956 بتاريخ النصارى ففقد ما كان فيه وما كان يتخرج منه من مختلف طبقات العلماء وأصبح من جملة الجامعات العصرية الجوفاء التي لا يتخرج منها إلا العلماء المبتورون الذين يجهلون كثيراً من الأحكام الضرورية والأمر لله تعالى وحده.

جامعة الأزهر الشريف :

الجامعة الثالثة جامعة الأزهر وهو أشهر الجامعات حتى اليوم أسس سنة 395 هجرية على يد جوهر الصقالي قائد جيوش السلطان المعز لدين الله العبيدي أول الخلفاء الفاطميين وكان تأسيسه بعد تأسيس مدينة القاهرة في التاريخ المذكور وامتاز هذا الجامع الأزهرى بدراسة جميع العلوم وأمه الناس لطلب العلوم من جميع الآفاق وتخرج منه عبر العصور فطاحل العلماء في مختلف العلوم والفنون ولا زال حتى اليوم يؤتى أكله على الرغم من ضعف تدريس العلوم الإسلامية فيه وفي غيره.

جامعة الزيتونة :

الجامعة الرابعة جامعة الزيتونة بتونس وهذه الجامعة وإن كانت لا تقل عن الأزهر والقرويين غير أنها متأخرة عنهما وقد أصابها ما أصاب أخواتها من الجامعات من الضعف والركود. والأمر لله من قبل ومن بعد ما شاء الله كان وما شاء لم يكن.

أشراط الساعة

إن الساعة التي هي فناء هذا العالم واضمحلاله وقيام الناس ليوم الحساب قد شغلت الكثيرين من الناس قديما وحديثاً منهم المؤمنون وأكثرهم الكافرون وقد سئل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرف جماعة من الناس عنها فكان الله تعالى يلقنه الإجابة عنها بعدم علمه بها.

كما قال تعالى : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ " الأعراف 187، " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا " النازعات 42-43-44، في آيات أخر.

وسأله جبريل عليه السلام عنها فقال له : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك بأمرتها...".

فوقت قيام هذه الساعة لا يعلمه بالتفصيل والضبط إلا الله عز وجل ومن شاء تعالى إعلامه من عباده لكنه تعالى أخبرنا على لسان رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأشراطها وعلاماتها.

وكانت هذه الأشراط صغرى وكبرى... وتذكيراً لنا ولقرائنا الكرام نذكر بعضها صرداً ليكون المؤمن على حذر وعلم منها :

جاء في الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين الوسطى والسبابة... " ومعناه أن بعثته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أشراط الساعة الصغرى ثم موته ثم فتح بيت المقدس ثم كثرة الفتن ثم التقاتل على الملك وفتح كنوز كسرى وهلاك قيصر وانشقاق القمر وفتح البلاد وانتشار الإسلام ورفع العلم وظهور الجهل وفشو الزنا وشرب الخمر وكثرة النساء وظهور الدجاجلة والكذابين وكثرة القتل وكثرة الزلازل وتقارب الزمان والتفاخر في البنیان والمباهاة في بناء المساجد وصيرورة بلاد العرب مروجا والزعماء الأراذل وتكلم الروبيضة في الشئون العامة وتخوين الأمين، وتأمين الخائن وأكل أقوام بألسنتهم كما تأكل البقرة وتضييع الأمانة

والمسوخ والقذف والخسف وظهور أقوام يستحلون المحرمات وظهور النساء المتبرجات أهل النار وكثرة الظلمة وأعاونهم وظهور البترول وسنين خداعة والبيوت الموشاة بالثياب وغيرها وقتال اليهود والسلام على المعرفة وقطع الرحم وكثرة العقوق واتجار المرأة مع زوجها واكتساب الناس من الحرام وفشو الربا وموت الفجاء والشرط الذين يغدون في غضب الله ويروحون في سخطه وكثرة الروم وذهاب العقول وتتابع الأشرار وظهور أمور عظام يتعاضم فيها شأننا كالمخترعات العصرية من السيارات والقطارات والطائرات ثم الراديو والتلفزيون والتليفون والفكس والحاسوب وآلة التسجيل وغيرها من الأمور المدهشة...

فهذه كلها من علامات قرب الساعة الصغرى أو هي مع الوسطى.

أما الأشرار الكبرى وهي التي إذا ظهرت جاءت الساعة عقبها فهي التي جاء فيها قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف، خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا " رواه مسلم والأربعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال : " لا تقوم... " فذكره.

فهذه عشر آيات من علامات قيام الساعة الكبرى بحيث إذا ظهرت تتابع بعضها بعضا وقامت الساعة وهي :

طلوع الشمس من مغربها، وظهور الدخان الذي يدخل في مسام الناس، وخروج الدابة التي لا مثيل لها في الدواب، وخروج يأجوج ومأجوج على الناس، ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وثلاثة خسوفات : خسف بالمغرب وثن بالمشرق وثالث بالجزيرة العربية، وخروج نار من قعر بحر عدن.

وقد ذكرت هذه الأشراف وغيرها مشروحة مفصلة في بداية الوصول ج 12/ص 501 إلى 609.

من أعلام القرن الرابع عشر

ما من عصر إلا ويوجد فيه جماعة قد تشابهوا واتفقوا في أشياء من شئونهم وحياتهم كالولادة مثلا والعلم والشجاعة والسخاء والتقوى والدعوة إلى الله تعالى أو الطغيان والإسراف في الظلم من أهل الثراء والسلطة...

ويحضرني الآن ثلاثة أشخاص بارزة من هذا القبيل وهم :

" الشيخ عبد السلام يس، والدكتور يوسف القرضاوي وعبد ربه عبد الله التليدي " اتفقوا وتشابهوا في أشياء :

ولدوا في عام واحد سنة 1926 م، وازدادوا كلهم في البادية، و كلهم حفظوا القرآن الكريم بها، و تلقوا علومهم الشرعية بالحواضر، و منها تخرجوا، و كلهم مثقفون ثقافة إسلامية، و ثلاثتهم دعاة إلى الله تعالى، و كل واحد منهم إمام يقتدى به، و لهم تأليف متنوعة، و تلاميذ و أتباع كثر و خاصة السيد عبد السلام يس فإن له تلاميذ و أتباعاً يعدون بالملايين بالمغرب و أوروبا و أمريكا و هو المرشد العام لجماعة العدل و الإحسان التي تعد من أبرز المعارضين للدولة العلوية، أما الدكتور يوسف فداعية عام له تلاميذ و أنصار كثيرون في جميع أصقاع الأرض و هو إلى جانب ذلك رئيس لرابطة علماء المسلمين.

أما عبد ربه التليدي فامتاز عنهما باشتغاله بالحديث النبوي الشريف و الكتابة فيه و إدارته مدرسة و عهداً لتحفيظ القرآن الكريم و تدريس مختلف العلوم منذ أكثر من نصف قرن لتاريخه الآن عام 1433 هـ.

ولا يزال هؤلاء الثلاثة على قيد الحياة و أعمارهم عامه 1433 هـ خمسة وثمانون، ختم الله تعالى لهم هذه الحياة بالسعادة و الحسنى آمين.

وما ذكرناه هنا عن هؤلاء هو مثال فقط و إلا فمثلهم في أصناف الناس كثير.

من عجائب خلق الله تعالى

نشرت مجلة العربية في مايو سنة 2011 م عن رجل أمريكي مسيحي انشق عن الكنيسة التي تحرم عدد الزوجات فتزوج بخمس نسوة فكون منهن ما بين الأبناء والحفدة ألفين وثمانمائة وثمان وستين نفساً هكذا 2868 فأولاده أربعمائة وتسعة وستون إبناً وحفدته ألفان وثلاثمائة وتسعة وتسعون نفرأً وسنه الحالي تسع وثمانون وزوجته الصغيرة كما يبدو من صورتها لا يجاوز سنها ستين سنة.

وهذا من غرائب الدنيا ما سمعنا مثله ولا رأينا في كتب التاريخ هذا العدد الهائل لرجل واحد وإن كان من الملوك الذين كانت لهم مئتين الجواري والله في خلقه شئون يفعل ما يشاء ويخلق ما يريد له الحكمة البالغة.

طريقة فيها عبرة وذكرى

ذكر بعض الدعاة إلى الله تعالى طريقة طريفة للاتعاظ فقال : في إطار الاستعدادات للرحلات اليومية المفاجئة نقدم للمسافرين الآتي :

1 البطاقة الشخصية : الاسم : ابن آدم، الجنسية : من التراب، السن : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها.

2 الأمتعة المسموح بها : كفن، وحنوط من حلال، صدقة جارية من حلال، عمل صالح من قول وفعل، علم ينتفع به كتابة وتعليم، ولد صالح يدعو له.

3 بيان حول الرحلة : محطة المغادرة : الدنيا دار الفناء، محطة الوصول : الآخرة دار البقاء، موعد السفر : لا تأتكم إلا بغتة، حجز التذكرة : كل نفس ذائقة الموت.

4 مكان الإقامة : بيت له أربعة حدود : الحد الأول ينتهي إلى الموت، الحد الثاني ينتهي إلى القبر، الحد الثالث ينتهي إلى الحساب، الحد الرابع ينتهي إلى الجنة أو النار.

تنبيه : للمزيد من المعلومات المرجو الاتصال بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

" سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين".

فهذه طريقة رائقة في التذكير فجزى الله صاحبها خيراً.

وقال داعية آخر

تخيل لو علمت أنه لم يعد باقياً من عمرك إلا يوم واحد، فماذا ستفعل في هذا اليوم؟

هل ستقضيه كله في الصلاة والبكاء لتستغفر عن كثير من الصلوات التي أضعتها؟ هل ستبحث عن القرآن الكريم لتقرأ فيه بعد أن هجرته لسنين؟ هل ستسرع بالاتصال وزيارة كثير من أقاربك وتصل رحمك الذي قطعته معذراً بظروف ومشاكل الدنيا؟ هل ستسرع لتحطيم الدش وتلقي بأشرطة الغناء التي ملأت بها منزلك؟ ماذا ستفعل بتلك الصور التي يكتظ بها جهازك والتي تستحيي العين أن تراها؟ هل ستتصل بكل شخص اغتبهته وتعتذر منه أو تستغفر له؟ قال الله تعالى: " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ " المؤمنون 99، وقال تعالى: " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ " الأنعام 61.

غير أن هذه الذكرى خاصة بالمنهمكين الغافلين والأولى عامة لأهل الطاعة وأهل المعصية وكتلتاهما في الضمير جعلنا الله عز وجل من أهل الذكرى.

وأقول : الجواب الشافي عن قوله : فماذا ستفعل في هذا اليوم : هو التوبة النصوح والبكاء على ما سلف والاستغفار وفي ذلك كفاية إن شاء الله تعالى لمن ألهمه الله رشده.

هل يعرف الإنسان سعادته من شقاوته

للسعادة والشقاوة علامات يعرف بها الإنسان نفسه هل هو شقي أم سعيد فمن علامات السعادة قطعا الإيمان بالله وبما جاء به رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إيمانا صادقا خالصا تصحبه محبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومحبة ما يحبه الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وطاعة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بامثال الأوامر والانتهاة عن الآثام والتوبة النصوح مع البكاء عندها والحزن على ارتكاب ما صدر عن الإنسان من المعاصي والفرح والسرور عند طاعة الله تعالى والأسى والحزن عند معصيته... وهكذا من كان غافلا عن الله ثم أناب إليه تعالى عند قرب أجله وانقلبت أحواله من معصية إلى طاعة، ومن إعراض إلى إقبال حتى مات على ذلك فمن وجد من نفسه ما ذكرنا بصدق وإخلاص فليعلم أنه من السعداء عند الله تعالى فليحمد الله على ذلك وليبشر ولتقر عينه وليتذكر قول الله عز وجل : " قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا " يونس 58، ويشهد لجملة ما ذكرنا قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسر إلى عمل السعادة، وأما من

كان من أهل الشقاء فسييسر إلى عمل الشقاء " ثم قرأ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى " الآيات 5-6-7 الليل. رواه البخاري ومسلم وغيرهما مطولا من حديث الإمام علي رضي الله تعالى عنه.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال : جاء سراقه بن مالك بن جعشم رضي الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ففيم العمل الآن أفيما جفت فيه الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال : " بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير " قال : ففيم العمل؟ قال : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله "، فهذا هو الميزان وهو العمل مع الإيمان والعكس بالعكس أما ما جاء في الحديث الآخر إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار... رواه مسلم، هذا يقع نادراً لعدم إخلاص صاحبه فإن الله تعالى ما كان ليضل ويختم بالشقاء على من قطع شوطاً كبيراً من حياته في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعبادته بإخلاص وصدق ومحبة، وإنما يقع ذلك لمن كان منافقاً ولم يكن صادقاً في إيمانه أو عمل ما يستحق به ذلك مع سابق القدر والذي يقع كثيراً هو الختم بعمل أهل الجنة لأسبقية رحمة الله غضبه فإن أكثر الناس يقطعون أشواطاً من حياتهم في اتباع أهوائهم وشهواتهم وتفريطهم في حقوق الله تعالى وفرائضه وقد يكون فيهم ملحدون وكافرون أصالة فيوقفهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته وتوبته فيموتون على ذلك ثبتنا الله تعالى على ديننا حتى نلقاه آمين.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله " قيل : كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال : " يوفقه لعمل صالح قبل الموت " رواه أحمد والترمذي وحسنه وصححه.

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن " رواه الطبراني وغيره، فشهد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالإيمان لمن سر بحسنته وسيء بسيئته ومن بكى من خشية الله... كان يوم القيامة من السبعة المظللين تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، في أدلة أخرى تشهد لما ذكرنا.

عقلاء المجانين

المجانين على أضرب منهم الممسوس بضرب الجن ومنهم المعتوه الذي يولد مسلوب العقل ومنم الموسوس ومنهم الهائم في العشق كمجنون ليلي وأمثاله ومنهم المجنون في الله تعالى وهذا على ضربين من جن في حب الله عز وجل بعد سلوكه فهام فيه تعالى وفنى في محبته ومن اجتذبتة الأنوار والتجليات الإلاهية فلم يطق ما شاهد فذهب عقله.

والضرب الأخير بقسميه هو ما يسمى أصحابه بعقلاء المجانين وكما كان يسميهم ابن العربي الحاتمي وابن تيمية رحمهما الله تعالى وهم الذين يطلق عليهم عند العامة المجاذيب وأصحاب الأحوال.

وهؤلاء من أصناف أولياء الله تعالى الذين ارتفع عنهم القلم
وأصبحوا غير مكلفين لأنهم لا عقول لهم.

والفرق بين هؤلاء وبين الحمقى والمجانين في الماديات أنهم تجري
على ألسنتهم حكم وأخبار بالمغيبات ومكاشفات على قلوب الناس،
ومن أساء إليهم في نفسه أو ماله أو أهله بما يسوءه ينتقم الله تعالى
لهم بسرعة، والأخبار والحكايات عنهم بذلك كثيرة. وقد يكون بعضهم
من أعوان الظلمة سائرون مع الأقدار يعيشون مع الحكام ويحمونهم
وينصرونهم ولو كانوا كفاراً لأنهم يرون باطلاع الله تعالى إياهم أن
قضاء الله سبق بذلك ولا بد أن ينفذ الله قضاءه فيسيرون على ذلك من
باب قولهم :

سلم لسلمى ودر حيث دارت ،،، ودر مع مجاري الأقدار وسر
حيث سارت

وقد ذكر تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا الصنف في
كتابه : قاعدة في المعجزات والكرامات فقال وهو يتحدث عن الكشف
والتأثير : والثاني أن يدعو على غيره بما لا يستحقه أو يدعو للظالم
بالإعانة، ويعينه بهمته كخفراء العدو وأعوان الظلمة من ذوي
الأحوال يعني بهم المجاذيب فإن كان صاحبه من عقلاء المجانين
والمغلوبين غلبة بحيث يعذرون والناقصين نقصا لا يلامون عليه كانوا
برحية يعني من جنس أحوال برح العابد...

وفي التاريخ والتراجم الكثير من هذا الصنف المجاذيب وعقلاء
المجانين وقد ألف فيهم قديماً أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب

: " عقلاء الماجنين " ذكر عنهم أخبار وغرائب وقد عاصرنا وشاهدنا منهم جماعة رأينا منهم عجائب الأحوال رحمهم الله تعالى.

المرجئة

من الفرق الإسلامية القديمة المرجئة وهي مأخوذة من الإرجاء وهو التأخير والإرجاء فيه المحمود والمبتدع المذموم والأصل فيه يرجع إلى اختلاف السلف في العمل هل هو شرط صحة للإيمان أم شرط كمال فجمهور السلف والخلف على أن العمل شرط كمال للإيمان وشرط لدخول الجنة بلا عذاب وبناء على هذا فمن آمن بقلبه ونطق بلسانه بالشهادتين ولم يأت بأي عمل من فرائض الإسلام ومع ذلك قد أتى بالفواحش من سفك الدماء والزنا وشرب الخمر وغيرها من كبار المعاصي كان مؤمناً عاصياً يرجى له من الله المغفرة فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه بعدله، وإن شاء غفر له بفضل.

فهذا الإرجاء هو اعتقاد أكثر السلف والخلف وهو مذهب أهل السنة والجماعة يرجون غفران الذنوب لأهل الكبائر ولا يكفرونهم كالخوارج أو يفسقونهم ويحكمون عليهم بالخلود في النار كالمعتزلة، وخالف هذا المذهب الخوارج والمعتزلة فقال الأولون : يكفر تارك العمل ومرتكب الكبيرة وأنه مخلد في النار ولا ينفعه إيمانه وقال المعتزلة إن تارك العمل وصاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا يكفر ومع ذلك هو مخلد في النار.

وكلا الفرقتين حادوا عن الحق والصواب الذي تشهد له الأدلة القطعية من القرآن والسنة وقد تقدم في الجزء قبل هذا بعض ما ذكرنا عن المرجئة.

ويقابل هؤلاء الفرقة الضالَّة وهم المرجئة المذمومون المبتدعة القائلون بأنه لا يضر مع الإيمان شيء بمعنى أن من ترك فرائض الإسلام وسفك الدماء وزنى وقذف وسحر وتعامل بالربا كان ناجياً بإيمانه ولا يعذب ولا تضره تلك المعاصي وهذا الصنف من المرجئة هم الذين كان السلف يبدعونهم ويضللونهم أما غيرهم ممن ذكرنا فليسوا من هذا القبيل في شيء.

وقد ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل أقسام الإرجاء وأصله فليراجع.

شعب الإيمان

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " الإيمان بضع وستون شعبة " وفي رواية : " بضع وسبعون...".

وقد ألف جماعة من علمائنا رحمهم الله في هذه الشعب وعدوها مع دلائلها كتاباً وسنة ومن أشهرهم الإمام أبو عبد الله الحلي له : " فوائد المنهاج " والحافظ أبو بكر البيهقي له : " شعب الإيمان " وهو أوسعها والشيخ عبد الجليل القصري المغربي له شعب الإيمان، وقد عد

هذه الشعب إمامان حافظان بدر الدين أبو محمد محمود المعروف
بالبدر العيني ذكرها في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري،
وشهاب الدين أبو الفضل ابن حجر العسقلاني ذكرها أيضا في فتح
الباري كلاهما تحت حديث : الإيمان بضع وسبعون شعبة، وسياق
عدها متقارب غير أن العيني عدها سبعا وسبعين شعبة وقال الحافظ
: فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعا وسبعين خصلة...

وهذا إحصاؤها بسياق العيني لأن أسلوبه أبسط قال رحمه الله
تعالى :

إن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، ولكن الإيمان
التام هو التصديق والإقرار والعمل فهذه ثلاثة أقسام : فالأول يرجع
إلى الاعتقادات وهي تتشعب إلى ثلاثين شعبة : الأولى الإيمان بالله
تعالى ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأن ليس كمثله
شيء، الثانية اعتقاد حدوث ما سوى الله تعالى، الثالثة الإيمان بملائكته،
الرابعة الإيمان بكتبه، الخامسة الإيمان برسله، السادسة الإيمان بالقدر
خيره وشره، السابعة الإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه السؤال بالقبر
وعذابه والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط، الثامنة الوثوق
على وعد الجنة والخلود فيها، التاسعة اليقين بوعيد النار وعذابها
وأنها لا تفنى، العاشرة محبة الله تعالى، الحادية عشر الحب في الله
والبغض في الله ويدخل فيه حب الصحابة المهاجرين والأنصار وحب
آل الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، الثانية عشر محبة النبي
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته،
الثالثة عشر الإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، الرابعة عشر

التوبة والندم، الخامسة عشر الخوف، السادسة عشر الرجاء، السابعة عشر ترك اليأس والقنوط، الثامنة عشر الشكر، التاسعة عشر الوفاء، العشرون الصبر، الحادي والعشرون التواضع ويدخل فيه توقيير الأكاير، الثانية والعشرون الرحمة والشفقة ويدخل فيه الشفقة على الأصاغر، الثالثة والعشرون الرضا بالقضاء، والرابعة والعشرون التوكل، الخامسة والعشرون ترك العجب والزهو ويدخل فيه ترك مدح نفسه وتزكيتها، السادسة والعشرون ترك الحسد، السابعة والعشرون ترك الحقد والضغن، الثامنة والعشرون ترك الغضب، التاسعة والعشرون ترك الغش ويدخل فيه ظن السوء والمكر، الثلاثون ترك حب الدنيا ويدخل فيه ترك حب المال وحب الجاه، فإذا وجدت شيئاً من أعمال القلب من الفضائل والرذائل خارجاً عما ذكر بحسب الظاهر فإنه في الحقيقة داخل في فصل من الفصول يظهر ذلك عند التأمل.

والقسم الثاني يرجع إلى أعمال اللسان وهي تتشعب إلى سبع شعب : الأولى التلطف بالتوحيد، الثانية تلاوة القرآن، الثالثة تعلم العلم، الرابعة تعليم العلم، الخامسة الدعاء، السادسة الذكر ويدخل فيه الاستغفار، السابعة اجتناب اللغو.

والقسم الثالث يرجع إلى أعمال البدن وهي تتشعب إلى أربعين شعبة، وهي على ثلاثة أنواع : الأولى ما يختص بالأعيان وهي ست عشرة شعبة : الأولى التطهر ويدخل فيه طهارة البدن والثوب والمكان ويدخل في طهارة البدن الوضوء من الحدث، والاعتسال من الجنابة والحيض والنفاس، الثانية إقامة الصلاة ويدخل فيها الفرض والنفل والقضاء، الثالثة أداء الزكاة ويدخل فيها الصدقة ويدخل فيها زكاة

الفطر، ويدخل في هذا الباب الجود وإطعام الطعام وإكرام الضيف،
الرابعة الصوم فرضا ونفلا، الخامسة الحج ويدخل فيه العمرة،
السادسة الاعتكاف ويدخل فيه التماس ليلة القدر، السابعة الفرار
بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، الثامنة الوفاء بالنذر،
التاسعة التحري في الأيمان، العاشرة أداء الكفارات، الحادية عشرة ستر
العورة في الصلاة وخارجها، الثانية عشرة ذبح الضحايا والقيام بها إذا
كانت مندورة، الثالثة عشرة القيام بأمر الجنائز، الرابعة عشرة أداء
الدين، الخامسة عشرة الصدق في المعاملات والاحتراز عن الرياء،
السادسة عشرة أداء الشهادة بالحق وترك كتمانها.

النوع الثاني ما يختص بالاتباع وهو ست شعب الأولى التعفف
بالنكاح، الثانية القيام بحقوق العيال ويدخل فيه الرفق بالخدم،
الثالثة بر الوالدين ويدخل فيه الاجتناب عن العقوق، الرابعة تربية
الأولاد، الخامسة صلة الرحم، السادسة طاعة الموالي.

النوع الثالث ما يتعلق بالعامّة وهو ثماني عشرة شعبة الأولى القيامة
بالإمارة مع العدل، الثانية متابعة الجماعة، الثالثة طاعة أولي الأمر،
الرابعة الإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة،
الخامسة المعاونة على البر، السادسة الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، السابعة إقامة الحدود، الثامنة الجهاد، ويدخل فيه المرابطة،
التاسعة أداء الأمانة ويدخل فيه أداء الخمس، العاشرة القرض مع
الوفاء به، الحادية عشرة إكرام الجار، الثانية عشرة حسن المعاملة
ويدخل فيه جمع المال من حله، الثالثة عشرة إنفاق المال في حقه
ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف، الرابعة عشرة رد السلام، الخامسة

عشرة تسميت العاطس، السادسة عشرة كف الضرر عن الناس،
السابعة عشرة اجتناب اللهو، الثامنة عشرة إمطة الأذى عن الطريق.
فهذه سبع وسبعون شعبة....

وإذا قارنا بين سياق العيني والحافظ وجدناهما متفقين غير أن
العيني ذكر أعدادها وزاد بعض اللقطات وهو يدل على أن ما قالوه
عن العيني بأنه كان يأخذ من شرح الحافظ في كتابه عمدة القاري ولا
ينسبه إليه هو صحيح وقد ذكروا قصتهما في ذلك فالله تعالى أعلم
ورحمهما الله تعالى معا وإيانا آمين.

ابن هشام النحوي

من أعلام النحاة ومجددي العلوم العربية ابن هشام العلامة
المتضلع من العلوم العربية والفقه والتفسير والأدب... عبد الله بن
يوسف بن هشام الأنصاري الخزرجي المصري القاهري الشافعي ثم
الحنبلي ولد بالقاهرة سنة 708 هجرية وبها نشأ ودرس على أيدي
شيوخ عصره وتضلع من العلوم وخاصة العلوم العربية ما لم يصل إليه
أحد من أهل عصره حتى قال فيه ابن خلدون مقالته المشهورة : ما
زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن
هشام أنحى من سيبويه.

ومن أشهر شيوخه البدر ابن جماعة، وأبو حيان النحوي محمد بن
يوسف، وكان شافعي المذهب وقبل وفاته بخمس سنوات تحنبل

وحفظ مختصر الخرقى وكان متديناً ورعاً ألف كتاباً مفيدة من أحسنها
قطر الندى وبل الصدى في العربية، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن
مالك، ومغني اللبيب وغير ذلك من نحو خمسين كتاب كلها في العلوم
العربية، توفي رحمه الله سنة 761 بالقاهرة.

وهذا غير ابن هشام المشهور بالسيرة فإن هذا متقدم من رجال
القرن الثاني وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري
جمال الدين ولد ونشأ بالبصرة وسكن مصر وبها توفي ويقال أنه لقي
الشافعي رحمه الله تعالى، كان عالماً بالأنساب وله في ذلك القصائد
الحميرية في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، والتيجان في ملوك
حمير كلاهما مطبوع وأشهر كتبه السيرة النبوية المشهورة بسيرة ابن
هشام التي رواها عن ابن إسحاق ولخصها وهذبها وهي من أحسن
السير طبعت عدة مرات وهي التي شرحها الإمام السهيلي رحمه الله
تعالى بكتابه: الروض الأنف المشهور توفي ابن هشام هذا سنة ثمانين
عشرة ومائتين.

فليفرق بينه وبين ما قبله فهذا من أهل القرن الثاني للهجرة بينما
الأول كان من أهل القرن الثامن وكلاهما كانا بالقاهرة وبها توفي
ودفنا رحمهما الله تعالى.

القـبـوـرـيـون

هذا الاسم يطلقه المتحجرون المنتطعون على زوار قبور أولياء الله ومشاهدهم ويقصدون بذلك أنهم عبدة القبور وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أولئك القوم لا ورع لهم يحجزهم عن سوء الظن بالمسلمين والطنع فيهم وتضليلهم وبالتالي إطلاقهم هذا الاسم على كل زائر للأضرحة بدون فارق بين عالم وجاهل.

وجاء خطأ هؤلاء من وجوه :

أولا إن مطلق الزيارة سنة مأمور بها ومأذون فيها بدون فرق بين قبر صالح أو طالح فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة " رواه مسلم وغيره عن بريدة رضي الله تعالى عنه.

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية " رواه مسلم من حديث بريدة.

ثانيا زيارة أضرحة الأولياء والعلماء الربانيين هي في الحقيقة زيارة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنهم ما نالوا من فضل وصلاح ومحبة في قلوب المؤمنين إلا باتباعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهم ورثته في العلم والعمل والحال والكرامات وزيارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مجمع على مشروعيتها وتأكيدها وأنها من أعلا القربات وأجل المساعي والطاعات ولم يزل المسلمون يزورون قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

منذ العصر الأول حتى وقتنا هذا لأن زيارته ميتا كزيارته حيا لأنه حي في قبره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يسمع كلامنا وتعرض عليه أعمالنا خيرا وشرها كما جاء بذلك حديث عرض الأعمال وهو حديث صحيح.

ثالثا لم يزل المسلمون بعلمائهم وعوامهم يزورون قبور العلماء الربانيين وأضرحة الأولياء والصالحين ويتبركون بذلك ويدعون الله تعالى عندها ويتوسلون إلى الله تعالى بهم إلى الله عز وجل وجربوا استجابة الدعاء عند أضرحتهم في كل العصور حتى قال الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في الحصن الحصين في بحث مواضع الاستجابة : وعند قبور الأنبياء عليهم السلام قال الشوكاني رحمه الله تعالى في شرحه : ووجه ذلك مزيد الشرف ونزول البركة وقد قدمنا أنها تسري بركة المكان على الداعي كما تسري بركة الصالحين الذاكرين الله سبحانه على من دخل فيهم ممن ليس هو منهم كما يفيد قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " هم القوم لا يشقى بهم جليسهم " ثم قال ابن الجزري : وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين قال الشوكاني : وجه ذلك ما ذكرناه ههنا إلى آخر ما سنذكره من المحظورات وإذا كانت الاستجابة مجربة عند قبور الأنبياء والصالحين فقبر نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في طليعة ذلك وقد ظهرت بركة بقعته وقبره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الكثيرين في كل العصور حتى في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمن ذلك ما أخرجه الدارمي في سننه تحت عنوان : باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد موته ثم ذكر بسنده عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة

رضي الله تعالى عنها فقالت : انظروا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال : ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق سنده لا بأس به، فهذه مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها حبيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تأمر بالفرع إلى الاستسقاء عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان في عصرها صحابة وتابعون ولم ينقل أن أحداً أنكر عليها ما قامت به.

ومنها قصة مالك الدار رحمه الله تعالى أنه قال : أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. رواه ابن أبي شيبه في المصنف وابن عساكر في تاريخ دمشق والبيهقي في الدلائل 47/7 قال ابن كثير في البداية 74/10 عقب ذكره من طريق البيهقي : وهذا إسناد صحيح، وقال في جامع المسانيد 223/1 : إسناده جيد قوي وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : وروى ابن أبي شيبه بإسناد صحيح والرجل المبهم الذي أتى القبر هو بلال بن الحارث المزني صحابي مشهور كما بينه سيف بن عمر في الفتوح وأخرج ذلك الطبري في تاريخه وأورده ابن كثير في البداية، فهذا سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قد عمل بمقتضى ما فعله هذا الصحابي عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتبعه على ذلك كل من كان موجوداً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولم ينقل عن واحد منهم أنه سمى فاعل ذلك قبورياً أو رماه بالشرك كما يفعله المتحجرون...

هذا بالنسبة لأهل القرن الأول مع قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

أما بالنسبة لمن جاء بعدهم فلا يحصون كثر لا بقبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا بغيره من قبور الأئمة والصالحين رضي الله تعالى عنهم.

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد بسنده عن الخلال أحد كبار أصحاب الإمام أحمد رحمهما الله تعالى قال : ما همني أمر فقعدت قبر موسى الكاظم بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب، وذكر غير واحد أنه قال : قبر موسى الكاظم الترياق المجرب.

وذكر أيضا بسنده إلى علي بن ميمون قال : سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائراً فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى.

وذكر أبو يعلى أحد أئمة الحنابلة في طبقات الحنابلة في ترجمة الزاهد المشهور معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه عن إبراهيم الحربي قال : قبر معروف الترياق المجرب.

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه في الرسالة القشيرية : أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون : قبر معروف ترياق مجرب وقال في وفيات الأعيان : وأهل بغداد يستسقون بقبره

ويقولون : قبر معروف ترياق مجرب وكذا نقله ابن الجوزي في صفة الصفة.

وقال الحافظ أبو بكر ابن المقري رحمه الله تعالى في مسند أصبهان : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في مدينة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فضاقت بنا الوقت فواصلنا في ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء أتيت إلى القبر الشريف وقلت : يا رسول الله الجوع الجوع فقال لي الطبراني : اجلس فيما أن يكون الرزق أو الموت، فقامت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، فقال : يا قوم شكوتم إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإني رأيت يأمري بحمل شيء إليكم، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة ابن المقري وأورده السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيح صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فهؤلاء الثلاثة حفاظ من حفاظ الحديث يلجئون إلى الله تعالى بشكواهم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يشفع لهم عند الله عز وجل.

وذكر ابن الأثير رحمه الله تعالى في أسد الغابة في ترجمة أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه عن مجاهد رحمه الله تعالى قال : وكانوا يعني الروم إذا قحطوا كشفوا عن قبره فمطروا، وقال الخزرجي : وأهل الروم يستسقون به.

وقال التاج السبكي رحمه الله تعالى في ترجمة البخاري رحمه الله تعالى من الطبقات الكبرى : وكذا الذهبي رحمه الله تعالى في سير أعلام

النبلاء 469/12 وقال أبو علي الغساني الحافظ : أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السّكني السمرقندي قدم علينا بلنسية عام أربعة وستين وأربعمائة قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام فاستسقى الناس مراراً فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند فقال له : إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك قال : وما هو؟ قال : أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ونستسقي عنده فعسى الله تعالى أن يسقينا فقال القاضي : نعم ما رأيت فخرج القاضي والناس معه واستسقى القاضي بالناس وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير فقام الناس من أجله بخيرتك سبعة أيام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته...

وقال في ترجمة الشيخ أبي حامد الغزالي القديم الكبير : إن قبر هذا الغزالي القديم معروف مشهور بمقبرة طوس وإنهم يسمونه الغزالي الماضي، وأنه جرب من أمره أنه من كان به همٌّ ودعا عند قبر استجيب له.

وقال في ترجمة الشيخ الصالح الزاهد محمد بن الحسن الأنصاري أبي الطاهر المحلى قال ابن القليوبي وقبره مشهور بإجابة الدعاء عنده، والناس يقصدونه لذلك قال : سمعت والدي يقول : قبر الشيخ الترياق المجرب.

وذكر أيضا في ترجمة الإمام ابن فورك أن الإمام الشهيد أبا الحجاج يوسف بن دوناس العبدلوي المالكي المدفون خارج باب الصغير بدمشق قبره ظاهر معروف باستجابة الدعاء عنده.

ونقل أيضا عن عبد الغافر الفارسي أن قبر ابن فورك ظاهر بالحيرة يستسقى به ويستجاب الدعاء عنده.

ونقل في ترجمة الإمام نصر المقدسي عن الإمام النووي رحمه الله تعالى أنه قال : سمعنا الشيوخ يقولون : الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب.

وذكر الذهبي رحمه الله تعالى في طبقات القراء في ترجمة جعفر بن عبد الله بن سيد بونه الزاهد شيخ الصوفية في وقته : أن الناس انتابوا زيارة قبره دهرًا طويلًا يتبركون بزيارته.

وقال في ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد رضي الله تعالى عنهما المدفونة بمصر قال : كانت من الصالحات العوابد، والدعاء مستجاب عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصالحين الخ...

هذا كلام الذهبي رحمه الله تعالى وقال في سير أعلام النبلاء في ترجمة أبي الحسن الهذلي وكان ورعا تقيًا محتشمًا يتبرك بقبره.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في ترجمة ابن ظافر الأزدي من الدرر الكامنة وكان من الصالحين وممن يتبرك به ويقصد في المجتمعات لما يطلب من بركته.

وقال أيضا في ترجمة المنوفي رضي الله تعالى عنه : قبر معروف ترياق
مجرب.

وقال ابن الجوزي في ترجمة إبراهيم الحربي من صفة الصفوة :
وقبره ظاهر يتبرك الناس به رحمه الله تعالى.

وقال ابن العماد في الشذرات في ترجمة سعيد بن جبير رضي الله
تعالى عنه : وقتل ابن جبير وله تسع وأربعون سنة وقبره بواسط يتبرك
به.

وقال ابن رجب في ترجمة أبي الحسن بن بشار من طبقات الحنابلة
: وقبره الآن ظاهر يتبرك الناس بزيارته.

وقال أبو الحسن اليوسي من كبار علماء المائة الحادية عشرة في
المغرب : إن الدعاء مستجاب في ثلاثة أضرحة بالمغرب في ضريح مولاي
أبي سلهام رضي الله تعالى عنه وضريحه على البحر المحيط بين العرائش
والقنيطرة. وضريح مولاي أبي يعزى رضي الله تعالى عنه جاء بنواحي
مدينتي الرباط وسلا. وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله
تعالى عنه بجبل العلم. وقال إن الأول الدعاء مستجاب عنده في شئون
الدنيا والثاني في أمور الآخرة والثالث في شئون الدنيا والآخرة، وقد
شاهدنا الاستجابة عند مولاي عبد السلام ومولاي أبي سلهام وغيرهما
كسيدي الحبيب بقبيلة جبل الحبيب وعند مولاي إدريس بزرهون
وفاس.

فهؤلاء جمهرة كبيرة من السلف والخلف فيهم صحابة وحفاظ
وعلماء ربانيون وأئمة متبوعون يزورون المشاهد وقبر نبينا صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم وقبور غيره من الصالحين ويدعون الله لديها
ويخبرون بأن التجربة جرت بالاستجابة عند قبور الكثيرين، فهل
يسمى هؤلاء أيضاً قبوريين ويحكم عليهم جميعاً بأنهم مبتدعة
ومشركون على مقتضى إطلاق المتحجرين أم يفرق بينهم وبين جهلة
العوام والنساء وتبقى بركة قبور الصالحين ومشاهدهم على حالها؟.

وعلى أي فبركة قبور الصالحين وفضل مشاهدهم لا ينكره إلا معاند
جاحد أو جاهل فاقد الروح.

وهذا ابن تيمية نفسه مع شدة إنكاره على المتغالين في القبور
يعترف بفضل قبور الأنبياء والصالحين وبركاتها وخير ما يظهر عندها
فقد قال في كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم " ص 374/373 وهو
يتكلم على اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً يعبد ما نصه : ولا يدخل في
هذا الباب ما يروى من أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم أو قبور غيره من الصالحين وأن سعيد بن
المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك.

فهذا كله حق ليس مما نحن فيه وقال : والأمر أجل من ذلك
وأعظم قال : وكذلك أيضاً ما يروى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم فشكا إليه الجذب عام الرمادة فرآه وهو يأمره
أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس قال : ومثل هذا يقع
كثيراً لما هو دون النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأعرف من

هذه الوقائع كثيراً. وكذلك سؤال بعضهم للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو لغيره من أمته حاجته فتقضى له فإن هذا قد وقع كثيراً وليس هو مما نحن فيه. انتهى كلام ابن تيمية، فهذا اعتراف منه مما نحن فيه صراحة فلا أدري هل هو من تناقضاته الكثيرة أم من اعترافه بالحق والواقع.

وبناء على هذا فلينتبه المتحجرون عن إطلاق القبورين على كل الزوار فإن زيارة الأولياء قرابة إلى الله تعالى، قال الذهبي في ترجمة يزيد بن هرون من سير أعلام النبلاء : أما من سار إلى زيارة قبر فاضل من غير شد رحل فقربة بالإجماع بلا تردد.. وأما من شد الرحل ففيها خلاف.

وهذا ابن الجوزي يقول في صيد الخاطر : فلجأت إلى قبور الصالحين وتوسلت في صلاح الخ.. وقال أيضا : رأيت نفسي كلما صفا فكرها واتعظت بدارج أو زارت قبور الصالحين تتحرك همتها في طلب العزلة والإقبال على معاملة الله.

ولأي حامد الغزالي رحمه الله تعالى كلام نفيس في أداب السفر من الإحياء حول زيارة المشاهد فليراجع.

نعم إننا متفقون مع المنكرين على ما يصدر من العوام والنساء عند أضرحة الأولياء من الكلام الخارج عن الحق والصواب وأنهم ينطقون بألفاظ ظاهرها الشرك فيجب الإنكار عليهم وحدهم دون غيرهم ويجب على ولاة الأمر والعلماء تعريفهم بالزيارة المشروعة والاقتصار

على دعاء الله عز وجل وإذا كان ولا بد فيتوسل بهم إليه تعالى، وجواز التوسل بالأنبياء والصالحين قول جمهور أهل العلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه.

فائدة من جنس ما قبلها

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة الحسن بن علي عليهما السلام من سير أعلام النبلاء : فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلماً مصلياً على نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمصلي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرًا، ولكن من زاره صلوات الله وسلامه عليه وأساء أدب الزيارة، أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسنًا وسيئًا فيعلم برفق والله غفور رحيم، فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح، وتقبيل الجدران، وكثرة البكاء، إلا وهو محب لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار فزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أفضل القرب، وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله وسلامه عليه : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " فشد الرحال إلى نبينا

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مستلزم لشد الرحال إلى مسجده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك مشروع بلا نزاع إذ لا وصول إلى حجرته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا بعد الدخول إلى مسجده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فليبدأ بتحية المسجد ثم بتحية صاحب المسجد رزقنا الله تعالى وإياكم ذلك آمين.

أقول : وفي كلام الذهبي هذا إشارة إلى الرد على ابن تيمية في تحريمه شد الرحلة إلى قبره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التي شنعها عليه العلماء من أهل عصره فمن بعدهم.

المولى ومعناه

سنع بعض المتعلمين رجلاً ينادي صاحِباً له يا مولاي فلان فقال له : هذا حرام لا يجوز إطلاق مولاي إلا على الله تعالى فسألني ذلك الرجل عما قاله ذلك المتعلم فأجبتُه بما حضرنِي وقتئذ.

وإفادة للقارئ ولكل من يهمله الأمر نقول :

إن المولى من الألفاظ المشتركة عند العرب فيطلق على الملك والسيد والمملوك والمعتمق بكسر التاء والمعتمق بفتحها والمنعم والمنعم عليه وعلى الجار والصاحب والشريك والحليف وعلى الابن والعم وابن العم وعلى العصابة والورثة وعلى الصهر والقريب والتابع... وانظر لسان العرب لابن منظور في مادة ولي والقاموس المحيط والمنجد كذلك فقد أفادوا في ذلك وأجادوا، وقد جاء إطلاقه في القرآن والسنة على معان فمن إطلاقه على الناصر والمعين قوله تعالى في خواتيم سورة البقرة : "

أَنْتَ مَوْلَانَا " 286، أي ناصرنا ومعيننا وقوله تعالى في سورة آل عمران :
 " بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ " 150، أي ناصركم وقوله جل
 علاه في الأنفال : " فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
 النَّصِيرُ " 40، وقوله جل ثناؤه آخر الحج : " هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ
 الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ " 78، ومن إطلاقه على ذلك في السنة ما قاله صلى
 الله تعالى عليه وآله وسلم في حق الإمام علي رضي الله تعالى عنه يوم
 غدير خمّ في الحديث المتواتر : " من كنت مولاه فعلي مولاه " أي من
 كنت ناصره ومعينه ووليه فعلي مولاه.

ومن إطلاقه على الخلق والملكية قوله تعالى في سورة الأنعام : " ثُمَّ
 رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ " 62، أي خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم،
 ومن إطلاقه على القريب والصديق قوله تعالى في سورة الدخان :
 " يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا " 41، أي لا يغني قريب عن قريبه أو
 صاحب عن صاحبه شيئاً ولا لأحد قدرة على نصر غيره ومنعه من
 العذاب، ومن إطلاقه على السيد والولي قوله تعالى في سورة النحل :
 " وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ " 76، أي عالة على ولي أمره أو سيده، ومن إطلاقه
 على القريب من عم وابنه قوله تعالى في سورة مريم : " وَإِنِّي خِفْتُ
 الْمَوَالِيَ " 5، أي بني العم والعشيرة، ومن إطلاقه على العصبة والورثة
 قوله جل شأنه في سورة النساء : " وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ " 33،
 فالمراد بالموالي هنا عصبة الرجل وورثته، ومن إطلاقه على الأخ والولي
 في الدين قوله تعالى في سورة الأحزاب : " فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ
 فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ " 5، أي أولياؤكم في الإسلام ومنه قوله
 صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمولاه زيد بن حارثة رضي الله تعالى
 عنه : " أنت مولانا " أي أخونا وولينا في الدين.

وهكذا جاء إطلاقه في الإسلام على كل من العبد وسيده سواء كان لا يزال في ملكه أم كان معتقاً فيطلق على السيد المولى باعتباره مالكا لفتاه أو معتقه ويطلق على العبد باعتباره مملوكاً أو محرراً من طرف سيده والأمثلة على ذلك كثيرة.

وكذلك جاء في التاريخ إطلاق المولى على من حالف قوماً أو شخصاً فيقال فلان مولى بني فلان أو مولى فلان يعني بالحلف وكان هذا سائداً في الجاهلية وجاء الإسلام فأقره إذا كان في خير وبر وإحسان، كما أطلقوا المولى على من أسلم على يد قوم أو شخص فيقال فلان مولى بني فلان بمعنى أنه أسلم على أيديهم.

وقد عقد علماء الحديث رحمهم الله تعالى باباً خاصاً في الرواة الموالي وجعلوهم أقساماً ثلاثة مولى العتاقة وهذا هو الأغلب في الرواة ومثلوا لذلك بأبي العالية وفقهيه أهل مصر الليث بن سعد، والإمام الزاهد البطل عبد الله بن المبارك وعبد الله بن صالح الجهني المشهور كاتب الليث فهؤلاء وأمثالهم موالي لأنهم كانوا أرقاء فأعتقوا، والثاني المولى بالحلف بمعنى أنه كان حليفاً لقبيلة أو لبعض منها سواء كان الراوي نفسه أو أبوه أو جده كالإمام مالك رحمه الله تعالى فإنه كان حليفاً لتيم قريش وقيل إن جده مالك بن أبي عامر كان أجيراً لطلحة بن عبيد الله التيمي نسب إلى التيميين، والثالث المولى بالإسلام بمعنى أنه أو أحد كآبيه أو جده يكون أسلم على يد رجل أو قوم فينسب إليهم بالولاء فيقال فلان مولى بني فلان... ومثلوا لذلك بالإمام البخاري رحمه الله تعالى فيقولون فيه : محمد بن إسماعيل بن بردزبه

البخاري مولاهم الجعفي لأن جده كان مجوسياً فأسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي وهكذا.

إذا عرفت هذا علمت أن ما قاله ذلك المتعالم من تحريم إطلاق مولاي على غير الله هو مجازفة وكذب على الله تعالى فإن من حرم شيئاً من عنديته فقد كذب على الله تعالى كما قال تعالى : " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ " النحل الآية .116

وقال تعالى : " قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ " يونس 59.

فليتق الله أولئك الجهلة في دخولهم فيما لا يعلمون ونسبتهم التحريم والتحليل إلى الله تعالى كذبا وزوراً فإن ذلك عظيم ووزره كبير والله الموفق الهادي.

فائدة

بمناسبة ذكر الموالي فيما سبق نتم الفائدة للقراء بتاريخ الموالي أيام السلف فقد ذكر المؤرخون لرجال السلف أن المسلمين لما فتحوا بلاد كسرى وغنموا ما كان عند ملكهم كان من جملة الغنائم ثلاث بنات كسرى فجيء بهن لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فأعطى إحداهن لسيدنا الحسين بن علي عليهما السلام فولدت له زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وأعطى الثانية لولده عبد الله فولدت له سالم

بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما وأعطى الثالثة لمحمد بن أبي بكر
فأنجبت له القاسم بن محمد رضي الله تعالى عنه فكان هؤلاء الثلاثة :
زين العابدين، وسالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد رضي الله تعالى
عنهم من سادات التابعين وفضلاء أبناء الصحابة علما وعملا وزهداً
وشرفاً فرغب الناس لذلك في اقتناء الإمام فأنجب لهم الأئمة وعلماء
كباراً فسَادَ الناسَ أولادُ الإمام فكان القرن الأول والثاني يزخران بأكابر
علماء أبناء الإمام حتى قال عبد الملك بن مروان مقالته المشهورة فيهم
فقد ذكر غير واحد عن الإمام الزهري رحمه الله تعالى قال : قدمت
على عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يا زهري؟ قلت : من
مكة قال : فمن خلفت بها يسود أهلها قلت : عطاء بن أبي رباح، قال
: فمن العرب أم من الموالي؟ قال : قلت : من الموالي قال : وبم
سادهم؟ قلت : بالديانة والرواية قال : إن أهل الديانة والرواية
لينبغي أن يسودوا قال : فمن يسود أهل اليمن؟ قال : قلت : طاوس
بن كيسان، قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قال : قلت : من الموالي
قال : وبم سادهم؟ قال : بما سادهم عطاء قال : إنه لينبغي، قال :
فمن يسود أهل مصر؟ قال : قلت : يزيد بن أبي حبيب قال : فمن
العرب أم من الموالي؟ قال : قلت : من الموالي قال : فمن يسود أهل
الشام؟ قال : قلت : مكحول، قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قال :
قلت : من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال : فمن يسود
أهل الجزيرة؟ قلت : ميمون بن مهران قال : فمن العرب أن من
الموالي؟ قال : قلت : من الموالي قال : فمن يسود أهل خراسان؟ قال :
قلت : الضحاك بن مزاحم قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قال : قلت
: من الموالي قال : فمن يسود أهل البصرة؟ قال : قلت : الحسن بن أبي

الحسن يعني الحسن البصري المشهور قال : فمن العرب أم من الموالى؟ قال : قلت : من الموالى قال : ويملك فمن يسود أهل الكوفة؟ قال : قلت : إبراهيم النخعي قال : فمن العرب أم من الموالى؟ قال : قلت : من العرب قال : ويملك يا زهري فرجت عني، والله لتسودن الموالى على العرب حتى يخطب لها على المنابر تحتها قال : قلت : يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه من حفظه ساد ومن ضيعه سقط.

قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله تعالى في مقدمة علوم الحديث بعدما ذكر ما سبق : وفيما يرويه عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما مات العبادلة صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالى إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع قال : فقد كان حينئذ من العرب غير ابن المسيب فقهاء أئمة مشاهير منهم الشعبي، والنخعي وجميع الفقهاء السبعة منهم ابن المسيب عرب إلا سليمان بن يسار رحمهم الله تعالى والله أعلم.

والمقصود أن مشاهير العلماء والفقهاء في ذلك العصر كانوا أولاد الإمام ثم جاء دور حكمهم وتسلطهم على الأمة أيام الممالك كما هو معلوم في التاريخ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العلم والدين يرفعان أصحابهما ويعزهما في الدنيا والآخرة وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الشيخ ناصر الدين الألباني وعمله وخدمته

للحديث النبوي

كان القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر يزخران بكبار المحدثين والمشتغلين بالحديث النبوي الشريف كان فيهم المشاركة والمغاربة أشهرهم وأنفعهم للمسلمين والإسلام والسيد محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أحمد شاکر، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والسيد محمد عبد الحي الكتاني، والأشرف الثلاثة الصديقون السيد أحمد والسيد عبد الله والسيد عبد العزيز أبناء السيد محمد بن الصديق الغماري، والشيخ محمد ناصر الألباني، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة في جماعة آخرين رحم الله الجميع.

وكلهم خدموا السنة المشرفة وقاموا بإحيائها علمياً وعملياً جزاهم الله خيراً وأثابهم على نياتهم ومقاصدهم.

غير أن الذي امتاز عنهم جميعاً بخدمة الحديث الشريف ودرس أسانيده وبيان صحیحه عن ضعفه مع اطلاعه الواسع على كتب السنة بجميع أنواعها الشيخ ناصر الألباني فهو بحق وبيان الحق فضيلة تفوق على الجميع بكثرة كتبه الحديثية التي اهتم فيها بالصناعة الحديثية والتصحيح والتضعيف مما يدل على اطلاعه الواسع ومعرفته بهذا العلم الشريف المعرفة التامة بلا محاباة ومن أهم كتبه في ذلك وأنفعها للمختصين في هذا العلم السلسلة الصحيحة والضعيفة إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل فإن فيها فوائد عزيزة وعلوم زاخرة تتعلق بهذا العلم الشريف.

غير أن عيبه الذي ينبغي الاهتمام به هو أخطاؤه وأغلاطه وتناقضاته في التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل فلا ينبغي الاعتماد عليه في ذلك على الإطلاق بل لا بد من التأكد من صحة ما كتب بمراجعة كتب غيره من السابقين واللاحقين وقد بين أغلاطه في ذلك جماعة من أهل العلم... وممن أسهب في ذلك وأفاد وأجاد العلامة الشريف حسن السقاف في كتبه : تناقضات الألباني وقد أورد له في ذلك ألف غلط وهذا شيء يحسب له حسابه ولم ينصفه الشيخ ناصر فرد عليه ردوداً قاسية ووسمه بأوصاف نابية ليست من صفات العلماء الربانيين بل كان ينبغي له أن يشكره على ما ذكر ويعتذر بأعذار معقولة مقبولة ويغض الطرف عما صدر من الشيخ السقاف من القسوة على الشيخ رحمه الله تعالى وهنا يظهر الفرق الشاسع بين الشيخ أحمد شاکر وبين الشيخ ناصر رحمهما الله تعالى حيث إن الأول لما انتقده الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تحقیقاته لأحاديث المسند قبل ذلك منه ورحب بالانتقادات بانسراح ونشر ذلك في نفس الكتاب وتساجل معه بأدب وقلم علمي نزيه مما يدل على فضله وطهارة طويته واتصافه بأخلاق العماء المخلصين وهذا مما لم يتصف به الشيخ ناصر كما يعرف من ردوده على معارضيهِ ومعاصريهِ في مقدمات مجلدات الصحيحة والضعيفة فرحم الله الجميع.

ومع ذلك نقول إن تلك الأوهام لا تضر لما قدم للمسلمين وأهل العلم من فوائد وكثرة ما كتب فإنه إذا كان قد حقق أكثر من عشرة آلاف حديث مثلاً وأخطأ في العشر منها كان قليلاً بالنسبة لباقيها ومن هذا الذي سلم أو يسلم من الخطأ والغلط وقد قالوا : كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه، فرحم الله الشيخ ناصر الألباني وكل من أسدى إلى الأمة

خيراً من أسياننا ومعاصرينا وغفر لنا ولهم ولوالدينا وأولادنا وأحببتنا
وجميع المؤمنين والمؤمنات قديمهم وحديثهم وصلى الله وسلم وبارك
على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

(قلت: - أحمد بن الدرويش - بحمد الله تعالى جمعا للخير وضعت
بأدب كل أعمال الشيخ الألباني 55000 حديثا ألفيا بأحكامه في
إكسل الكتب التسعة بأحكام شعيب بالألوان وأيضا ألفت "جامع
أحاديث النبي التي حكم عليها بحكمين الألباني" وكان سيدي الحافظ
عبد الله الغماري مر في صحيح وضعيف الجامع كاملا بشيكاغو
وأخرجت التعقبات الصديقية - رحمهم الله تعالى وإيانا)

فوائد التاريخ والاعتبار بأهله

إن للتاريخ فوائد جمة وثمرات عزيزة أهمها الاعتبار والاتعاظ
والاطلاع على الأحداث والتمرن والتأدب وغير ذلك من الفوائد وسواء
كان التاريخ السياسي المتعلق بالممالك والشعوب والمجتمعات أم كان
تاريخ الرجال كالعلماء على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم من
مفسرين ومحدثين وفقهاء ومؤرخين وأخباريين ونحاة وأصوليين
وغيرهم أم تاريخ الزهاد والنسك والمنقطعين إلى الله تعالى فالنظر في
التاريخ كله ذلك نافع وأسأل به خبيراً مجرباً.

ولأهميته جعل الله عز وجل ثلث القرآن لقصص الأنبياء وأخبارهم
مع أممهم وقال تعالى لنبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذلك : "
لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ " يوسف 111، وقال جل علاه
: " وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ " هود الآية

120، ولفت أنظار الكفار إلى السير في الأرض والسياسة ليعتبروا بمن أهلكهم الله تعالى من الكفار والمكذبين والطغاة والجبابرة وفي ضمن ذلك إرشاد لكل العباد إلى السير في الأرض لنفس الفائدة.

وقد جاء في القرآن الأمر بالسير في الأرض لننظر مآل المهلكين ولنشاهد كيف كانت عاقبة المكذبين وذلك في مواضع من القرآن الكريم :

أولاً في قوله تعالى من سورة آل عمران : " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ " 137، ومعناه قد مضت من قبلكم في الأمم سنن الله تعالى بإهلاك المكذبين لأنبيائهم فسيحوا في أرجاء الأرض وانظروا نظر اعتبار في آثارهم وكيف كانت عاقبتهم.

ثانياً في قوله عز وجل من سورة الأنعام : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ " 11، أي قل يا رسولي لهؤلاء المستهزئين الساخرين بك وبما جئت به سافروا في الأرض فانظروا وتأملوا ماذا حل بالكفرة من العقاب وأليم العذاب لتعتبروا بآثار من خلا من الأمم.

ثالثاً في قوله جل علاه من سورة يوسف : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " 109، جاءت الآية هنا باستفهام إنكاري أي أفلم يسر هؤلاء المكذبون فينظروا نظر تفكر وتدبر ما حل بالأمم قبلهم.

رابعاً في قوله جل ثناؤه من سورة النحل : " فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ " 36، أي امشوا يا معشر قريش في أرجاء الأرض وانظروا ماذا حل بالأمم المكذبة قبلكم فإنكم ترون آثار ديارهم ومساكنهم...

خامساً في قوله عز وجل من سورة الحج : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا " الآية 46، أي أفلم يسح هؤلاء المشركون في بقاع الأرض ليشاهدوا مصارع المكذبين قبلهم فيعتبرون بأولئك ويستخدموا عقولهم وآذانهم فينتفعوا بما شاهدوه من آثار الدمار والنكال جاءت الآية الكريمة عقب قوله تعالى : " فَكَايَيْنَ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ " 45، أي فكم من قرية أهلكتنا أهلها وهو ظالمون كافرون فترون سقوف تلك القرى ساقطة على الأرض ثم تهدمت جدرانها وحيطانها على تلك السقوف وكم من بئر عطلت فتركت لا يسقي منها أحد وكم من قصر شامخ مرفوع البناء أصبح خالياً بلا ساكن أفلا تعتبرون بذلك يا معشر المكذبين.

سادساً في قوله جل شأنه من سورة النمل : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ " 69، خاطب الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأمر قومه بالسير في أكناف الأرض ليشاهدوا كيف كان آخر أمر المجرمين المكذبين.

سابعاً في قوله جل شأنه من سورة العنكبوت : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ " الآية 20، أي سيروا في أصقاع الأرض وانظروا

نظر اعتبار كيف خلق الخلق على اختلاف أشكالهم وألسنتهم وتفاوت طبائعهم وألوانهم ثم انظروا إلى مساكن القدامى كيف أهلکهم الله ودمر عليهم ديارهم لما كذبوا رسله وتمردوا على الله تعالى.

ثامناً في قوله عز من قائل من سورة الروم : " أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " 9.

يقول عز وجل أو لم يخرج أهل مكة من بلادهم ويسيحوا في أرجاء الأرض فينظروا نظر اعتبار وتدبر في آثار الأقدمين الذين كانوا أقوى منكم أجساداً وأطول أعماراً وأكثر منكم جنداً وأنصاراً وعمروا الأرض بالزراعة والبنيات أكثر منكم يا معشر قريش ولما جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات والآيات الواضحات كذبوهم فأهلكهم الله عز وجل وأخذهم بذنوبهم وما ظلمهم الله فأخذهم بدون جرم ولكنهم عبدوا غيره وكفروا به وهو الذي خلقهم وأمدهم في حياتهم.

تاسعاً في قوله جل جلاله من نفس سورة الروم أيضا : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ " 42.

قل يا نبي لقومك المكذبين امشوا في الأرض وانظروا كيف أهلكت من كان قبلكم واعتبروا بما حل بهم وكيف كان عاقبة أمرهم وذلك لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله.

عاشراً في قوله تعالى من سورة فاطر : " أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا " الآية 44، وهكذا يكرر تعالى هذه الآية على أساليب مختلفة لعل المكذبين يرعون عن غيهم ويتوب المشركون فيوحدون الله خالقهم.

حادي عشر في قوله تعالى من سورة غافر : " أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ " الآية 21، وهذه أيضا كسابقها وكالتي تقدمت في الروم فأولئك الأمم كانوا أعظم قوة وأكثر أموالا وجندا وأوسع ملكا فأخذهم الله بذنوبهم وأعظمها الشرك والكفر به تعالى ولم يجدوا لهم من عذاب الله من مانع ولا حافظ ولا ناصر عندما حل بهم ما حل.

ثاني عشر في قوله جل شأنه في نفس سورة غافر : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ " الآية 82، وهذه أيضا كسابقتها.

ثالث عشر في قوله تعالى من سورة محمد - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - وهي مسك الختام : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا " الآية 10.

فهذه ثلاث عشرة آية كلها تلفت أنظار الكفار والمكذبين والغافلين إلى النظر في التاريخ المنظور ويعتبرون بمن سلف قبلهم من الأمم المكذبة ويلاحظ أن الله عز وجل ذكر هذه الآيات على أساليب غاية في البلاغة فذكر الآية الأولى والرابعة بخطاب موجه لهم : " فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ " وذكر الآيات الثانية والسادسة والسابعة والتاسعة بخطاب موجه للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأمرهم بالسير... وفي الآيات الثالثة والخامسة والثامنة والعاشره والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ذكرها مفتحات بهمزة الاستفهام الإنكاري مع ذكر المضارع المفتتح بالياء في الأمر بالنظر والتدبر والسير فما أروع القرآن الكريم وما أجمل أساليبه.

نعم هذه آيات عظيمة وعظيمة يعرف مغزاها وما تدعوا إليه العقلاء ذوو الأبواب فليتدبرها المسلم وليتعظ بها فإن العاقل من وعظ بغيره جعلنا الله تعالى ممن يتدبر ويعقل ويعتبر ويتعظ.

غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

في القرآن الكريم

أجمع العلماء على أن القتال ما شرع إلا في المدينة بعد هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأول ما نزل في ذلك قوله تعالى في سورة الحج : " أَدِّنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ " 39، وكانت أول غزواته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التي

خرج فيها بنفسه غزوة الأبواء وهي ودان قال البخاري في أول المغازي من صحيحه قال ابن إسحاق أول ما غزا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الأبواء ثم بواط ثم العُشيرة.

أما عدد غزواته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فعن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه ف قيل له : كم غزا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من غزوة؟ قال : تسع عشرة قيل : كم غزوت أنت معه؟ قال : سبع عشرة قلت : فأيهم كانت أول قال : العشرة أو العشير. رواه البخاري أول المغازي 283/282/8.

وقال الحافظ في الفتح : لكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله تعالى عنه أن عدد الغزوات إحدى وعشرون وإسناده صحيح وأصله في مسلم ثم ذكر أن عبد الرزاق أخرج بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال : غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أربعاً وعشرين...

وقاتل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بنفسه في ثمان منها بدر ثم أحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف ذكره موسى بن عقبة كذا في الفتح.

وذكر الله تعالى في القرآن الكريم غزواته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اثنتي عشرة غزوة وهي بدر وأحد وحمراء الأسد وبنو المصطلق والأحزاب الخندق وقريظة وبنى النضير والحديبية وخبير والفتح وحنين وتبوك.

فذكر بدرًا في آل عمران في قوله تعالى : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ " 123، إلى قوله " لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " 132، وفي سورة الأنفال بداية من قوله تعالى : " وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ " الآيات 7... وفي قوله تعالى : " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ " الآية 41، وفي قوله جل علاه : " وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي آعِينِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعِينِهِمْ " الآية 44.

وذكر أحدا في سورة آل عمران في قوله تعالى : " وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ " 121، إلى قوله : " الْمُؤْمِنُونَ " 122، ثم تممها في قوله تعالى : " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ " الآية 137.

وذكر حمراء الأسد فس نفس السورة في قوله تعالى : " الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ " الآية 172.

وذكر غزوة بني المصطلق وهي المريسع في سورة المنافقين في قوله تعالى : " يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ " 8، وفي قوله تعالى في سورة النور : " إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ " 11، فإن كلا القصتين وقعتا في هذه الغزوة.

وذكر غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا " 9، وذكر معها غزوة قريظة.

وذكر غزوة الحديدية في سورة الفتح : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا " 1، وفي قوله : " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " 10، وفي قوله : " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ " 18.

وذكر غزوة بني النضير في سورة الحشر بداية من قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ " 2 الآيات.

وذكر غزوة خيبر في قوله تعالى : " وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ " الصف 13، على قول بعض المفسرين أن ذلك غزوة خيبر ومن ذلك قوله في سورة الفتح : " وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا " 18-19-20، فالآيات تتحدث عن فتح خيبر وغنائمها الوفيرة بشر الله عز وجل نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفتحها وأخذ غنائمها قبل وقوعها.

وذكر غزوة الفتح الأكبر فتح مكة المكرمة في قوله جل علاه : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا " 1-2، فالمراد بالفتح هنا فتح مكة عبر عنه تعالى بالماضي لتحقيق وقوعه إذ السورة نزلت في السنة السادسة مرجعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الحديدية وكذا ذكره في سورة النصر حيث قال تعالى : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ " 1، السورة فالفتح هنا هو فتح مكة أيضاً الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين وأذل به الشرك والمشركين وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة.

وذكر تعالى غزوة حنين في سورة التوبة حيث قال عز وجل : " لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ " الآية 25.

وذكر غزوة تبوك وهي آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في سورة التوبة حيث قال تعالى : " لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ.. " 42، إلى قوله : " وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَسْرًا وَكَانَ وَجوهُ اللَّهِ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا " الآية 102.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون دائماً أبداً بلا نهاية.

تواريخ أهل العلم والرواة والأئمة

وأهل الحديث

عقد المحدثون باباً خاصاً في علوم الحديث لبيان تواريخ الرواة واستطردوا فذكروا تواريخ وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة ثم باقي العشرة ثم أشهر الأئمة المتبوعين ثم أئمة

أمهات كتب السنة المشرفة كالأئمة الخمسة ثم من ختمت بهم الرواية من رجال القرن الرابع والخامس.

وهو مبحث نفيس رائع وإتماماً لفائدة القارئ الذي لم تصل به ثقافته واطلاعه لهذا الموضوع نذكر له ذلك رجاء دعوة صالحة منه.

فنقول : كان المسلمون في الصدر الأول أيام الصحابة فما بعدهم بقليل لم يكونوا يتجرءون على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعلى شريعة الإسلام فيكذبون ويضعون الأحاديث ويدعون لقاء من لم يروه أو سماع من لم يسمعوا منه فلما ظهرت البدع وبزغ دعاة النار والزنادقة اختلط الحابل بالنابل فوضع العلماء تواريخ مواليد الرواة ووفياتهم ورحلاتهم وشيوخهم ونظروا في الرواة وركبوا الأسانيد ودققوا فيها حفظاً لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسداً لأبواب الكذب في وجوه الدجاجلة ورقيقي الدين وعملاً بما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه رواه مسلم في مقدمة صحيحه. وفي رواية قال : إنا كنا إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

وقال ابن الصلاح رحمه الله تعالى في مقدمته علوم الحديث : روينا عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه قال : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ أو كما قال.

قال : وروينا عن حفص بن غياث أنه قال : إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين يعني أحسبوا سنه وسن من كتب عنه.

قال : وهذا كنعو ما روينا عن إسماعيل بن عياش قال : كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا : ههنا رجل يحدث عن خالد بن سعدان فأتيته فقلت : أي سنة كتبت عن خالد بن سعدان؟ فقال : سنة ثلاث عشرة يعني ومائة فقلت : أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن سعدان بعد موته بسبع سنين قال إسماعيل : مات خالد سنة ست ومائة.

وهذه تواريخ أردنا ذكرها مما ذكره علماء الحديث نموذجاً لتاريخ الرواة.

وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

والعشرة

رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبض بأبي وأمي يوم الاثنين ضحى لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة.

وتوفي أبو بكر رضي الله تعالى عنه في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.

وتوفي عمر رضي الله تعالى عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين
قتله أبو لؤلؤة المجوسي.

وتوفي عثمان رضي الله تعالى عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين
وهو ابن اثنتين وثمانين وقيل ابن تسعين قتل مظلوما.

وتوفي الإمام علي رضي الله تعالى عنه في شهر رمضان سنة أربعين
قتله ابن ملجم.

ورسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر وعلي
رضي الله تعالى عنهم كلهم توفوا وأعمارهم ثلاث وستون سنة.

وطلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما توفيا معاً في جمادى الأولى
سنة ست وثلاثين في وقعة الجمل طلحة قتلته مروان بن الحكم والزبير
قتله ابن جرموز.

وتوفي سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه سنة خمس وخمسين
وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفي سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه سنة إحدى وخمسين وهو
ابن ثلاث أو أربع وسبعين سنة.

وتوفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه سنة اثنتين وثلاثين
وهو ابن خمس وسبعين سنة.

وتوفي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه سنة ثمان عشرة
وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وفي بعض ذلك خلاف وبهؤلاء تم عدد العشرة المبشرين بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن عوف وأبو عبيدة رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم تحت لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

الأئمة أصحاب المذاهب

وهم :

سفيان الثوري رحمه الله توفي سنة إحدى وستين ومائة بالبصرة.

ومالك بن أنس رحمه الله تعالى إمام دار الهجرة توفي بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة.

وأبو حنيفة رحمه الله تعالى توفي ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة.

والشافعي رحمه الله تعالى توفي بالقاهرة سنة أربع ومائتين.

وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى توفي ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين.

وهو أصغر الأئمة وآخرهم هذا ما ذكره ابن الصلاح ومن تبعه.

وبقي من الأئمة المتبوعين أرباب المذاهب الليث بن سعد وداود
الظاهري والأوزاعي وابن جرير الطبري وإسحاق بن راهويه كما
ذكرهم غير واحد من العلماء.

أما الليث وهو ابن سعد فهو فقيه الديار المصرية وإمامها توفي سنة
خمس وسبعين ومائة وله إحدى وثمانون سنة وهو مدفون بجوار
الشافعي بالقاهرة.

أما داود فهو ابن علي الظاهري إمام أهل الظاهر فتوفي ببغداد سنة
سبعين ومائتين.

وأما الأوزاعي فهو إمام أهل الشام توفي ببيروت سنة سبع
وخمسين.

وأما ابن جرير الطبري فهو إمام المفسرين توفي سنة عشر وثلاثمائة.

وأما إسحاق بن راهويه الحنظلي فهو الإمام الكبير توفي سنة ثمان
وثلاثين ومائتين.

فهؤلاء كلهم ممن كان لهم مذاهب خاصة وأتباع ولم يبق متبوعا
منهم إلا الأربعة الأول.

أصحاب الأمهات الحديثية

وهم البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وزدنا ابن ماجه والدارمي رحمهم الله تعالى.

أما البخاري وهو إمام أهل الحديث فتوفي رحمه الله تعالى بخرنتك بسمرقند سنة ست وخمسين ومائتين وكان عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.

وأما مسلم بن الحجاج فهو مؤلف ثاني الصحيحين توفي سنة إحدى وستين ومائتين.

وكتاباهما أصح الصحيح بعد كتاب الله تعالى.

أما أبو داود فهو السجستاني أحد أهل السنن توفي سنة خمس وسبعين ومائتين.

وأما الترمذي فهو أبو عيسى صاحب الجامع توفي سنة تسع وسبعين ومائتين.

وأما النسائي فهو أحمد بن شعيب صاحب السنن الكبرى والمجتبى توفي سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأما ابن ماجه فهو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وهو صاحب السنن المشهورة التي أتم بها جمهور المحدثين الكتب الست توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

وأما الدارمي فهو أبو محمد عبد الله صاحب السنن المشهورة التي اختار بعض الحفاظ المتأخرين أن تضم إلى الأصول الخمسة توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.

سبعة من الحفاظ ختمت بهم الرواية وجمعوا
واستدركوا

على من قبلهم ما كان تبقى من حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

وهم : الحاكم أبو عبد الله صاحب المستدرک توفي رحمه الله تعالى
سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

وأبو عبد الله عبد الغني المصري توفي سنة تسع وأربعمائة رحمه
الله تعالى.

وأبو نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء توفي رحمه الله تعالى سنة
ثلاثين وأربعمائة.

والبيهقي أبو بكر بن الحسين صاحب السنن الكبرى وغيرها توفي
رحمه الله تعالى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

والخطيب البغدادي أحمد بن ثابت صاحب تاريخ بغداد والمؤلفات المشهورة في الحديث توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

وابن عبد البر يوسف أبو عمر الأندلسي صاحب التمهيد وغيره توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

ومن الصدف الإلهية أن الخطيب وابن عبد البر كانا في عصر واحد كان الخطيب البغدادي حافظ الشرق وابن عبد البر حافظ الغرب وتوفيا في سنة واحدة.

وأبو الحسن علي بن عمر الدارقطني توفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثمائة.

وبهؤلاء السبعة تم تدوين الحديث النبوي الشريف وبكتب هؤلاء وأولئك السبعة المتقدمين مع مسند الإمام أحمد جمعت السنة المحمدية ولم يغب عنها إلا المكررات أو الغرائب...

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه أبد الآبدين.

بحث في علم الغيب

ولنختم فوائد هذا الجزء من كتاب نصب الموائد بالكلام على علم الغيب الذي طالما وقع فيه الخبط وكثرة القيل والقال والتكفير

والتضليل فتقول وبالله العون والتوفيق قال الله تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ " آل عمران 179، وقال تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ " الأنعام 59.

وقال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ مَمُوتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " لقمان 34.

وقال تعالى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ " النمل 65.

وقال تعالى : " عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ " الجن 26-27.

فظاهر هذه الآيات الكرميات يفيد أن الغيب وعلمه خاص بالله تعالى وهذا حق لا شك فيه لأن الله عز وجل هو خالق الكائنات ورب الأرض والسماوات ورب الدنيا والآخرة فالكل ملكه وخلقه يعلمه كليا وجزئيا لا تخفى عليه خافية وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

يعلم ما نسر وما نعلن يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

والغيب كل ما غاب عن الإنسان سواء كان موجوداً أم معدوماً مستقبلا كان أم قديماً والكل في علم الله سواء قد أحاط به تعالى جملة وتفصيلا.

لا يعلمه أحد بذاته وإنما يعلمه باطلاع الله تعالى عليه بوسائل وطرق مختلفة إما بالوحي المعروف للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والوحي الإلهي لهم يعم جميع الغيوب التي يشاء الله تعالى إطلاعهم عليها.

أما غير الأنبياء فإن كان الغيب موجوداً فقد يعلمه الإنسان بواسطة الجن أو بسبب آخر كالتليفون اليوم والتلفاز ونحوهما من الوسائل الإعلامية الحالية فقد يعرف الإنسان اليوم ما حصل من الأحداث في جميع أنحاء المعمور وأخبر الصالحون بأشياء من هذا القبيل وغيره كما تجد ذلك في التراجم وكرامات الأولياء.

أما ما كان غير موجود ولا معروف فقد يعلمه الإنسان بوسائل جعلها الله تعالى أسباباً لذلك كإخبار الملائكة مثلا كما وقع لمريم عليها السلام حيث بشرتها الملائكة بقولها: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ " آل عمران 42 وأتاها جبريل فقال لها: " إِمَّا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا " مريم 19، وهي ليست نبية عند الجمهور، ولهاجر مع جبريل عليه السلام في شأن زمزم حيث كلمها وبشرها كما في حديث الصحيحين، وكما حصل لسارة حيث بشرتها الملائكة بإسحاق: " فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ " هود 71، وكما أخبر الملك الرجل الزائر لأخيه بأن الله يحبه كما في حديث مسلم: " فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه " وكحديث قصة الأقرع والأبرص والأعمى حيث إنه أتاهم ملك في صورة رجل غريب ليمتحنهم وفيه قوله للأعمى: " فقد رضي

الله عنك وسخط على صاحبك " وهو في الصحيحين، فهذا اطلاع على الغيب بإخبار الملائكة عن الله عز وجل.

السبب الثاني الإلهام بالتحديث في القلب وقذف فيه شيئاً لا يتردد صاحبه في صدقه وصحته وهذا يعدونه من أقسام الوحي كما أوحى الله للحواريين في قلوبهم وألهمهم أن يؤمنوا بالله وبعيسى عليه السلام وكما أوحى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ " الآية 7 القصص، قال ابن كثير : وهو وحي إلهام بلا خلاف.

ومن ذلك إلهام ذي القرنين : " قُلْنَا يَا دَا الْقَرْيَيْنِ " الكهف 86، قال القرطبي إن كان نبيا فهو وحي وإن لم يكن نبيا فهو إلهام ومنه المحدثون والمكلمون في بواطنهم من قبل الله تعالى كما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون إن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم " قال ابن وهب رحمه الله تعالى : تفسير محدثون ملهمون، رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ورواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

قال الحافظ في فتح الباري محدثون بفتح الدال جمع محدث واختلف في تأويله فقيل ملهم قاله الأكثر قالوا : المحدث هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى قال : وقيل مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نوبة.

وقال في موضع آخر في الإلهام فيه إخبار بما سيكون وهو للأنبياء بالنسبة للوحي كالرؤيا ويقع لغير الأنبياء كما في الحديث الماضي في مناقب عمر رضي الله تعالى عنه قال : وقد أخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة فكانت كما أخبروا...

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى 398/12 في قوله تعالى : " وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ " المائدة 111، وقوله : " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى " القصص 7، فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء يقظة ومناما.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين في حديث عمر : فالتحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء...

وورد بسند صحيح أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه أخبر بنته عائشة رضي الله تعالى عنها بأن زوجته في بطنها جارية ذكره في الموطأ وقال ابن الجوزي في صفوة الصفوة في رواية : قد ألقى في روعي أنها جارية قولدت أم كلثوم.

ومن هذا القبيل ما ورد عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في قوله : يا سارية الجبل وهو أنه كان وجه جيشاً وأمر عليهم رجلا يسمى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال : يا أمير المؤمنين هزمتنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي يا سارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح هكذا وهذه قصة صحيحة وقد استدل بها كثير من أهل العلم على وقوع

الكشف والاطلاع على الغيب منهم ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه المعجزات والكرامات، وهذا باب من الكشف والمشاهدة واسع جداً.

وقد عقد الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته المشهورة باباً للفراسة أطال الكلام فيها بنقل كشوفات مشايخ الصوفية القدامى رحمهم الله تعالى وإيانا فمن ذلك قوله :

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي : إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون.

قال : وحكي عن أبي عبد الله الرازي قال : كساني ابن الأنباري صوفياً ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعاً لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي فتبعته وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلي فلما دخل داره دخلت فقال لي : انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما.

قال : وقال أبو العباس بن مسروق دخلت على شيخ من أصحابنا أعوده فوجدته على حالة رثة فقلت في نفسي من أين يرتزق هذا الشيخ؟ فقال لي : يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر الدنيئة فإن لله لطافاً خفية.

قال : ويحكي عن الزبيدي قال : كنت في مسجد بغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشيء أياماً فأتيت الخواص لأسأله شيئاً

فلما وقع بصره علي قال : الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله أم لا؟
فقلت : بلى فقال : اسكت ولا تبدها لمخلوق فرجعت ولم ألبث إلا
قليلا حتى فتح علينا بما فوق الكفاية.

قال : وقيل كان سهل بن عبد الله يوماً في الجامع فوقع حمام في
المسجد من شدة ما لحقه من الحر والمشقة فقال سهل : إن شاها
الكرماني مات الساعة إن شاء الله تعالى فكتبوا ذلك فكان كما قال.

قال : وقال أبو سعيد الخراز : دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً
عليه خرقتان يسأل الناس شيئاً فقلت في نفسي : مثل هذا كل على
الناس فنظر إلي وقال : " وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ "
البقرة 235، قال : فاستغفرت في سري فناداني وقال : " وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ " الشورى 25.

ثم ذكر بسنده إلى محمد بن داود قال : كنا عند الجريري فقال :
هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه أن يحدث في المملكة حدثاً أعلمه
قبل أن يبيده قلنا : لا فقال : ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى
شيئاً.

وقال خير النساج : كنت جالساً في بيتي فوقع لي أن الجنيد بالباب
فنفيت عن قلبي فوقع لي ثانياً وثالثاً فخرجت فإذا بالجنيد فقال : لِمَ
لَمْ تخرج مع خاطر الأول.

والأخبار في هذا كثيرة عنده وعند غيره في كل العصور.

وما لنا نذهب بعيداً وهذا حافظ عصره وإمامه ابن تيمية وعليه يعتمد المنكرون لهذا الموضوع يكشف بأشياء من المغيبات ويخبرها الخاص والعام.

فقد ذكر تلميذه الخاص ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين في بحث الفراسة ج489/2 ما نصه : ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أموراً عجيبة وما لم أشاهده أعظم وأعظم ووقائع فراسته تستدعي سفرأً ضخماً.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمئة وأن جيوش المسلمين تكسر وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام وأن كلب الجيش وحدته في الأموال وهذا قبل أن يهجم التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمرء سنة اثنتين وسبعمئة لما تحرك التتار وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً فيقال له : قل : إن شاء الله فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً وسمعته يقول ذلك قال : فلما أكثروا علي قلت : لا تكثروا كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام....

قال : ولما طلب إلى الديار المصرية وأريد قتله بعدما انضجت له القدور وقلبت له الأمور اجتمع أصحابه لوداعه وقالوا : قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك فقال : والله لا يصلون إلى ذلك أبداً قالوا : أفتحبس؟ قال : نعم ويطول حبسي ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رءوس الناس، سمعته يقول ذلك : وقال مرة : يدخل علي

أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكرها لهم. فقلت له أو غيره : لو أخبرتهم؟ فقال : أتريدون أن أكون معرفاً كمعرف الولاية؟ وقلت له يوماً : لو عاملتنا بذلك لكان أدهى إلى الاستقامة والصلاح فقال : لا تصبرون معي على ذلك جمعة أو قال شهراً.

قال : وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم. هذا آخر كلام ابن القيم من مدارج السالكين شرح منازل السائرين.

فماذا يقول حضرات المنكرين من أتباع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على الصوفية وأصحاب الكرامات من أهل الكشف فهل ابن تيمية كان معه الشياطين أو كان عرافاً أم ماذا فيها هو يكشف بأشياء من المغيبات ويخبر عن بعضها أنها مكتوبة في اللوح المحفوظ ويقول ذلك جازماً متيقناً... إنه والله الكشف الصادق وأنه كان من المحدّثين الملهمين كسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأضرابه من أهل البصائر وبهذا يتضح أن هذا الإمام كان من العلماء الربانيين وأهل المعرفة بالله رب العالمين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه.

السبب الثالث الرؤيا الصادقة فقد يطلع الله عبداً على غيبه بواسطة الرؤيا وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : "

ذهبت النبوات ولم يبق إلا المبشرات الرؤيا يراها المؤمن أو ترى له " وهو في الصحيح والمرأي بذلك متواترة.

السبب الرابع إخبار الخضر عليه السلام فقد ثبت من طرق متواترة عن جماعات من الصالحين أن الخضر لقيهم وأخبرهم بأمور وعلمهم أشياء من عالم الغيب.

السبب الخامس المحتضرون فقد ثبت في كل عصر عن جماهير من الناس أخبروا بمغيبات عند احتضارهم منهم من أخبر بحضور الملائكة ومنهم من أخبر بمقامه في الجنة ومنهم من أخبر بأشياء لا يعلمها أحد كمشاهدة عذاب أو تنعم أشخاص...

السبب السادس الجن والشياطين فقد يأتون بأخبار يسترقونها من الملائكة فيخبرون بها ويزيدون عليها كذباتهم.

ومن ذلك إخبار الشيطان أبا هريرة بأن من قرأ آية الكرسي عند النوم لا يزال عليه من الله حافظ، وهو في البخاري.

كما أخبروا ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأشياء في الإسلام لم يعرفها الناس كما أخبرت الجن بمقتل سعد بن عبادة واستشهاد سيدنا الحسين عليه السلام قبل معرفة الناس.

السبب السابع الحيوان والجماد والأشجار، كما ثبت عن الهدد الذي أخبر نبي الله سليمان عليه السلام بما لم يعرفه من ملك بلقيس وكإخبار الديكة برؤية الملائكة والكلاب والحمير برؤية الشياطين كما جاء في الحديث الصحيح : فإننا نعلم وجود الملائكة أو الشياطين عند

صراخ الديكة ونباح الكلاب ونهيق الحمير. وكما حصل من الحجر الذي كان يسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويقول السلام عليك يا رسول الله فأخبره بأنه رسول قبل أن يعرف ذلك، وهذا باب واسع جداً.

فهذه الوسائل وغيرها في اطلاع الإنسان على المغيبات كلها ترجع إلى اطلاع الله عز وجل وليس للإنسان قلامة ظفر في معرفة شيء من ذلك بذاته ونفسه إذا عرفت ما تقدم عرفت أن تلك الآيات التي صدرنا بها هي من العام المخصوص أو من العام الذي أريد به الخصوص لأنه ما من جزئية جزئية ذكرت في قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ " لقمان 34، إلا ولها أدلة تخصصها وتخبر باطلاع غير الله عليها بالوسائل المتقدمة وغيرها وليست على إطلاقها كما يفهمها كثير من السطحين فيكفرون أو يضللون من يقول بالاطلاع على الغيب وإذا كان الشياطين يعلمون بعض المغيبات باستراق السمع أو غيره فأولياء الله أولى بهم في اطلاعهم على الغيب إما بتحديث الملائكة إياهم أو بالإلهام في قلوبهم أو غير ذلك مما أكرمهم الله تعالى به، نعم يستثنى من ذلك ما استأثر الله تعالى بعلمه كالساعة ووقت قيامها على ما قالوا في ذلك من اطلاع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على وقت قيامها ومن شاء الله من عباده، ومن أراد المزيد مما ذكرنا فعليه بكتاب أخينا وصديقنا العلامة الأستاذ الباحث السيد محمد بن الأزرق المسمى باطلاع الله أولياءه على المغيبات فإنه استوعب الموضوع مع أدلته ونقول علماء الإسلام جزاه الله خيراً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على
سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه أبد الأبدین.

المعمرون من هذه الأمة

سماع الجن قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يصلي بأصحابه وإيمانهم به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مقطوع به فمن أنكر ذلك فليس بمسلم لإخبار القرآن الكريم بذلك في موضعين في سورة الأحقاف حيث قال تعالى : " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " 29-30-31.

وفي سورة الجن : " قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا " الآيات 1-2-3.

فهذه الآيات صريحة في سماعهم من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم القرآن وإيمانهم به وثبت في الصحاح وغيرها أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لقي جماعة آخرين من الجن بدعوة منهم قرأ عليهم القرآن ووعظهم وأرشدهم في ليلة خاصة وبيت القصيد من هذا هو أن جماعة من أهل العلم والعامّة قالوا ولا زالوا يقولون بأنه لا يزال على قيد الحياة بعض من آمن به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الجن كمعلم الجن بالبقيع الشريف بالمدينة المنورة قالوا عنه يفد إليه الجن من جميع المعمور فيدعوهم إلى الله ويرشدهم ويذكرهم

وكقاضي الجن شمهروش الذي قالوا عنه أيضاً إنه صحابي كسابقه وأن كثيراً ممن يتعاطى علم السيميا ويجتمع بالجن اجتمعوا به وقضى لهم أغراضاً وهذا شيء غير مقطوع به فهو في حيز الإمكان لأن الجن كما قولون يعمرّون المئات من السنين وهذا الشيطان لا يزال موجوداً من يوم غوى آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة فهو المعمر الوحيد في هذا العالم بالنصوص القطعية، أما الأمة المحمدية فأكثر أعمار أفرادها ما بين الستين سنة والسبعين وقليل من يجوز ذلك والذي صح في المعمرين من هذه الأمة من مسلمين وكافرين ثلاثمائة سنة ولا أعتقد عُمرَ أحدٍ أكثر من ذلك إلا ما قيل في سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فإن بعضهم قال : أنه أدرك سيدنا عيسى عليه السلام ولا يصح ذلك نعم هناك من الدجاجة الكذابين من ادعى التعمير وأنه سمع من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما نقل علماء الحديث عن أبي الدنيا الأشج المغربي الدجال الكذاب أنه جاء بعد الثلاثمائة وادعى أنه سمع من الإمام علي رضي الله تعالى عنه.

وروى أحاديث كثيرة مسروقة وعزاها للإمام علي رضي الله تعالى عنه، وكذا نسطور راو جعفر بن نسطور الرومي الذي رواه عنه أنه قال كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في غزوة تبوك فسقط من يده السوط فنزلت عن جوادي فرفعته إليه فقال : مَدَّ اللهُ في عمرك مَدًّا فعشت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثمائة وعشرين سنة.

وكرَّتنَ الهندي قال الذهبي : وما أدراك ما رَتَّنُ شيخُ دجال بلا ريب ظهر بعد الستمائة فادعى الصحبة والصحابة لا يكذبون وهذا جريء

على الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال وقد قيل إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من أسمع الكذب والمحال.

وهناك آخرون من هذا القبيل.

وقد ذكر المحدث الراوية سيدي عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى في فهرس الفهارس نقلا عن ثبَّت السيد أحمد السنوسي رحمه الله تعالى أن جده سيدي محمد بن علي السنوسي أخذ عن شريف معمر اسمه عبد العزيز نزيل أرض الحبشة عاش أزيد من خمسمائة سنة وأنه كتب للشيخ السنوسي إجازة عامة كما هي له من الحافظ ابن حجر وأن الرجل مات في 21 صفر سنة ست وسبعين ومائتين وألف وأنه ولد بوادي فاطمة يعني خارج مكة المكرمة في القرن الثامن سنة ست وخمسين وعاش من العمر خمسمائة وعشرين سنة.

وهذا كذب مكشوف فلا ندري من افتعل هذه الأكذوبة الباردة غير أنه هناك ما هو أعجب من كل ما تقدم وأغرب وهو ما ذكره سيدي عبد الوهاب الشعراي رحمه الله تعالى في الطبقات الكبرى في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي رضي الله تعالى عنه ورحمه كان أستاذاً للعارف الزاهد المشهور إبراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه ما نصه : وكان يقول : اجتمعت بشخص من أصحاب أئمتنا إبراهيم عليه السلام وقال : إنه ساكن في الهواء منذ رمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمنجنيق فقلت له : ما حملك في الهواء وأنت من بني آدم؟ فقال : توكلني على الله عز وجل فقلت : وما التوكل؟ قال : النظر إلى

الله تعالى دائماً بلا عين تطرف، والذكر له بلسان لا يتحرك، والجولان في مصنوعاته بلا روح تغفل. هكذا قال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

من أسمع المؤلفات

من أبشع وأسمج ما رأيت في حياتي من المؤلفات العلمية ما قرأت لمتعالماً أندنوسي في كتاب فضولي له سماه ضجيج الكون من لبس البنطلون أباح فيه التفرنج مطلقاً وبدون قيد، ورد على الأجلء من العلماء وسخر منهم واستحقرهم فكان بذلك خارقاً لإجماع علماء الإسلام فإن التشبه بالكفار ولا سيما التشبه العام حتى بما اختصوا به من المظاهر لم يقل به أحد من علماء الإسلام حتى جاء وقتنا الحاضر بعد استعمار الكفار بلاد المسلمين فظهر بعض من كان يدعي الإصلاح والتجديد* فأباحوا للناس ما كان عند المسلمين محرماً منذ العصور الأولى.

فقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أكثر من مائة حديث كلها تحذر من موافقة الكفار وتأمير بمخالفتهم وتنهاي عن التشبه بهم وقدما ألف تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى كتابه العظيم: الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم حرم فيه تشبه المسلم بالكافر بل كفر من تشبه بالكفار التشبه المطلق بحيث لا يوجد فيه ما يميزه عن مظهر الكافرين ومما قاله في هذا الكتاب على حديث: " من تشبه بقوم فهو منهم " الآتي قوله: هذا الحديث أقل

أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى : " وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ " قال : فقد يحمل هذا على المتشبه المطلق فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك الخ وهذا كلام نفيس للغاية، وألف في هذا العصر أستاذنا سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى رسالة أسماها " الاستنفار لغزو التشبه بالكفار " طبعت منذ مدة باختصار عبد ربه وهي مهمة جداً فيها فوائد في الموضوع وكذا

* منهم الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا.

وضع الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى فصلاً خاصاً في تحريم التشبه بالكفار في كتابه حجاب المرأة المسلمة فليراجع ولا بد.

وقال الشيخ أحمد شاکر رحمه الله تعالى في شرح المسند على حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى عليه ثوبين معصفرين قال : " هذه ثياب الكفار لا تلبسها " مسند ج 26/25/10 رقم حديث 6513 قال ما نصه وهذا الحديث يدل بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفار في اللبس وفي الهيئة والمظهر قال : ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا، أعني في تحريم التشبه بالكفار حتى جئنا في هذا العصور المتأخرة فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة هجراها وديدننها التشبه بالكفار في كل شيء والاستخدام لهم والاستعباد ثم وجدوا من الملتصقين بالعلم المنتسب له من يزين لهم أمرهم ويهون عليهم أمر التشبه بالكفار في اللبس والهيئة والمظهر والخلق وكل شيء

حتى صرنا في أمة ليس لها من مظهر الإسلام إلا مظهر الصلاة والصيام والحج على ما أدخلوا فيها من بدع بل من ألوان التشبه بالكفار أيضاً.

وأظهر مظهر يريدون أن يضربوه على المسلمين هو غطاء الرأس الذي يسمونه القبعة البرنيطة وتعللوا لها بالأعالي والأباطيل وأفتاهم بعض الكبراء المنتسبين إلى العلم أن لا بأس إذا أريد الوقاية من الشمس وهم يأبون إلا أن يظهروا أنهم لا يريدون بها إلا الوقاية من الإسلام، فيصرح كتابهم ومفكروهم بأن هذا اللباس له أكبر الأثر في تغيير الرأس الذي تحته بنقله من تفكير عربي ضيق إلى تفكير إفرنجي واسع ثم أبي الله لهم إلا الخذلان فتناقضوا ونقضوا ما قالوا من حجة الشمس إذ وجدوا رأسهم لم يستطيعوا ضرب هذه الذلة على الأمة فنزعوا غطاء الرأس بمرة وتركوا الطربوش وغيره ونسوا أن الشمس ستضرب رؤوسهم مباشرة دون واسطة الطربوش ونسوا أنهم دعوا إلى القبعة وأنه لا وقاية لرؤوسهم عن الشمس إلا بها ثم كان من بضع سنين أن خرج الجيش الإنجليزي المحتل للبلاد من القاهرة والإسكندرية بمظهره المعروف فما لبثنا أن رأيناهم ألبسوا الجيش المصري والشرطة المصرية قبعات الإنجليز فلم تفقد الأمة في العاصمتين وفي داخل البلاد منظر جيش الاحتلال الذي ضرب الذلة على البلاد سبعين سنة فكأنهم لم يصبروا على أن يفقدوا مظهر الذل الذي ألفوه واستساغوه وربوا في أحضانه، وما رأيت مرة هذا المنظر البشع منظر جنودنا في زي أعدائنا وهيئتهم إلا تقززت نفسي وذكرت قول عميرة يذم قبيلة تغلب :

إذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذروا == عليهم وردوا وفدهم
يستقبلها

وقال رحمه الله تعالى في تعاليقه على مختصر ابن كثير عند قوله تعالى : " لَا تَقُولُوا رَاعِنَا " من سورة البقرة 104، ما نصه : فانظر إلى ما يفعل المسلمون بل المنتسبون للإسلام في عصرنا من التشبه بالكفار في كل شيء حتى ليريد الوقحاء من الكتاب أن يدخلوا شعائرهم أو ما يشبهها في عبادتنا وحتى ضربوا على أنفسهم الذلة والصغار باصطناع تشريع أوربة الوثنية الملحدة في قوانينهم الوضعية المجرمة الكافرة - القذرة - أعاذنا الله تعالى من الفتن وأعاد للمسلمين عقولهم ودينهم...

أقول : وهذا الذي ذكره رحمه الله تعالى هو الواقع في جميع البلاد الإسلامية التي كانت مستعمرة من طرف الغربيين حتى أصبحت جميع الشعوب الإسلامية متفرنجة بذكورهم وإناثهم وذابت شخصية المسلمين في شخصية الكفار نعوذ بالله من غضبه وسخطه وعقابه ولذلك ضرب الله تعالى الجميع بعقابه العام....

وقال أبو الأعلى المودودي الداعية المشهور رحمه الله تعالى في كتابه الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة وهو يتكلم على التشبه بالكفار... تشبه أمة بأمة غيرها هو أمر ينافي الفطرة والعقل ولا يتولد إلا حين تصاب أمة بداء الانحطاط وفقدان الحياء ولذا فإن الإسلام لا يبحه... وفوق هذا فإن هذا النوع من التشبه فعلة شنيعة مثلها كمثل رجل ينسب نفسه إلى غير أبيه فإن من يولد في أمة ولكنه يتشبه بأمة أخرى ابتغاء العزة والفخر يستحق اللومة لأنه بذلك يشهد أنه من

العار أن ينتسب إلى الأمة التي أنجبته والذين يسلكون هذا السبيل لا هم من الأمة التي ولدوا فيها ولا من الأمة التي يحبون أن يعدوا منها ولهذا الأسباب كان الصحابة وخاصة عمر وعلي رضي الله تعالى عنهم قد وبخوا الأفراد الذين تركوا لباس العرب بعد استيطانهم البلاد المفتوحة واختاروا لباس الروم والفرس افتتاناً بمدنيتهم، قال وتشبه المسلم بغير المسلم فعلة مضرّة بوحدة الجماعة الإسلامية إلى آخر ما قال..

وقال الإمام ابن كثير قديماً رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا " الآية 104 البقرة، ما نصه : وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعَبَّدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي، وَجَعَلَ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " وروى أبو داود آخره وهو حديث صحيح، قال ابن كثير ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعبادتهم وغير ذلك..

والمقصود أن ما كتبه ذلك الأندلسي في إباحته القبعة والبنطلون وربطة العنق وغير ذلك من مظاهر الكفار هو خرق لإجماع العلماء قبله وقبل من قلده من المفتونين الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها والله الموفق الهادي.

من المبالغات أو الألغاز أو الكذب

ذكر العلامة المحدث راوية الدنيا ومسندها في وقته الشريف سيدي عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى آخر كتابه فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات الذي طبع في مجلدين ضخمين في ثمان وستين ومائة وألف صحيفة 1168 أنه كانت مدة الاشتغال بكتابه فهرس الفهارس الذي جعله ذيلًا على طبقات الحفاظ للحافظين السيوطي وابن ناصر من زمانهما إلى زماننا هذا نحو شهر...

هكذا قال نحو شهر وهذا لا يخلو أمره من ثلاثة أمور إما أن يكون من باب الكرامة وخرق العادة وإما أن يكون من باب اللغز وحساب حروف شهر فإنها ثلاث سنين وإما أن يكون كذباً سافراً فالله أعلم بالواقع فإن تحرير مثل هذا الكتاب على ما نرى لا يقل عن أكثر من ثلاث سنوات للمجد الماهر فكيف يعقل أن يتم في شهر فالعقل يحيله والعادة تكذبه وتأباه رحمه الله تعالى وإيانا فالله هو العليم بالنيات والمقاصد.

طريقة غريبة

ذكروا عن العلامة المحدث الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله تعالى أنه ذكر في رحلته إلى الحجاز عام حجته الأولى أنه ركب ألف مركب ومركب، وهذا مما لا نجد له تأويلاً فإن صح ذلك عنه فهو يدل على أنه كان مسلوب العقل فإنه آخر عمره ذكروا عنه أنه أصيب بالمس

فإن كان قال ذلك عند مرضه وفقدان عقله فذاك وإلا فهي مجازفة لا دواء لها ولا علاج فرحمنا الله تعالى وإياه.

ممن جرب عليه الكذب من

الرحالة المغاربة

شهرة الرحالة العلامة ابن بطوطة طبقت الشرق والغرب برحلته المشهورة غير أنه وجدت له سقطات فيها تدل على كذب سافر.

فقد ذكر في رحلته أنه دخل الشام وحضر يوم الجمعة بمسجد دمشق وابن تيمية رحمه الله تعالى يعظ الناس على المنبر فكان من جملة ما قال : إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته إلى آخر ما قال مع أنه ذكر أنه وصل إلى دمشق في أول ما خرج من المغرب يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة وابن تيمية كان وقتئذ بالسجن في قلعة دمشق لأنه سجن بعد العصر من يوم الاثنين سادس شعبان من السنة المذكورة أي قبل وصول ابن بطوطة إلى دمشق بشهر وثلاثة أيام ثم استمر ابن تيمية بالسجن إلى أن مات به في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين فكيف حضره ابن بطوطة يعظ بمسجد دمشق؟ وأيضاً فابن تيمية كان له أعداء أحصوا عليه جميع مقالاته وحاربوه وقاموا

في وجهه على ما هو أدنى من هذا بكثير فلو فعل ابن تيمية هذا يوم
 الجمعة على المنبر لقتلوه أو لأذاعوا ذلك عنه وبلغوه إلى الولاة فإنه
 على أقل من هذا سجن مراراً وعذب وأهين وعقدت له مجالس في
 مصر والشام فهل يعقل صدور هذا منه ولم يذكره أحد ممن ألف في
 هناته وجمع سقطاته وأغلاطه من الحاضرين في ذلك العصر الذي كان
 بالشام مات المؤلفين من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين وغيرهم لو لم
 يكن إلا هذه لكفى في كذب ابن بطوطة الذي لم يوافق غيره على
 نقل هذه المقالة والواقعة فكيف والتاريخ يكذبه كذباً مقطوعاً به
 وأيضاً فقد ذكر ابن بطوطة أنه دخل مدينة بخارى وزار بها قبر
 البخاري صاحب الصحيح ووجد على ضريحه مكتوباً أسماء مؤلفاته
 كلها مع أن البخاري غير مدفون ببخارى لأنه في أواخر عمره حصل
 بينه وبين حاكمها خلاف فخرج منها إلى سمرقند ثم إلى قرية قريبة
 منها تسمى خرنتك لوجود بعض أقاربه بها وبها كانت وفاته ولا يزال
 قبره مشهوراً بها إلى الآن وبينها وبين بخارى مسيرة ثمانية أيام كما
 صرحوا بذلك في ترجمة البخاري، فابن بطوطة ظن أن البخاري لا
 يموت إلا ببلده فادعى أنه وقف على قبره وربما يدل على أنه ما دخل
 بخارى قط إذ لو دخلها وسأل عن البخاري لأخبره أهلها أنه غير
 مدفون بها كما أنه لما دخل دمشق وجد فتنة ابن تيمية غضة طرية
 والناس يتحدثون بها في كل ناد ويحكون عنه مقالاته التي سجن من
 أجلها فافتري من عنده هذه الفرية الظاهرة مع أن ابن تيمية لا
 يستطيع أن يفعل ذلك لوجهين أحدهما الخوف من علماء عصره
 وحكام مصره فإنه كان إذا حضر للمناظرة يتنصل من كل ما نقل عنه
 في هذا الباب وييدي معاني أخرى لمقالاته فكيف يتجرأ على مثل هذا

بين المآت من الخلائق، ثانيهما أن ابن تيمية نفسه يحارب مثل هذا التجسيم وينكره على أصحابه ويقول في كتبه أن المجسم يعبد صنماً، والمؤول يعبد عدماً، والمفوض يعبد إله الأرض والسماء...

كل ما في هذا الفصل ذكره أستاذنا أحمد الصديق رحمه الله تعالى في كتابه القيم الغريب : " العتب الإعلائي لمن وثق صالح الفلاني " الذي وضعه في تكذيب صالح الفلاني هو الآخر بالحجج القواطع الدوامخ.

فرحم الله الجميع وسامحنا وإياهم وغفر لنا ولهم الزلل والسقطات والآثام فإنه ذو الفضل الواسع والمغفرة الشاملة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه
أبد الأبدین

الفهرست

2 المقدمة

3 الشفعاء

5 مبشرة وإنذار

8 أول من آمن بالله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأظهر

إسلامه

10 نساء صحابيات استرعين اهتمامي وأعجبت بهن

15 كلب ينتصر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويدافع

عنه

17 أسئلة علمية والجواب عنها

19 من أسرار قدر الله تعالى

21 طريفة

22 طريفة أخرى

23 من سفاهة العامة وسوء أدبهم

24 الوصية في الإسلام

24 أنواع الوصايا في الإسلام

29 من الطريق إلى المدينة

29 وفود الأمة بين يدي نبيها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

38 ميلاد عالم جديد

39 في مهد الإسلام

43 من غار حراء

46 غريبة

47 المعمرون في تاريخ الإنسانية

- 49 الحياة بعد الموت
53 آية الكرسي
54 سؤال
56 التشهد في الصلاة
62 من أخبار الفضوليين مع فائدة هامة
65 مقامات الوحي
69 هل تعدد تكليم الله موسى
71 القدس الشريف كيف احتله الصهاينة
73 الأحزاب السياسية
75 نعمة القلم والكتابة
78 الوسوسة ودواؤها
80 إعجاز القرآن الكريم
80 إعجازه البياني
81 إعجازه الغيبي
82 إعجازه التشريعي والتربوي
82 إعجازه بالبقاء عبر الأجيال
82 إعجازه العلمي
84 عبرة
85 بشارة لابن حزم
86 طريفة
87 طريفة في ضمنها فائدة
88 عبرة
89 فقيه مغفل وطالب له يفجر بامرأته

- 91 تعلق قدرة الله بالمستحيل
93 من غرائب الكرامات وعجائبها
97 طريفة فيها نكتة
98 أقسام الكفر والشرك والنفاق
100 المزية لا تقتضي التفضيل
101 من تطرفات بعض الفرق والجماعات
102 ظلم الوالدين لبناتهم
104 ساعتان مع الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني
106 أصول النعم الخمس التي لا يد لنا فيها
106 نعمة الإيجاد
106 نعمة الإمداد
108 نعمة البعثة النبوية
109 نعمة الإيمان
110 نعمة دخول الجنة
112 نعم الله عز وجل علي
114 استشكال حديث تفرق الأمة
116 حكمة التفاضل بين الناس
118 من الحقائق العلمية في القرآن الكريم
122 السمع والبصر والفؤاد
125 أئمة الهدى والضلالة
132 حادثة غريبة تتعلق بأكل الحرام
134 ابتلاء عباد الله الصالحين
136 من الصدف العجيبة في خلق الله

- 137 من الصدف أيضا
138 أعجوبة فيها عقوبة
139 من كلام ميمون بن مهران
140 من عواقب اللواط
141 نهاية الكرم والإحسان
142 من خرافة الجاهلية
143 الوحدة خير من صحبة البطالين
145 لا أبيع ديني بدنياي
146 وزراء فرعون خير من وزراءك
147 طريفة مضحكة
148 يمين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
150 ما هذه الجفوة يا بلال
151 أئمة وعلماء انتفع الناس بعلمهم
156 ما يكفي الإنسان من الكتب الدينية
157 بثينة وعشيقها جميل بن معمر
161 التجارة الرابعة
163 حكم الصلاة والصيام لمجاوري القطبين
165 لا يقبل كلام الأقران في بعضهم
168 من أسرار القرآن قصة آدم مع إبليس
174 تكرار آية في القرآن إحدى وثلاثون مرة
176 طريفة مع لص
177 غريبة وعبرة
178 الفسق ولعدالة بحث مهم

- 184 قصص من مجابي الدعاء
 188 لماذا لا يستجاب الدعاء
 189 شيطانان التقيا
 190 عبرة في إسلام مشرك
 192 من أخبار أبي يزيد البسطامي
 196 غلاة السلفية المتحجرة
 199 من معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
 203 الرؤيا وأثرها في الخير
 204 مالك بن دينار يتوب لرؤيا
 206 صدقة بن سليمان ورؤيا والده
 207 المرتعش ورؤياه الإمام عليا
 208 بشر الحافي ورؤياه في البطاقة
 210 إسلام مجوسي وأهله لرؤيا
 212 توبة أبي العتاهية لرؤيا
 215 وجوب التسليم لله في كل شيء
 217 غريبة فيها عبرة
 219 بشارة للعماد المقدسي
 221 الأسئلة الفاسية
 231 الأمية في حق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معجزة
 233 هجران القرآن
 234 الروعة في قول أم موسى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ "
 الآية
 237 من معجزات القرآن أيضا

- 239 طريفة مستملحة
- 240 قصة عجيبة إن صحت
- 242 خطورة ترك الصلاة أو ركن منها أو شرط من شروطها
- 244 أقدم الجامعات الإسلامية
- 244 المسجد النبوي الشريف
- 244 جامع القرويين
- 245 جامع الأزهر
- 246 جامع الزيتونة
- 247 أشراف الساعة
- 250 من أعلام القرن الرابع عشر
- 250 الشيخ عبد السلام يس
- 250 الشيخ يوسف القرضاوي
- 250 الشيخ عبد الله التليدي
- 252 من عجائب خلق الله
- 253 طريفة فيها عبرة وذكرى
- 254 طريفة أخرى في الدعوة
- 255 هل يعرف السعيد من الشقي
- 257 عقلاء المجانين المجاذيب
- 259 المرجئة
- 261 شعب الإيمان وعددها بالتفصيل من فتح الباري وعمدة
القاري
- 265 ابن هشام النحوي وابن هشام صاحب السيرة

267 القبوريون وهو بحث هام وفيه نقول كثيرة عن أئمة وعلماء

يتبركون

بالقبور ويدعون عندها وفيهم ابن تيمية والذهبي وابن

الجوزي

277 كلام الذهبي في زيارة قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

278 المولى ومعناه

281 فائدة في أولاد الإمام من العلماء

283 الشيخ ناصر الدين الألباني وخدام السنة النبوية في العصر

الحديث

285 فوائد التاريخ والاعتبار بأهله

290 غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في القرآن الكريم

294 تواريخ أهل العلم والرواة والأئمة

296 وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعشرة

298 الأئمة أصحاب المذاهب

300 أصحاب الأمهات الحديثية

301 سبعة من الحفاظ تم بهم جمع السنة المحمدية

303 بحث في علم الغيب وهو بحث هام جداً

312 المعمرين من هذه الأمة

315 من أبشع المؤلفات

320 من المبالغات أو الألغاز

321 طريفة غريبة

322 ممن جرب عليه الكذب من الرحالة

325 الفهرست

